المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونيّة www.sl-center.org
مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة www.drsc-sy.org

التوظيف في الصراعات الضديّة

(1)

"سلطة الأسد" و"تنظيم الدولة الإسلاميّة" في محافظة السويداء

يوسف فخر الدين – همام الخطيب

مراجعة قانونيّة

المحامي أنور البني

أيار/مايو 2020

التوظيف في الصراعات الضدِّيَّة (1)
"سلطة الأسد" و"تنظيم الدولة الإسلاميّة" في محافظة السويداء

اسم الكتاب: التوظيف في الصراعات الضدِّيّة (1) "سلطة الأسد" و"تنظيم الدولة الإسلاميّة" في محافظة السويداء
الباحثان: يوسف فخر الدين – همام الخطيب
المراجعة القانونيّة: المحامي أنور البني
الطبعة الأولى: أيّار/ مايو 2020

المركز السوريّ للدراسات والأبحاث القانونيّة www.sl-center.org

مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة www.drsc-sy.org

جميع الحقوق محفوظة للمركز السوريّ للدراسات والأبحاث القانونيّة
ومركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة

لأنّنا نشترك مع من نشكرهم بالاعتقاد أنّ العدالة هي الفاصل بين أن نكون أو لا نكون، فإنّ شكرنا هو فرصةٌ لتأكيد هذا المشترك. الشكر لمن راجع الدراسة ووضع ملاحظاتٍ جوهريّةً أسندت موضوعيّتها، المحامي أنور البني والباحث "حديثة عامر"، والشكر للصحفيّ ريان معروف على تعاونه معنا والذي كان حوارنا معه مفيدًا. والشكر موصولٌ إلى كلّ الشهود الذين لا تسمح لهم ظروفهم بالإعلان عن أسمائهم، ولكلّ من مدَّ يد العون لنا. مع العلم أنّ الباحثَين يتحمّلان وحدهما الأخطاء وجوانب القصور في هذه الدراسة التي يأملان أن تكون مفيدةً.

يوسف فخر الدين وهمام الخطيب

الفهرس

ملخّصٌ تنفيذيٌّ 6
أوّلًا: المقدّمة 12
1- مدخل: 12
2- فرضيّة الدراسة 14
3- الإطار الزمانيّ المكانيّ 15
4- منهجيّة الدراسة 15
5- الصعوبات التي واجهها الباحثون 16
6- أهميّة الدراسة 16
ثانيًا: خلفيّة لفهم السياق العامّ في محافظة السويداء قبل وإبّان ظهور "داعش" 17
1- لمحة عن جغرافيا المحافظة والتوزّع الديمغرافيّ فيها 17
2- علاقة الدروز بالبدو من سكّان المحافظة 18
3- علاقة المحافظتين الجارتين (درعا والسويداء) 20
4- لمحة عن الحراك الثوريّ والمطلبيّ الذي شهدته محافظة السويداء 23
5- ظهور حركة "مشايخ الكرامة" 28
6- نظرة على الواقع المعيشيّ والخدميّ والأمنيّ للمحافظة 30
ثالثًا: ظهور "داعش" في بادية السويداء وخريطة سيطرته 32
رابعًا: أبرز العمليّات العسكريّة التي نفّذها "التنظيم"، وكيف وظّفتها سلطة الأسد 40
1- معركتا "الحقف" (19 أيار/ مايو 2015) و"شقا" (3 تموز/ يوليو 2015) 41
2- "الأربعاء الأسود" غزوة 25 تموز/ يوليو 2018 49
خامسًا: في آليّة العلاقة بين "التنظيم" وسلطة الأسد 66
- التوظيف بالتنسيق 72
أ- سلطة الأسد تمدّ شريان حياةٍ لـ"داعش" 72
سادسًا: نماذج من التوثيق والشهادات 80
1- نماذج من التوثيق 80
2- توثيق قتلى داعش في غزوة 25 تمّوز/ يوليو 2018 96
3- نماذج من الشهادات 98
سابعًا: الخاتمة 106
ثامنًا: الملحقات 108

ملخّصٌ تنفيذيٌّ:

صدرت عن "المركز السوريّ للدراسات والأبحاث القانونيّة"، و"مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة"، دراسةٌ على شكل كتابٍ، بعنوان: التوظيف في الصراعات الضدّيّة (1) "سلطة الأسد" و"تنظيم الدولة الإسلاميّة" في محافظة السويداء، للباحثَين يوسف فخر الدين وهمام الخطيب، وراجعها قانونيًّا المحامي أنور البني. وجاءت الدراسة على سبعة فصول في 117 صفحة. ولرغبة الباحثَين في وصول الدراسة إلى شرائحَ واسعةٍ لاعتقادهما بأهميّتها، وللتعريف بالدراسة، أنجزا ملخّصًا تنفيذيًّا ليكون معينًا للقرّاء على التعرّف على العناصر الرئيسة في الدراسة، وليعطي نبذةً عن محتواها ومن ثمّ يدفع المهتمّين به باتّجاه قراءة الدراسة كاملةً. (ولقد عُدِّل الكتاب لإضافة الملخّص التنفيذيّ)

الفصل الأوّل (المقدّمة):

1- المدخل: حيث بيّنت الدراسة أنّ إطلاق سلطة الأسد الجهاديّين وقادتهم من سجونها وشت منذ البداية بأنّها ستوظّف وجودهم لتخريب الثورة، وإرهاب السوريّين، وابتزاز العالم لإعادة تفويضها بحكم سورية على أنّها خيارٌ أقلّ سوءًا منهم. وهي وجدت مع الوقت أساليبَ كثيرةً لتوظيفهم، باختلافاتٍ وفقًا للمكان والمنطقة والظروف الدوليّة والإقليميّة ومعطيات الواقع العسكريّ على الأرض وخريطة السيطرة للقوى. وعلى هذا فإن علاقة سلطة الأسد بـ"تنظيم الدولة الإسلاميّة" في محافظة السويداء لم تكن استثناءً في خريطة الصراع على الأراضي السوريّة.

2- الفرضيّة: بحثت الدراسة في فرضيّة أنّ سلطة الأسد وظّفت "داعش" عبر منهجٍ على مستويين: الأوّل، توظيف وجود "التنظيم"، حيث لم يكن العداء بين الطرفين في معظم الوقت ملحًّا، كما هو الحال مع باقي الأطراف؛ فضمن سلّم أولويّات العداء كان يرى الطرفان ببعضهما في أغلب الأوقات "المعركة المؤجّلة" إلّا حين لا يتوفّر إمكان تفاديها، فعداء "التنظيم" للولايات المتّحدة الأميركيّة - والمتعاونين معها- هو جوهر وجوده، وسلطة الأسد رأت- بدلالة سلوكها- أنّ "التنظيم" آخر الأعداء، والذي يمكن توظيف وجوده ضدّ بقيّتهم وليكون أيضًا الطرف الأسوأ بدلًا منها. ومن هذه الخاصيّات أنّ "التنظيم" لا يقبل بوجود كياناتٍ عسكريّةٍ للمعارضة في مناطق سيطرته، فيخيّرها بين الاندماج فيه عبر نظام "البيعة" أو الخروج من منطقته أو سحقها. ومنها أنّه تحوّل للطرف الأسوأ لدى قطاعٍ واسعٍ من السوريّين والمجتمع الدوليّ، في الحرب السوريّة. والمستوى الثاني، هو توظيف سلطة الأسد لـ"التنظيم" بالتنسيق معه، وهو ما يعني كلّ ما سبق مع ثبوت التنسيق المباشر بين الطرفين.

3- الإطار الزمانيّ والمكانيّ: استهدف الدراسة الفترة الممتدّة من آذار/ مارس 2011 حتّى أيّار/ مايو 2020 موعد إنجاز هذه الدراسة، وتبحث في الفترة الممتدّة من أواخر عام 2014 وهو تاريخ ظهور تنظيم "داعش" في بادية السويداء حتّى موعد إنجاز الدراسة. أمّا بالنسبة إلى الإطار المكانيّ فتستهدف هذه الدراسة محافظة السويداء كبيئةٍ للبحث، مع التركيز على القرى الشرقيّة منها المحاذية لخريطة سيطرة "تنظيم الدولة الإسلاميّة" في بادية السويداء. علمًا أنّنا بدأنا في التجهيز للدراسة منذ أيلول/ سبتمبر 2019.

4- منهجيّة الدراسة: اعتمدت الدراسة لإثبات نظريّتها على المنهج الوصفيّ، ومنه أداة الملاحظة الناتجة عن المعايشة المباشرة في منطقة البحث، وأداة المقابلة المعمّقة مع الشهود، وتسجيل وجمع وتنظيم المعطيات الناتجة عن الملاحظة والرصد، وعلى تقنيّة التوثيق عن طريق دراسة الوثائق والسجلّات.

5- الصعوبات التي واجهها الباحثون: عرّجت الدراسة على الصعوبات التي تعرّض لها فريق العمل في محافظة السويداء، وعلى رأسها صعوبة العمل ضمن بيئة تعجّ بالمافيات ومشغّليها الأمنيّين.
6- أهميّة الدراسة: حدّدت الدراسة أهميّتها بكونها مادةً توثيقيّةً غير مسبوقةٍ لجرائم وانتهاكات "داعش" في محافظة السويداء، وما يرتبط بذلك من أحداث ووقائع. إضافةً إلى أنّ الدراسة ستكون متاحةً للقانونيّين والحقوقيّين المشتغلين على ملاحقة مجرمي الحرب في سورية ومرتكبي الانتهاكات فيها. كما تعدّ مصدرًا للباحثين والمشتغلين في حقل البحث والدراسة كمادةٍ توثيقيّةٍ ومصدرٍ للمعطيات والمعلومات. وأيضًا ستكون متاحةً لكلّ مهتمٍّ بالاطلاع على جانبٍ من نشاط "داعش"، وطرق إمداده، وكيف وظّفت سلطة الأسد وجوده.

الفصل الثاني (خلفيّة لفهم السياق العامّ في محافظة السويداء قبل وإبّان ظهور "داعش"):

1- لمحة عن جغرافيا المحافظة والتوزّع الديمغرافيّ فيها
2- علاقة الدروز بالبدو من سكّان المحافظة: حيث أوضحت الدراسة أنّه بعد أحداث عام 2000، التي أطلقت سلطة الأسد عليها "أحداث البدو" للإمعان في إدارة الفتنة وتأجيجها بين الدروز والبدو، تجدّد العداء بين الفريقين (البدو والحضر)، لكنّه أخذ طور الكمون، وبينما حاولت فاعليّاتٌ اجتماعيّةٌ من كلا الطرفين جسر الهوّة، استمرّت الأجهزة الأمنيّة، مباشرةً أو عبر مرتبطين بها، في تكريس هذه الهوّة للاستثمار فيها بناءً على سياسة "فرّق تسد"، من دون وقوع أحداثٍ تذكر حتى عام 2011. وبعد انطلاق الثورة في آذار/ مارس 2011، اعتمد رئيس فرع الأمن العسكريّ في السويداء، العميد وفيق ناصر، على مجموعة من البدو والدروز والحوارنة، اعتمادًا مركزيًّا لافتعال الأزمات داخل محافظة السويداء ومع جارتها درعا، حيث توزّعت هذه المجموعة بقيادة جامل البلعاس المقرّب من وفيق ناصر والمدار من قبله؛ فانخرط بعض عناصرها في الجيش الحرّ والمفضوحون منهم بقوا على علاقاتهم مع النظام من دون تستّر، وآخرون تعاونوا مع "جبهة النصرة". وعند ظهور "داعش" انتمى بعض عناصرها من البدو إليه وبايعوه وأصبحوا قادةً في صفوفه. وستظهر الدراسة، في أكثر من موقع، كيف وظّفت سلطة الأسد هذه المجموعات في ما يتعلّق بإدارة ملفّ الفتنة بين البدو والدروز وأيضًا بين محافظتي درعا والسويداء وتأجيج الصراع فيما بينهم.
3- علاقة المحافظتين الجارتين (درعا والسويداء): فكّكت الدراسة منهجيّة سلطة الأسد تجاه محافظتي درعا والسويداء؛ حيث أظهرت كيف أنّ سلطة الأسد أشاعت منذ انطلاق الحراك الشعبيّ في محافظة درعا أنّ سكّان السويداء يساعدونها في حصار درعا وفي عمليّاتها العسكريّة فيها، وحرصت لإثبات ادّعاءاتها، وبقصد التمكين، على أن يكون أفرادٌ معلومون من شريحة "الشبيحة" في صدارة المشهد العامّ. وعندما تشكّلت الميليشيات في السويداء زجّت بها سلطة الأسد في عمليّاتها العسكريّة في محافظة درعا، وسوّقتها كعنصرٍ مهمٍّ وداعمٍ لها في حربها هناك على ما أطلقت عليه اسم "الإرهاب". مع العلم أنّ عناصر تلك الميليشيات كان معظمهم يخوض تلك المعارك طمعًا بمكافآت المهمّات التي كانوا يتلقّونها إزاء ذلك، ولم يكن لهم تأثيرٌ عسكريٌّ حاسمٌ في المعارك، لضعف تنظيمهم وتدريبهم وغياب المحفّز الذاتيّ. في المقابل بيّنت الدراسة كيف أنّ ظهور أصواتٍ كانت محسوبةً على الثورة والحراك المجتمعيّ في محافظة درعا ساعد سلطة الأسد في تثبيت روايتها تلك؛ ومنها الفيديو الشهير للشيخ عبد السلام الخليلي ، في نيسان/ أبريل 2011، والذي ظهر فيه "الخليلي" وهو يشتم

الدروز ويستهزئ من تاريخهم ورموزهم. وتبيّن لاحقًا أنّ هذا الشيخ كان مدفوعًا من أجهزة المخابرات لوسم الحراك بالطائفيّة ومنع شرائحَ واسعةٍ من المجتمع السوريّ من المشاركة فيه، ما دفع علماء دين وأئمة مساجد في محافظة درعا للتبرّؤ من "الخليلي".

4- لمحة عن الحراك الثوريّ والمطلبيّ الذي شهدته محافظة السويداء: استعرضت الدراسة الحراك المجتمعيّ في محافظة السويداء وأبرز محطّاته؛ حيث بيّنت كيف تفاعلت محافظة السويداء مع الثورة السوريّة كباقي المحافظات في سورية؛ فأصبحت "المضافات" فيها "صالونات" للحديث عن الشأن العامّ، واختلفت الآراء بين مؤيّدٍ للحراك ورافضٍ له ومشترطٍ عليه. وسرعان ما انطلقت الاحتجاجات في المحافظة إلّا أنّها أخذت طابع النخبويّة (ولم تشهد السويداء احتجاجاتٍ شعبيّةً واسعةً، باستثناء مظاهرات تشييع الشهداء، ولاسيّما المظاهرة التي خرجت في تشييع الشيخ وحيد البلعوس، قائد حركة "مشايخ الكرامة"). وقد طُرِحت في البداية شعاراتٌ في إطار الإصلاح السياسيّ من قبيل: رفع حالة الطوارئ، وإلغاء الأحكام العرفيّة، والحقّ في تداول السلطة، وكفّ يد الأجهزة الأمنيّة... ثمّ ارتفع سقف تلك الشعارات بفعل قمع السلطة الأمنيّة وعدم تجاوبها مع مطالب المحتجّين، فأصبحت تتناول رأس النظام، ورُفع شعار "إسقاط النظام"، ثمّ "إعدام الرئيس"، وهو ما ينطبق على جميع المناطق السوريّة التي شهدت احتجاجات. وعرّجت الدراسة على النشاط النقابيّ في إطار الثورة، ولاسيّما نشاط المحامين الأحرار، كما وقفت على الاحتجاجات ذات الطابع المطلبيّ وأبرز الحملات المطلبيّة.

5- ظهور حركة "مشايخ الكرامة": أوضحت الدراسة منهجيّة سلطة الأسد في التعامل مع هذه "الحركة"؛ فهي وإن لم تكن راضيةً عنها إلّا أنّها كانت تحاول ألّا تصل إلى التصادم العنيف المباشر معها طالما "الحركة" تنشدّ إلى البنية الطائفيّة في المحافظة، فتراعي المؤسّسة الدينيّة الرسميّة الممسوكة من سلطة الأسد، وتكرّس موضوعيًّا الانقسامات الطائفيّة، وتعجز عن إنتاج بناءٍ وطنيٍّ ديمقراطيٍّ يجمع السوريّين ولو تراكميًّا عبر رحلة آلامهم. وبيّنت الدراسة كيف أنّ سلطة الأسد تخلصت من قائد "الحركة" عندما حاول الخروج من المحلّيّ إلى الوطنيّ والالتقاء مع المعارضة في منتصف الطريق.

6- نظرة على الواقع المعيشيّ والخدميّ والأمنيّ للمحافظة: قدّرت الدراسة أنّه منذ بدء الاحتجاجات في سورية أخذت المشكلات الاقتصاديّة تتفاقم تدريجيًّا إلى أن وصل الحال إلى أزمةٍ حقيقيّةٍ ومستقرّةٍ في المجتمع؛ فمعظم سكّان المحافظة يعيشون تحت خطّ الفقر، وهذا ما انعكس على القوّة الشرائيّة في الأسواق التي شهدت جمودًا بالمقارنة بما كانت عليه الحال في بداية عام 2011. وترافق هذا مع غلاءٍ في الأسعار ناجمٍ عن عدم ضبط السوق من قبل الجهات المعنيّة، وسياسة الفساد الممنهجة التي تتّبعها مؤسّسات "الدولة" والتي تتمثّل في التسيّب وإغراق المحافظة في الأزمات؛ حيث انتشرت الرشاوى بشكلٍ علنيٍّ في ظلّ غيابٍ تامٍّ للقانون ممّا أدّى إلى انفلات السوق، وتغوّل التجار، ولاسيّما أولئك الذين تربطهم علاقاتٌ مع القوى الأمنيّة. كما عرّجت الدراسة على الواقع الأمنيّ المتردّي في المحافظة، وتدهور القطاع الخدميّ.

الفصل الثالث (ظهور "داعش" في بادية السويداء وخريطة سيطرته):

قدّمت الدراسة في هذا الفصل خلفية عن "داعش"، حيث رأت أنّ عقيدة "التنظيم" الدينيّة والسياسيّة الخاصّة نتجت عن التقاء العقيدة البعثيّة مع عقيدة الإسلام الجهاديّ، والتي في القلب منها على المستوى السياسيّ العداء لأميركا، وهي تغصّ بذاكرة الصراع معها في العراق. هكذا اتّخذ "التنظيم" العداء للاحتلال الأميركيّ محورًا رئيسًا لشرعيّة وجوده كبديلٍ منقذٍ للعراق، ومن ثمّ للأمّة الإسلاميّة. وهكذا تميّز "التنظيم" عن باقي قوى السلفيّة الجهاديّة بالحمولة البعثيّة، المكوّنة ضمن الدولة العراقيّة في عهد حكم البعث، ما يوضّح الميل المركزيّ فيه بالتشكّل والتصرّف كدولةٍ استبداديّةٍ؛ وهو ما ظهر واضحًا باسمه (تنظيم الدولة الإسلاميّة)، وبسلوكه، وبتحديد أولويّاته، حيث ركّز تمدّده ضمن نطاق من أراد أن يكونوا رعاياه ممّن يصنّفهم على أنّهم مسلمون سنّة، وتحاشى الأقليّات إلّا حين وجدوا في طريق تمدّده كما حصل مع اليزيديّين في العراق.

كما بيّنت الدراسة أنّ المنهج الثابت لـ"التنظيم" بعث الراحة لدى سلطة الأسد، فبهذا الشكل كان يكفيها أن تنسحب من المناطق وتخليها، لتكون مناطق نزاعٍ بين "التنظيم" وفصائل المعارضة المسلّحة، فتضمن قيامه بالقضاء عليها. عداك عن أنّ وجود هذا "الوحش"، الذي بذل جهده ليظهر بصورةٍ مرعبةٍ، حرف الاهتمام الدوليّ عن جرائم سلطة الأسد وجعل منه العدوّ الأوّل للمجتمع الدوليّ، حتى إنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة اشترطت على من تدعمهم من التشكيلات العسكريّة المعارضة الاكتفاء بمقاتلته، والتوقّف عن مقاتلة جيش الأسد والميليشيات الحليفة له. وهكذا، وبعد استبعادها من التحالف الدوليّ الذي قادته أميركا للقضاء على "داعش"، والتي حاولت جاهدةً الدخول فيه لاستعادة شرعيّتها، تعاملت سلطة الأسد مع "داعش" كـ"أزمة للغير" أكثر ممّا يشكّل أزمةً لها، بل أحيانًا تعاملت معه كدولةٍ جارةٍ تتبادل معها المنتوجات عبر طرق التهريب، وتدير وتستثمر معه بالفوضى، على أمل ألّا يتبقّى غيره من الأعداء المحليّين فتنقضّ عليه، بحسب أحد شهودنا. واستعرضت الدراسة في هذا الفصل مراحل وجود "التنظيم" وتمدّده في بادية السويداء وتعامله مع عشائر البدو القاطنين فيها، موثقةً له بالشهادات. كما وصفت مقرّاته واستعرضت أبرز محطّات مواجهة فصائل المعارضة العسكريّة له.

الفصل الرابع (أبرز العمليّات العسكريّة التي نفّذها "التنظيم"، وكيف وظّفتها سلطة الأسد):

1- معركتا "الحقف" (19 أيار/ مايو 2015) و"شقا" (3 تموز/ يوليو 2015): استعرضت الدراسة الأحداث الأمنيّة والسياسيّة والعسكريّة التي سبقت المعركتين وتزامنت معهما. ووقفت على مجريات المعركتين وتفاصيلهما بلسان شهودها، ثم بيّنت نتائج المعركتين وكيف وظفتهما سلطة الأسد لابتزاز المجتمع في محافظة السويداء.
2- "الأربعاء الأسود" غزوة 25 تموز/ يوليو 2018: استعرضت الدراسة الأحداث الأمنيّة والسياسيّة والعسكريّة التي سبقت المعركة وتزامنت معها، ووقفت على مجرياتها وتفاصيلها بلسان شهودها، ثمّ بيّنت نتائجها، وكيف وظفتها سلطة الأسد لابتزاز المجتمع في محافظة السويداء. كما رصدت الدراسة أهمّ اتّجاهات الرأي في محافظة السويداء تجاه المعركة وأسبابها ورسائل سلطة الأسد التي أرسلتها إلى المجتمع من خلالها.

الفصل الخامس (في آليّة العلاقة بين "التنظيم" وسلطة الأسد):

بيّنت الدراسة في هذا الفصل منهج توظيف سلطة الأسد لـ"التنظيم"، حيث ميّزت بين توظيف وجود "داعش" المثبت بكلّ الحالات، وبين التوظيف بالتنسيق، وهي حالاتٌ مثبتةٌ بالأدلّة. وفي هذا الفصل أظهرت الدراسة كيف وظّفت سلطة الأسد وجود "داعش" في محافظة السويداء عبر إخافة مجتمع السويداء بإفلات توحّش "داعش"، ومن ثم استثمار وجوده لإخماد حركات الاحتجاج في المجتمع واستنزاف قوة الفصائل الأهليّة فيه بهجمات "التنظيم". إضافة إلى استثمار سلطة الأسد وجود "التنظيم" في ضرب فصائل المعارضة المسلّحة في محافظة درعا، وقبلها في محافظة ريف دمشق. وممّا عدّته الدراسة تنسيقًا بين "سلطة الأسد" و"التنظيم" هو إمداد سلطة الأسد لـ "داعش" بالسلاح عبر ميليشياتها والمهرّبين المرتبطين بها، وجعل محافظات الجنوب السوريّ سوقًا للمحروقات التي يستخرجها "التنظيم" يدويًّا وهو ما مدّ شريان حياةٍ لـ"التنظيم". إضافة إلى غضّ النظر عن تمدّد "داعش" في بادية السويداء.

الفصل السادس (نماذج من التوثيق والشهادات):

خصّصت الدراسة هذا الفصل للتوثيق، حيث قدّمت أحصاء للضحايا المدنيّين جرّاء العمليّات العسكريّة التي نفّذها " التنظيم" في محافظة السويداء؛ حيث بلغ ضحايا المجزرة التي وقعت في الريف الشرقيّ للمحافظة في 25 تموز يوليو 2018، 254 ضحيّةً من أبناء محافظة السويداء، وضحيّتين من النازحين إليها، وخمس ضحايا من مقاتلي الفزعة من جرمانا وحضر في ريف دمشق، ويتوزّعون على الشكل التالي: 63 ضحيّةً في قرية شبكي، 42 ضحيّةً في قرية الشريحي، 22 ضحيّةً جرّاء التفجيرات وملاحقة الانغماسيّين في مدينة السويداء، 21 ضحيّةً في قرية "دوما"، 22 ضحيّةً في قرية "رامي"، 9 ضحايا في قرية "المتونة"، 6 ضحايا في "الدياثة"، 5 ضحايا في قرية "طربا"، 5 ضحايا في قرية "غيظة حمايل"، 4 ضحايا في قرية "السويمرة". بينما وثّقنا 51 ضحيّةً من مقاتلي الفزعات الأهليّة التي جاءت من كلّ قرى ومدن محافظة السويداء. بينما بلغ عدد الجرحى الذين أخليوا من المناطق التي تعرّضت للهجوم أكثر من مئتي جريح. إضافةً إلى خطف 29 شخصًا، بينهم 9 نساءٍ و18 طفلًا وطفلةً وشابٌّ واحدٌ. أُعدِم منهم ضحيّتان، وتوفيّت سيّدةٌ واحدةٌ أثناء فترة الاختطاف، ثمّ قُتِل منهم طفلان قبل إطلاق سراح المختطفين جرّاء اشتباكاتٍ حدثت. كما وثّقت ضحايا الألغام التي زرعها "التنظيم"، وضحايا قذائف "الهاون" التي أطلقها على أراضي محافظة السويداء. كما وثّقت شهداء "الفزعات" من مقاتلي الحماية الذاتيّة الأهليّة الذين سقطوا خلال المعارك مع تنظيم "داعش" منذ دخوله إلى بادية السويداء. إضافة إلى توثيقها جرائم الخطف التي ارتكبها "التنظيم" بحقّ سكّان محافظة السويداء، علاوة على توثيقها قتلى "داعش" في غزوة 25 تمّوز/ يوليو 2018. وأوردت الدراسة نماذج من الشهادات والمقابلات التي اعتمدت عليها.

الفصل السابع (الخاتمة):

أوضحت الدراسة أنّ جهدها انصبّ على تتبّع توظيف سلطة الأسد لـ"التنظيم"، سواء أكان عبر توظيف وجوده، أو عبر توظيفه بالتنسيق معه وهو ما بيّنته في فصلها الخامس وهو ما اعتمدته لإثبات فرضيتها. كما أوضحت أنها من خلال متابعتها للتطبيق العمليّ لمنهج سلطة الأسد بهذا الخصوص، ومن دراسة أسلوب تنظيم "داعش" في التمدّد، وصلت إلى استنتاج أنّ هجوم

"التنظيم" على محافظة السويداء، ذات الأغلبيّة الدرزيّة التي تصرّ على الحياد العسكريّ، ويرفض أغلب شبابها الخدمة العسكريّة في جيش الأسد، وتحديدًا بعد دخول "التنظيم" مرحلة ضعفه وانحداره، وانعدام أيّ فرصةٍ له للنجاح في اجتياحها، ولا في البقاء فيها إن أتيح له بعض التمدّد، يخدم إستراتيجيّة سلطة الأسد في الاستثمار في الإرهاب، ولا يتواءم مع منطق تنظيم "داعش" العسكريّ الذي يركّز على احتلال المناطق التي يعدّها ذات أغلبيّةٍ "سنّيّةٍ"، وعلى مهاجمة القوّات العسكريّة الأميركيّة والتابعة لها، ولا يعبأ بالأقلّيّات الدينيّة إلّا إن كانوا عقبةً في طريقه إلى هذين الهدفين، وإن كان قد أعمد القتل والسبي باليزيديّين حين اجتاح مناطقهم في طريقه إلى كردستان العراق.

الفصل الثامن (الملحقات):

وخصّص هذا الفصل لتثبيت بعض وثائق الدراسة:

الوثيقة رقم (1): بيان فرع نقابة المحامين في السويداء في تاريخ 24/ 3/ 2011.

الوثيقة رقم (2): بيان يدعو أهالي السويداء إلى إفشال محاولات النظام زجّ أبنائهم في مواجهة ثوّار درعا.

الوثيقة رقم (3): بيان رقم (3) الصادر عن الجبهة الجنوبية في درعا إلى أهالي السويداء في تاريخ 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014.

الوثيقة رقم (4): بيان من علماء ومشايخ دين في محافظة درعا، ردًّا على كلام الشيخ عبد السلام الخليلي الذي شتم الدروز. حرّر في 24 نيسان/ أبريل 2011.

الوثيقة رقم (5): بيان من تجمّع القوى الوطنيّة والاجتماعيّة في السويداء إلى إخوانهم في سهل حوران.

الوثيقة رقم (6): بيان باسم عشائر جنوب سوريا.

الوثيقة رقم (7): بيان من قوى وطنيّة في محافظة السويداء.

الوثيقة رقم (7): توثيق أسماء الضحايا تحت التعذيب في المعتقلات الأمنيّة، والمعتقلين مجهولي المصير، وبعض المفقودين، وأسماء المخطوفين لدى "جبهة النصرة

أوّلًا: المقدّمة

1- مدخل:

ما إن كتبَ بضعة تلاميذ مدرسةٍ ابتدائيّةٍ على جدار مدرستهم في درعا "جاك الدور يا دكتور" حتّى اهتزّ النظام السوريّ برمّته، بل بانت تصدّعاته، وتعاملت السلطة الحاكمة مع هذا الحدث كخطرٍ وجوديٍّ على النظام، وتصرّفت كأنّه سيسقط. وهو ما أدركه كثرٌ من السوريّين بوعيهم للنظام الذي يطبق على أنفاسهم من عقود، ويعيشون تفاصيله. خوف السلطة وعدم ثقتها بمؤسّسات النظام، بما فيها حزب البعث والأجهزة الأمنيّة، والتي أعادت تصنيف من فيها بناءً على مسطرة: موالٍ، رماديٍّ، معادٍ، لم يكن ليمضي حدثًا عابرًا، ولاسيّما أنّه جعلها ترتكب أخطاءً بدت ساذجةً مقارنةً مع خبرة النظام الطويلة في إدارة علاقته بالمجتمع. وهو ما أضاف إلى خطيئة الخوف العلنيّ، والأخطاء الناجمة عنه، انتشار الشكّ بقدرة ورثة السلطة على الحكم، وبمقدّمتهم وريث كرسيّ الحكم. وهو من الأسباب التي تفسّر أن ينحو من أهينوا في محافظة درعا (المعروفة بتضامنها العشائريّ)، إلى ردّ الإهانة بالتحدّي عبر الاجتماعات العموميّة والتظاهر، ولهذا أيضًا تجرّأ السوريّون على نظامٍ اعتقدوا، لسنواتٍ طويلةٍ، أنّه كالموت لا مفرَّ منه.

ومن بين كلّ أدوات النظام المختبرة، لجأ ورثة السلطة إلى أسوئها، وأقلّها مناسبةً لمعالجة موضوعٍ معقّدٍ بظرفٍ معقّد[1]. ومن هذه الأدوات كانت أداة الطائفيّة وإثارة الصراعات تطبيقًا لمقولة "فرّق تسد"، وهو ما عكس إحساسهم الشديد بعزلتهم وأقلويّتهم كحكمٍ معزولٍ عن الشعب؛ ولكنّه سلوكٌ نتج أيضًا من تكرارٍ أخرقَ لوصفةٍ مجرّبةٍ لطالما استخدمها حافظ الأسد وأعوانه لتدمير إرادة السوريّين واللبنانيّين والفلسطينيّين وللتدخّل في العراق.

والخَرَقُ المقصود هنا هو إهمالهم تغيّر الظروف الدوليّة، فالتهديد بإلحاق الضرر بالذات ودول الجوار، عبر إشاعة الفوضى وإدارتها، بما في ذلك إطلاق الإرهابيّين والتهديد بتصديرهم خارج الحدود، لم يعد يرهب إدارة الولايات المتّحدة، التي حرصت، مستفيدةً من تجربتها العراقيّة، على عدم التورّط على الأرض، والتركيز على ضبط الفوضى داخل سورية (في سياسة أطلقنا عليها في ورقةٍ لنا اصطلاح "سياسة طنجرة الضغط"[2])، وإطالة عمر سلطة الأسد حتّى تقوم مع حلفائها، بتحمّل مسؤوليّة سياستهم هذه.

وكانت محافظة السويداء، حيث كان لفريقنا وجودٌ دائمٌ، وعملنا على التوثيق والاستقصاء وجمع الشهادات خلال السنوات التسع المنصرمة، ضمن المجال السوريّ العامّ الذي تعرّض للقمع والتنكيل لمنع الناس من التحرّك للتعبير عن مطالبهم واحتياجاتهم؛ كما تعرّضت ضمن هذا المجال لمنهجيّة سلطة الأسد بإطلاقها الفوضى وإدارتها، منذ أن نفخت الأجهزة الأمنيّة جمر

1- يمكن العودة إلى كتاب "إستراتيجية سلطة الأسد في مواجهة الثورة السوريّة" من تأليف مجموعة باحثين، نشر على موقع "مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة"، وإلى الملحق رقم (2) في الكتاب نفسه بعنوان "سوريا ثورة مستمرّة"، للاطلاع على إستراتيجية سلطة الاستبداد في سورية للقضاء على الثورة. رابط الكتاب: http://www.drsc-sy.org/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D9%84%D8%B7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87%D8%A9-%D8%A7/

2- فخر الدين، يوسف، **" في تعقيدات الصراع السوريّ"** (تقدير موقف)، مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة، أيار/ مايو 2014. http://www.drsc-sy.org/%d9%81%d9%8a-%d8%aa%d8%b9%d9%82%d9%8a%d8%af%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%b5%d8%b1%d8%a7%d8%b9-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%88%d8%b1%d9%8a%d9%91/

الحساسيّات الطائفيّة التي كانت ترعاها لضمان التباعد بين السوريّين، وحاولت جهدها توسيع الشقاق الذي لطالما أدارته داخل المجتمع المحلّيّ، وصولًا إلى استثمارها في قوى الإرهاب والتطرّف. وهو ما لاقى بيئةً مناسبةً لتعميقه وتفعيله عندما ساد النزاع المسلّح على الثورة المدنيّة السلميّة، والذي دفعت إليه سلطة الأسد بعنفها وتوحّشها في مواجهة الثورة السلميّة؛ فعجّت سورية برايات "دينيّة"، وظهر التشظّي المعمّد بدم السوريّين، فانزاح المجتمع بأغلبيّته في السويداء باتّجاه الحياد عن الصراع العسكريّ، وعلت أصواتٌ فيه طالبت بالحياد وحماية هذا الحياد بالسلاح إن دعت الضرورة. ونتيجة إضعاف السلطة للمعارضة الوطنيّة الديمقراطيّة في المحافظة، الناتج عن عقودٍ من القهر والمنع والاستبداد السياسيّ، ونتيجة الحساسيّات التي تديرها سلطة الأسد بين أغلبيّة سكّانها الدروز مع البدو فيها من جهةٍ ومع محافظة درعا من جهةٍ أخرى، تقدّمت إلى المبادرة فاعليّاتٌ أهليّةٌ تقليديّةٌ درزيّةٌ كان أبرزها، وأكثرها صدى، حركة "مشايخ الكرامة" التي عبّرت عن الأفكار الدفاعيّة التقليديّة للأغلبيّة السكانيّة في المحافظة.

وفي ظلّ هذا المناخ، وبعد أن هدّدت سلطة الأسد مرارًا المحافظة بالإرهاب عبر رسائلها المبطّنة، وأحيانًا الصريحة، ومنها ما جاء على لسان المستشارة الإعلاميّة في القصر الرئاسيّ، لونا الشبل، في لقاءٍ جمعها مع وفدٍ من السويداء بقولها: إذا لم يلتحق شباب السويداء بالجيش فإنّ "داعش" قريبةٌ منكم، بدأ "تنظيم الدولة الإسلاميّة"[3] يرهب مجتمع المحافظة. ليظهر بعدها إجماعٌ لدى شريحةٍ واسعةٍ من سياسيّي ومثقّفي المحافظة وكتلةٍ وازنةٍ من المجتمع الأهليّ، على أنّ "داعش" فزّاعةٌ لتخويف المحافظة وإخضاعها وعقابها في آنٍ، وأنّ سلطة الأسد استخدمته بدلًا من إطلاق الجيش والميليشيات العسكريّة عليها، كما فعلت في عموم مناطق سورية، لتأديب المحافظة وإعادتها إلى بيت الطاعة، تفاديًا لانهيار أكذوبة "حماية الأقليّات" التي تدّعيها وما يستتبعه ذلك من خسارتها أوساطًا ما زالت تصدّقها بين اليساريّين وغيرهم على الصعيد الإقليميّ والدوليّ. إضافةً إلى رغبتها في تجنّب عداء الدروز خارج سورية؛ فمعظم سكّان المحافظة هم من هذه الأقليّة الدينيّة التي توجد في ثلاث دولٍ إقليميّةٍ (لبنان والأردن وفلسطين)، وفي المغتربات، ويمتدّ وجودها على الحدود الإسرائيليّة والأردنيّة، وهو موقعٌ ذو حساسيّةٍ بالغةٍ.

لكنّ خصوصيّة المحافظة بهذا الشأن لم تكن استثناءً، فإطلاق سلطة الأسد الجهاديّين وقادتهم من سجونها بيّنت منذ البداية أنّها ستوظّف وجودهم لتخريب الثورة، وإرهاب السوريّين، وابتزاز العالم لإعادة تفويضها بحكم سورية على أنّها خيارٌ أقلّ سوءًا منهم. وهي وجدت مع الوقت أساليبَ كثيرةً لتوظيفهم، باختلافاتٍ وفقًا للمكان والمنطقة والظروف الدوليّة والإقليميّة ومعطيات الواقع العسكريّ على الأرض وخريطة السيطرة للقوى. وهكذا لم تتعامل سلطة الأسد ضمن الجغرافيا السوريّة مع ملفّ الجهاديّين بسويّةٍ واحدةٍ أو ضمن منهجيّةٍ ثابتةٍ؛ فتارةً كانت تسهّل انتشارهم وتمدّدهم وتصنع، أو تتغاضى عن، شريان إمدادٍ لهم ليكونوا بذلك أزمةً لخصومها ومعينًا لها في ضربهم وإنهاكهم، وصولًا إلى التنسيق معهم في بعض الأحيان، وتارةً أخرى تدخل معهم في مواجهة، لكن بعد أن تضمن أنّهم من تبقّى من خصومها. وغالبًا ما بدت العلاقة بين "التنظيم" وسلطة الأسد كـ"العلاقة بين دولتين جارتين" بحسب ما درج على لسان ناشطين في المحافظة، على مثال ما كان من تعايشهما لسنواتٍ حين كان "التنظيم" في مناطقَ حدوديّةٍ

3 - تنويه: وردت كلمتا ("التنظيم" و"داعش") في دراستنا للتخفّف من ذكر الاسم كاملًا (تنظيم الدولة الإسلاميّة)، وللسبب نفسه وردت كلمة "الجبهة" والمقصود بها "جبهة النصرة"، ووردت كلمة "الحركة" والمقصود بها "حركة مشايخ الكرامة" ولاحقًا "حركة رجال الكرامة".

بين سورية والعراق؛ حيث قاطعت بينهما المصلحة لإفشال الولايات المتّحدة، كلٌّ منهما لأسبابه. فسلطة الأسد كانت تخشى أن يكون هدف الإدارة الأميركيّة التالي هو إزاحتها عن السلطة، بينما كان الحافز الرئيس لـ"التنظيم" (المتشكّل بقيادةٍ هي مزيجٌ من خبرة ضبّاطٍ عراقيّين بعثيّين سابقين من نتاج "الحملة الإيمانيّة[4]" التي أطلقها صدام حسين في تسعينيّات القرن المنصرم مع السلفيّة الجهاديّة) هو العداء للاحتلال الأميركيّ وإقامة دولة استبداده "الإسلاميّة". هكذا يظهر أنّ العداء بين الطرفين لم يكن -حتى الآن- مركزيًّا لأيٍّ منهما، بل إنّ تاريخ سلوكيّاتهم تجاه بعضهما تشي بأنّهما في تقديرهما لسلّم أولويّات العداء كانا يريان ببعضهما العدوّ المؤجّل دائمًا. وهو ما استخلصناه أيضًا من خلال متابعتنا في منطقة الدراسة، حيث وجدنا أنّ "التنظيم" يعي أنّ سلطة الأسد لا تشكّل خطرًا وجوديًّا على مشروعه ويفضّل تأجيل حربه معها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وأنّ سلطة الأسد تراه مشكلةً يمكن توجيهها باتّجاه أعدائها وتوظيف وجودها لخدمتها. يبقى أن نشير إلى أنّ العمليّة التي ندرس جانبًا منها أحد أهمّ مفاعيلها هو تفكّك النظام السوريّ، والضعف السقيم للدولة وانتهاء احتكارها للسلاح والعنف ضمن سورية؛ بينما عملت سلطة الأسد، مدعومةً بحليفيها الروسيّ والإيرانيّ، على أن تدير الصراع في البلد كمحتلٍّ لا يعبأ بحياة السوريّين ومصيرهم، فلا تندم على ما أودت البلد إليه، بل يتباهى مؤيّدوها فيه مدّعين أنّه دليلُ عبقريّتها.

2- فرضيّة الدراسة

بناءً على ما عُلِمَ من عمل أجهزة الأمن السوريّة في العراق، وتصريحها بمعرفتها الدقيقة، واختراقها، للقوى الإرهابيّة التي شكّلت "تنظيم الدولة الإسلاميّة في العراق والشام" ولاحقًا "تنظيم الدولة الإسلاميّة"، في سياق عرض خدماتها للولايات المتّحدة[5]، وهو ما يعني معرفةً دقيقةً بقادتها، وأفكارها المكوّنة، بما فيها أولويّة العداء مع الولايات المتّحدة وحلفائها إن كانوا دولًا أو قوًى مسلّحةً، وهي المعرفة التي سهّلت عليها توقّع أولويّاتها، ومن ثمّ توقّع تصرّفاتها، ما سمح لها توظيف وجودها لمصلحتها، ومن ملاحظتنا الناتجة عن الرصد والتوثيق والمقابلات، في محافظة السويداء، استنتجنا الفرضيّة التالية: تفترض الدراسة أنّ سلطة الأسد وظّفت "داعش" عبر منهجٍ على مستويين: الأوّل، توظيف وجود "التنظيم"، حيث لم يكن العداء بين الطرفين في معظم الوقت ملحًّا، كما هو الحال مع باقي الأطراف؛ فضمن سلّم أولويّات العداء كان يرى الطرفان ببعضهما في أغلب الأوقات "المعركة المؤجّلة" إلّا حين لا يتوفّر إمكان تفاديها، فعداء "التنظيم" للولايات المتّحدة الأميركيّة - والمتعاونين معها- هو جوهر وجوده، وسلطة الأسد رأت- بدلالة سلوكها- أنّ "التنظيم" آخر الأعداء، والذي يمكن توظيف وجوده ضدّ بقيّتهم وليكون أيضًا الطرف الأسوأ بدلًا منها. ومن هذه الخاصيّات أنّ "التنظيم" لا يقبل بوجود كياناتٍ عسكريّةٍ للمعارضة في مناطق سيطرته، فيخيّرها بين الاندماج فيه عبر

4 - "الحملة الإيمانيّة": أطلقها الرئيس العراقيّ السابق، صدام حسين، بعد هزيمته في حرب الخليج عام 1991 وما تبعها من انتفاضات الأكراد والشيعة، حيث تخلّى عن المبادئ العلمانيّة التي يقوم عليها حزب البعث الحاكم؛ فبدأت أجهزة الأمن في التسامح مع مظاهر التديّن حتّى مع الآراء الدينيّة المتشدّدة في صفوف الجيش رغم مراقبتهم لأصحابها لضمان عدم وصولهم إلى مناصبَ قياديّةٍ، في محاولةٍ منها للحصول على دعمٍ سياسيٍّ من المؤسّسة الدينيّة. بعدها دعا صدام حسين المقاتلين الأجانب علنًا، قبيل الغزو الأميركيّ للعراق عام 2003، إلى القدوم إلى العراق لمقاومة المحتلّين.

5 - كشف موقع "ويكليكس" أنّ اجتماعًا، في 18 شباط/ فبراير 2010، كان قد جرى بين وفدٍ أميركيٍّ برئاسة "دانيال بنجامين"، ونائب وزير الخارجيّة السوريّ فيصل مقداد، ومدير المخابرات العامّة، اللواء علي مملوك، تفاخر فيه الأخير بأنّ الأجهزة الأمنيّة السوريّة أكثر نجاحًا من نظيرتها الأميركيّة، وأرجع ذلك إلى اختراقهم المجموعات الإرهابيّة، موضّحًا: "من حيث المبدأ، نحن لا نعمد إلى مهاجمتهم أو قتلهم على الفور، بل نزرع عملاءنا داخلهم، ثمّ نتحرّك في اللحظة المناسبة"، وأنّهم يمتلكون نتيجة ذلك "ثروة معلوماتٍ"، ليخلص إلى القول: "لدينا الكثير من الخبرة، ونعرف هذه المجموعات، هذه منطقتنا ونحن نعرفها، ولأنّنا كذلك يجب أن نأخذ زمام القيادة"، وأضاف: "بكلّ الطرق سوف نواصل عملنا هذا، ولكن إذا بدأ التعاون مع واشنطن فسنحقّق نتائج أفضل، ونحمي مصالحنا بطريقةٍ أفضل".

نظام "البيعة" أو الخروج من منطقته أو سحقها. ومنها أنّه تحوّل للطرف الأسوأ لدى قطاعٍ واسعٍ من السوريّين والمجتمع الدوليّ، في الحرب السوريّة. والمستوى الثاني، هو توظيف سلطة الأسد التنظيم بالتنسيق معه، وهو ما يعني كلّ ما سبق مع ثبوت التنسيق المباشر بين الطرفين. مع ملاحظة أنّه على الرغم من الفائدة التي جنتها سلطة الأسد من هذا التوظيف، وإستراتيجيّتها العامّة بخصوص الجهاديّين، إلّا أنّ خطّتها هذه تحوّلت مع الوقت إلى "خطّة اليائس"؛ حيث تآكلت سلطتها، وتحوّلت من سلطةٍ تحتلّ الدولة السوريّة إلى سلطةٍ محتلّةٍ من حليفيها الكبيرين (روسيا وإيران) تحاول اللعب على تناقضاتهما لإيجاد هامشٍ للمناورة، ثمّ إنّ تطوّرات الأحداث أفلتت الكثير ممّا كانت تعدّه "أوراق قوّتها" لتصبح ضدّها. مع العلم أنّ بحثنا لا يتابع كلّ هذه التعقيدات، ويحدّد مهمّته بعمليّة التوظيف نفسها.

ومن هذه الفرضيّة انبثقت الأسئلة التالية:

أ- ما هي ظروف ظهور "التنظيم" في محافظة السويداء؟
ب- أين ظهر "توظيف الوجود" وما أدلّته؟
ت- ما هو تمييز "التوظيف بالتنسيق" وما أدلّته؟

نسعى من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة، وما تفرّع منها خلال بحثنا، إلى برهنة فرضيّتنا كخطوةٍ ضروريّةٍ لتحديد المسؤوليّة القانونيّة للأطراف التي ارتكبت الانتهاكات والجرائم وسهّلت حدوثها ودعمت منفّذيها.

3- الإطار الزمانيّ المكانيّ

تستهدف هذه الدراسة الفترة الممتدّة من آذار/ مارس 2011 حتّى أيّار/ مايو 2020 موعد إنجاز هذه الدراسة، وتبحث في الفترة الممتدّة من أواخر عام 2014 وهو تاريخ ظهور تنظيم "داعش" في بادية السويداء حتّى موعد إنجاز الدراسة. أمّا بالنسبة إلى الإطار المكانيّ فتستهدف هذه الدراسة محافظة السويداء كبيئةٍ للبحث، مع التركيز على القرى الشرقيّة منها المحاذية لخريطة سيطرة "تنظيم الدولة الإسلاميّة" في بادية السويداء. علمًا أنّنا بدأنا في التجهيز للدراسة منذ أيلول/ سبتمبر 2019.

4- منهجيّة الدراسة

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفيّ، ومنه أداة الملاحظة الناتجة عن المعايشة المباشرة في منطقة البحث، وأداة المقابلة المعمّقة مع الشهود، وتسجيل وجمع وتنظيم المعطيات الناتجة عن ملاحظتنا ورصدنا المباشر والمتواصل للوقائع منذ اندلاع الاحتجاجات في سورية في آذار/ مارس 2011. كما اعتمدنا القياس والمقارنة وتقنيّة فلترة المعلومات والمعطيات والشهادات التي بحوزتنا، وبعد ذلك رجّحنا المتّفق عليه وما قدّرنا أنّه الأكثر موضوعيّةً بينها، ليصبح معطى يمكن الاستناد إليه في دراستنا.

واعتمدنا تقنيّة التوثيق عن طريق دراسة الوثائق والسجلّات (مقالات، وخطابات مكتوبة، ومقابلات تلفزيونيّة، وتقارير، وأعمال ميدانيّة سابقة لفريقنا، وتحقيقات، وأخبار، وصور...).

وطوال الوقت اعتمدنا تحليل البيانات والمعلومات في جلسات تفكيرٍ جماعيّةٍ لفريق العمل، للخلوص إلى النتائج. إضافةً إلى توثيقنا لانتهاكات "داعش" في محافظة السويداء، وتوثيق الجرائم والمسؤوليّة القانونيّة لكلّ من شارك فيها عبر الأدلّة والبراهين، من حيث التنفيذ والتنسيق والتسهيل والدعم بالإمداد. بعدها يأتي تحليلنا كورشة عمل في محاولةٍ منّا لاستكمال رسم اللوحة التي نزعم أنّها لا تزال ناقصةً، لكن نأمل منها أن تكون أساسًا توثيقيًّا وبحثيًّا مهمًّا

للباحثين والمهتمّين والقانونيّين لمعالجة نقصها وعيوبها انطلاقًا نحو مشروع العدالة ومحاسبة مجرمي الحرب ومنتهكي حقوق الإنسان. وإظهار الحقيقة من وراء القصد.

5- الصعوبات التي واجهها الباحثون

في ظلّ بيئةٍ تعجّ بأدوات سلطة الأسد الأمنيّة و"المافيويّة"، يبقى الخطر الأمنيّ هو العقبة الأولى أمام الباحثين، بحيث لم يكن من المتاح لنا استخدام أدواتٍ بحثيّةٍ مثل الاستبيانات والمسح. فركّزنا جهدنا على التوثيق من خلال وجود أحد الباحثين في مكان الحدث، وعبر شهودٍ ثقاتٍ. كما اعتمدنا الرصد لمتابعة ما يصدر عن المحافظة، والمنابر الإعلاميّة فيها، بما فيها الصفحات على موقع التواصل الاجتماعيّ "فيسبوك". وحرصنا على حضور اللقاءات العامّة التي أتيحت لنا، وعلى عقد لقاءاتٍ نعدّ أسئلتها مسبقًا، منها ما نصرّح فيها عن هدفنا والكثير منها لا نفعل لدواعٍ أمنيّةٍ ولكن نؤمّن التعاون معنا من قبل آخرين لنطرح كلّ أسئلتنا، كما أجرينا عشرات المقابلات الفرديّة المعدّ لها من قبلنا لاستطلاع اتّجاهات الرأي وتفسيرها من قبل أصحابها بأنفسهم. واستطعنا الحصول على شهاداتٍ كثيرةٍ خلال سنوات عملنا.

كما أنّ البحث في علاقة سلطة الأسد مع الجهاديّين إجمالًا، ولاسيّما "تنظيم الدولة الإسلاميّة"، أمرٌ سيمتدّ على مدى سنواتٍ طويلةٍ قادمةٍ، وهو ما سيعتمد على انكشاف المعلومات الأمنيّة، وربّما اعترافات في محاكماتٍ قادمةٍ لا محالة، وبشكلٍ مؤكّدٍ على جمع المعطيات والشهادات وتحليلها، وهو ما قمنا بجهدٍ فيه سائرين من دون هدى أعمالٍ سابقةٍ تعيننا، وهو ما نجده عذرًا على جوانب القصور والخلل، مع تأكيدنا على أهميّة نقدها ليكون فعل ذلك جزءًا من المراكمة لإجلاء الحقيقة.

6- أهميّة الدراسة

تنبع أهميّة الدراسة من كونها مادةً توثيقيّةً غير مسبوقةٍ لجرائم وانتهاكات "داعش" في محافظة السويداء، وما يرتبط بذلك من أحداث ووقائع. واعتمدت الدراسة على تحليل شهاداتٍ أجراها الباحثان مع أناسٍ كانوا في قلب الأحداث ومتفاعلين معها. إضافةً إلى أنّ الدراسة ستكون متاحةً للقانونيّين والحقوقيّين المشتغلين على ملاحقة مجرمي الحرب في سورية ومرتكبي الانتهاكات فيها. كما تعدّ مصدرًا للباحثين والمشتغلين في حقل البحث والدراسة كمادةٍ توثيقيّةٍ ومصدرٍ للمعطيات والمعلومات. وأيضًا ستكون متاحةً لكلّ مهتمٍّ بالاطلاع على جانبٍ من نشاط "داعش"، وطرق إمداده، وكيف وظّفت سلطة الأسد وجوده. آملين أن نكون قد قدّمنا ما يمكن الركون إليه والبناء عليه.

وقد انتهى العمل على هذه الدراسة في 6 أيّار/ مايو 2020، ولم نُضِف إليها جديدًا بعد هذا التاريخ؛ حيث شرعنا في عمليّة التحرير والتدقيق اللغويّ ثمّ الترجمة.

ثانيًا: خلفيّة لفهم السياق العامّ في محافظة السويداء قبل وإبّان ظهور "داعش"

1- لمحة عن جغرافيا المحافظة والتوزّع الديمغرافيّ فيها

تقع محافظة السويداء جنوبيّ سورية، وتقدّر مساحتها بـ (6550كم2)، ويبلغ عدد سكّانها نحو (555703) نسمة، بحسب إحصائيّات السجلّات المدنيّة أواخر عام 2019، معظمهم يعملون في الزراعة. وتعدُّ المحافظة من المحافظات الفقيرة؛ حيث لا يوجد فيها منشآتٌ صناعيّةٌ كبرى، أو مشاريعُ استثماريّةٌ أو إنمائيّةٌ أو صناعيّةٌ ذات وزنٍ، وترتفع فيها معدّلات الاغتراب خارج الوطن، ولاسيّما فئة الشباب، وأكثرهم يتوزّعون في دول الخليج وفنزويلا. ويتوزّع سكّان محافظة السويداء على الشكل التالي:

المسلمون "الدروز": وهم أغلبيّة سكّان المحافظة، ويحافظون على شوكة العصبيّة لشعورهم بأنّهم أقليّةٌ مستهدفةٌ دائمًا. ويتوزع الدروز في جنوبيّ وجنوبيّ غرب سورية، أي على الحدود مع الأردن وإسرائيل في محافظتي السويداء والقنيطرة، وفي محافظة ريف دمشق في مدينتي "صحنايا" و"جرمانا"، وفي محافظة إدلب في منطقة "جبل السماق". وللطائفة امتداداتٌ إقليميّةٌ في فلسطين ولبنان والأردن. ولقد انخرط الدروز في ستينيّات وسبعينيّات القرن المنصرم في الحركة السياسيّة العلمانيّة، سواء في الأحزاب القوميّة أو اليساريّة. ونذكر من شخصيّاتهم السياسيّة، على سبيل المثال، حمّود الشوفي (أبا العربي) الذي انتُخِبَ في المؤتمر القطريّ الأوّل لـ"حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ"، في 8 آذار/ مارس 1963، أمينًا عامًّا للحزب في القطر العربيّ السوريّ، ثمّ تولّى عدّة مناصبَ إلى أن كُلّف بأن يكون ممثّل سورية الدائم في الأمم المتّحدة قبل أن يستقيل من منصبه عام 1979 احتجاجًا على سلوك سلطة الأسد الاستبداديّ، وهو الموقف الذي دفع سلطة الأسد حينها أن تصدر حكمًا غيابيًّا عليه بالإعدام. ونذكر أيضًا "حديثة مراد" (أبا علي) الذي اعتقل مدّة 22 عامًا في سجون سلطة الأسد. إضافةً إلى العلمانيّين نجد في أوساط الدروز شوكة العصبيّة الطائفيّة المستندة إلى هواجسَ أقليّةٍ تختزن في ذاكرتها الحيّة مظلوميّةً فتبقى تهجس باحتمالاتٍ أخرى.

المسيحيّون: يتوزّع المسيحيّون في كثيرٍ من مدن وقرى محافظة السويداء، ولاسيّما في مدينتي السويداء وشهبا وبلدات: القريّا وعنز وأم الرمان وخربا وعرى وجبيب والأصلحة. ومن العائلات المسيحيّة: العوابدة وزخريا وخوري والعسافين والبطرس والبيطار والحداد والبدين والنمور والريشان والمليع والذيب والطبرة وأبو لوح وزغيب وسمعان والجابر وجنيدي وجبرائيل والشماس والقطامي وعصفور والرمحين وفريحات والحانوت وأغباشيان والعيد ومفلح والنمر ومخول... وقد التزم المسيحيّون الحياد تجاه الحراك والأحداث التي جرت في المحافظة منذ عام 2011، لخصوصيّتهم كونهم أقليّةً صغيرةً تعيش مع أقليّةٍ أكبر، باستثناء قلّةٍ من الأفراد. ومنه مشاركة أحد أبنائها في الاعتصام الذي نفّذته المعارضة في مدينة "صلخد" في 1 نيسان/ أبريل 2011. ونذكر أيضًا سيرين خوري (محامية حقوقيّة، شاركت في أحد الاعتصامات التي نفّذها المحامون الأحرار في فرع نقابة المحامين في السويداء، واعتُقِلت عشرة أيّام في عام ٢٠١١). ولقد انخرط أغلبيّة المسيحيّين في المحافظة، كما الدروز، في الحركة السياسيّة العلمانيّة في ستينيّات وسبعينيّات القرن المنصرم، سواء أكان هذا في الأحزاب القوميّة أو اليساريّة، ونذكر منهم، على سبيل المثال، نعيم خوري (شخصيّة محلّيّة معارضة، اعتُقِل مرّتين: في عام 1966، لمدّة أربع سنواتٍ، وفي عام ١٩٩٣، لمدّة عشرة أشهر).

المسلمون "السنّة": يتوزّع السنّة في محافظة السويداء ضمن مدينة السويداء وفي قرى: ذيبين وأم الرمان وعنز وعرى وشقا. ومن العائلات السنيّة في محافظة السويداء: الغوثاني واللحام

والنعسان والحمود ومطاوع والنابلسي والعقلة والعلي. وبقيت هذه العائلات على الحياد تجاه الحراك في محافظة السويداء والأحداث التي جرت فيها منذ عام 2011، باستثناء عدّة أفراد.

البدو: يتوزّع البدو من سكّان محافظة السويداء في أطراف مدينة السويداء الشماليّة والشرقيّة في أحياء: (المقوس والمشورب والحروبي ورجم الزيتون) وفي الدياثة والشقراوية، إضافة إلى وجود تجمّعاتٍ للبدو في مدينة شهبا وقرى وبلدات (الأصلحة والرحا والكفر وعريقة والمزرعة وولغا ووقم والخرسا وعرى وأم الزيتون والقريّا وذيبين...) ويتوزّعون في باقي قرى وبلدات ومدن محافظة السويداء كرعاةٍ للمواشي من دون تجمّعاتٍ لهم.

إضافةً إلى انتشارهم في بادية السويداء التي تلتصق ببادية دمشق الجنوبيّة وتصل إلى قاعدة "التنف" التي تتّخذ منها القوّات الأميركيّة والبريطانيّة قاعدةً لها، وإلى الحدود الأردنيّة وتتّصل بمنطقة "اللجاة" وبادية الحماد، وأهمّ القرى والمناطق في بادية السويداء: رجم الدولة، ورجم البقر، وشنوان، والأصفر، والكراع، والساقية، والرشيدة، وتلول رغيلة، وتلول الصفا، وتل أبو غانم، والسبع بيار، وقبر الشيخ حسين، والزلف، وعليا، والمصيدة، والعورة، وخربة الأمباشي، والهبارية، وقاع البنات، والدياثة، والثوير، والرصيعي، والصريخي، وأشهيب، ومرتع الفرس، وأبو حارات. ومن أهم عائلات وعشائر البدو في محافظة السويداء: الغياث والحسن والمساعيد والعدوان والرمثان والجملان والحواسنة والربيدان والهتم والسردية والعميرات والجوابرة والعتايجة والسلوط والشرفات والسرور والشنابلة والطحان والفاعور والمطلق والزبيد والعمور والدكاك والسبتي والسحيمان...

صورة ملتقطة لبادية السويداء من إحدى قرى السويداء الشرقيّة، تظهر اتّساعها ووعورتها. (المصدر: الإنترنت)

النازحون إلى محافظة السويداء: بدأت موجات النزوح تتوافد إلى المحافظة منذ منتصف عام 2011 من المحافظات السوريّة التي حاصرتها سلطة الأسد وأمعنت فيها قتلًا ودمارًا. وبلغ توافد النازحين ذروته بين عامي 2012 و2013، حيث قدّر ناشطون عدد النازحين الذين توافدوا إلى المحافظة بـ 250 ألف نسمة منهم من استقرّ فيها ومنهم من غادرها (لا توجد إحصاءاتٌ رسميّةٌ في ما يتعلّق بعدد النازحين في المحافظة). بعد عام 2015 بدأ النازحون بمغادرة السويداء تدريجيًّا، بسبب الأحداث الأمنيّة التي وقعت فيها، وانتشار عصابات الخطف والجريمة فيها، حيث أصبحت مكانًا غير آمنٍ لهم. وخلال فترة وجود النازحين في السويداء بقوا على الحياد تجاه الحراك فيها ولم يتدخّلوا بالأحداث التي وقعت فيها.

2- علاقة الدروز بالبدو من سكّان المحافظة

يعود التوتّر بين سكّان محافظة السويداء (الحضر والبدو)، إلى حقبٍ زمنيّةٍ قديمةٍ حيث كانت تنتشر ثقافة "الغزو" انتشارًا كبيرًا فيها، إلّا أنّ المناوشات بينهما خمدت منذ عام 1920،

ولاسيّما بعد مشاركة بعض أبناء عشائر البدو كـ"السرديّة" و"السلوط" بالثورة السوريّة الكبرى عام 1925 جنبًا إلى جنبٍ مع الدروز. وبقي هذا الحال إلى أن استلم حافظ الأسد السلطة فلعب على الانقسامات المجتمعيّة وتفتيت وتذرير الشعب السوريّ إلى جماعاتٍ غير متماسكةٍ وانتماءاتٍ ما دون وطنيّةٍ رغم تركيزه بخطابه على عكس ذلك، إلّا أنّه ضبطها ضمن حدود العداء والبغضاء فحسب، ولم يسمح بحدوث صدامٍ مباشر. وبقي الوضع مهدّدًا بالانفجار إلى أن وقع في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2000، بعد استلام الوريث القاصر دستوريًّا للسلطة في سورية بعدّة أشهر. عندما أقدم أشخاصٌ مرتبطون أمنيًّا من بدو السويداء على رمي "حمار نافق" في إحدى مقابر الدروز، وتكرّرت اعتداءات بعض زعماء البدو المتنفّذين أمنيًّا كونهم على علاقةٍ قويّةٍ مع القوى الأمنيّة في المحافظة، ويعملون في تهريب الممنوعات من أسلحةٍ وموادَّ مخدّرةٍ وغيرها، وعلى رأسهم الشيخ سعود السعيد الذي أقدم على قتل الشاب ثامر الأعوج، بأعصابٍ باردةٍ، عندما احتجّ الأخير على رعي قطيع "السعود" في كرمه وما سبّبه من أذيّةٍ للمزروعات فيه، وهو شابٌّ من بلدة "الرحا" وكان طالبًا في الثانويّة الصناعيّة في مدينة السويداء. عندها خرج زملاؤه في المدرسة لتعمَّ المظاهرات السويداء كلّها[6]، وحدثت حوادث انتقامٍ فرديّة من المتظاهرين تجاه بدو المحافظة من الذين لا علاقة لهم بالأحداث. وحينها وقفت السلطات الأمنيّة موقف المتفرّج، بل أجّجت الصراع من خلال دعاياتها الأمنيّة المسمومة، ولكن سرعان ما فهم سكّان المحافظة اللعبة فتوجّهت مظاهراتهم باتّجاه السلطة، وطالب المتظاهرون حينها السلطة بمعاقبة الجناة وتسليمهم سعود السعيد، إلّا أنّها تعنّتت وهرّبت "السعيد" ومجموعته إلى خارج السويداء. عندها ازدادت حدّة المواجهات وأخذت طابع المواجهة مع السلطة التي حاولت أن تصوّر الأحداث في السويداء على أنّها خلافاتٌ بين الدروز والبدو وأشاعت تسميتها بـ"أحداث البدو" للإمعان في تسويقها على أنّها صراعٌ بين الدروز والبدو، لتستثير بذلك عواطف عشائر سورية وتحشّد لمعركةٍ مقبلةٍ مع الدروز.

بعد توسّع المظاهرات وانتقالها إلى مظاهراتٍ ضدّ السلطة، اقتحم الجيش مدينة السويداء وانتشر فيها ونفّذ فيها بشار الأسد أولى مجازره أمام المشفى الوطنيّ في مدينة السويداء، والتي راح ضحيّتها 22 ضحيّة، وكانت معظم الإصابات في الرأس والبطن والصدر بالرصاص "المتفجّر" المحرّم دوليًّا، بحسب تقرير الأطباء الشرعيّين حينها، وعشرات الجرحى، وحاصر الجيش مدينة السويداء بالدبابات والمدفعيّة، حيث تمركزت الدبابات على دوّار الملعب البلديّ والساحات الرئيسة في المدينة. وكان المتظاهرون قد اقتحموا مبنى المحافظة واحتجزوا المحافظ وأعضاء اللجنة الأمنيّة فيه. ومنذ ذلك الحين غدت السويداء كثكنةٍ عسكريّةٍ، حيث عزّزت القوى الأمنيّة مواقعها وانتشارها فيها، وانتشر الجيش انتشارًا أوسع في المحافظة.

6 - جانب من هبّة أبناء محافظة السويداء والمواجهات مع القوى الأمنية، في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2000.
https://youtu.be/Qsp1_elSzhY?t=6

صورة ملتقطة لمظاهرة داخل مدينة السويداء عام 2000. (المصدر: مقطع مصوّر نشرته "تنسيقيّة مدينة السويداء")

وبعد مجزرة عام 2000، تجدّد العداء بين الفريقين (البدو والحضر)، لكنّه أخذ طور الكمون، وبينما حاولت فاعليّاتٌ اجتماعيّةٌ من كلا الطرفين جسر الهوّة، استمرّت الأجهزة الأمنيّة، مباشرةً أو عبر مرتبطين بها، في تكريس هذه الهوّة للاستثمار فيها بناءً على سياسة "فرّق تسد"، من دون وقوع أحداثٍ تذكر حتى عام 2011. وبعد انطلاق الثورة في آذار/ مارس 2011، اعتمد رئيس فرع الأمن العسكريّ في السويداء، العميد وفيق ناصر، على مجموعة من البدو والدروز والحوارنة، اعتمادًا مركزيًّا لافتعال الأزمات داخل محافظة السويداء ومع جارتها درعا، حيث توزّعت هذه المجموعة بقيادة جامل البلعاس المقرّب من وفيق ناصر والمدار من قبله؛ فانخرط بعض عناصرها في الجيش الحرّ والمفضوحون منهم بقوا على علاقاتهم مع النظام من دون تستّر، وآخرون تعاونوا مع "جبهة النصرة". وعند ظهور "داعش" انتمى بعض عناصرها من البدو إليه وبايعوه وأصبحوا قادةً في صفوفه. وستظهر الدراسة، في أكثر من موقع، كيف وظّفت سلطة الأسد هذه المجموعات في ما يتعلّق بإدارة ملفّ الفتنة بين البدو والدروز وأيضًا بين محافظتي درعا والسويداء وتأجيج الصراع فيما بينهم.

3- علاقة المحافظتين الجارتين (درعا والسويداء)

أشاعت سلطة الأسد منذ انطلاق الحراك الشعبيّ في محافظة درعا أنّ سكّان السويداء يساعدونها في حصار درعا وفي عمليّاتها العسكريّة فيها، وحرصت لإثبات ادّعاءاتها، وبقصد التمكين، على أن يكون أفرادٌ معلومون من شريحة "الشبيحة" في صدارة المشهد العامّ. وعندما تشكّلت الميليشيات في السويداء زجّت بها سلطة الأسد في عمليّاتها العسكريّة في محافظة درعا، وسوّقتها كعنصرٍ مهمٍّ وداعمٍ لها في حربها هناك على ما أطلقت عليه اسم "الإرهاب". مع العلم، وبحسب ما تقاطعت عليه شهادات شهودنا، أنّ عناصر تلك الميليشيات كان معظمهم يخوض تلك المعارك طمعًا بمكافآت المهمّات التي كانوا يتلقّونها إزاء ذلك، ولم يكن لهم تأثيرٌ عسكريٌّ حاسمٌ في المعارك، لضعف تنظيمهم وتدريبهم وغياب المحفّز الذاتيّ. وإذا أضفنا ما أكّده الشهود عن ارتكابها الانتهاكات بحقّ العابرين من درعا إلى السويداء، نعلم كيف انحصر أثرها في الأثر السلبيّ على علاقة المحافظتين.

Samer Sulaiman ◀ سهل وجبل نحن أهل وعدونا واحد
٥ ساعات ·

في يوم من الأيام وأثناء تعرض درعا لحصار شديد واشتداد المعارك اجتمع بعض الشخصيات من محافظة درعا برئيس فرع الامن العسكري بالسويداء وفيق ناصر من أجل السماح لادخال مواد غذائية من السويداء الى درعا ، بالفعل مُنح المجتمعين كتاب خطي بالموافقة على ادخال المواد وتفعيل الحركة التجارية ، لكن بنفس الوقت تم ابعاز حواجز ميليشيات الدفاع الوطني ذات الصبغة الطائفية والممولة ايرانياً لاعتراض المواد وعدم السماح لها بالمرور الى درعا بعد أن تكون اجتازت حواجز الجيش .

كانت رسالة خبيثة من وفيق ناصر بان من يحاصركم هم أبناء السويداء وليس الجيش والقوى الامنية .

هذا الامر عزز حالة احتقان في تلك الفترة لو لم يكن هناك عقلاء فهموا اللعبة .

منشور لـ سامر سليمان، ناشط وصحفيّ من محافظة درعا، نشره في 9 نيسان/ أبريل 2020. (المصدر: مجموعة "سهل وجبل نحن أهل وعدونا واحد" على موقع التواصل الاجتماعيّ "فيسبوك").

ولخدمة الهدف نفسه، أي إثارة الصراع الطائفيّ مع الدروز، قامت سلطة الأسد بالمبالغة في تقديم العميد عصام زهر الدين بصورة البطل الخارق المتنقّل بين المحافظات السوريّة لتأديبها، بشاربه المعقوف وعضلاته المفتولة؛ حيث قدّمه إعلام الأسد كشخصيّةٍ أسطوريّةٍ درزيّةٍ، عبر تصويره وقد التفَّ حوله مجموعةٌ من الشبّان وهم يهزجون بأغانٍ من تراث محافظة السويداء،

في مشهدٍ يظهره كقائدٍ فريدٍ قادرٍ على الافتخار بدرزيّته علنًا على رأس اللواء النظاميّ الذي يقوده. وهكذا يتمّ تقديم الجيش على أنّه جيشٌ ليس للعلويّين فحسب بل للدروز أيضًا، لإفهام الأغلبيّة السوريّة التي تُقهر أنّ الدروز شركاءُ في قتلهم، استمرارًا بنهجها في إثارة الأحقاد بين السوريّين. وهو الأسلوب الذي أعادته مرّةً أخرى بتعين ثلاثة ضبّاطٍ، برتبة عميد، من أبناء محافظة السويداء مؤخّرًا كقادة ألويةٍ في سلاح الطيران، سيّئ الصيت لدى السوريّين، والأكثر فتكًا بأرواحهم وأرزاقهم؛ حيث عيّنت العميد الركن الطيّار، عماد نعمان، قائدًا لـ" اللواء 73" التابع لمطار "خلخلة"، كما عيّنت العميد الركن الطيّار، عادل جاد الله قيصر، قائدًا لـ"اللواء 30" المتمركز في مطاري "الضمير والناصريّة"، لينضمَّ الطيّاران إلى العميد الطيّار، مشهور حديفة الذي كان قد عُيّن عام 2019 قائدًا لـ"اللواء 29 نقل جويّ" في مطار دمشق الدوليّ7.

وقد ساعد سلطة الأسد في تثبيت روايتها تلك ظهور أصواتٍ كانت محسوبةً على الثورة والحراك المجتمعيّ في محافظة درعا نحت هذا المنحى؛ ومنها الفيديو الشهير للشيخ عبد السلام الخليلي8، في نيسان/ أبريل 2011، والذي ظهر فيه "الخليلي" وهو يشتم الدروز ويستهزئ من تاريخهم ورموزهم. وتبيّن لاحقًا أنّ هذا الشيخ كان مدفوعًا من أجهزة المخابرات لوسم الحراك بالطائفيّة ومنع شرائحَ واسعةٍ من المجتمع السوريّ من المشاركة فيه، ما دفع علماء دين وأئمة مساجد في محافظة درعا للتبرّؤ من "الخليلي"[9].

وبدأت سلطة الأسد بافتعال المشكلات بين المحافظتين عبر شبكة المخبرين والفاسدين والمهرّبين وقطّاع الطرق التي يديرها "وفيق ناصر"، رئيس فرع الأمن العسكريّ في السويداء؛ مرتكزًا بذلك على درايته بالحساسيّات الدينيّة والتاريخيّة والمناطقيّة بين المحافظتين[10]. تلك الشبكة التي أسّستها أفرع المخابرات في السويداء ودرعا، ووظّفتها واستفادت منها بعمليّات التهريب منذ ما قبل اندلاع الاحتجاجات في سورية، ثمّ بعد انطلاق الاحتجاجات، عادت ووظّفتها بدورٍ إضافيٍّ جديدٍ في التفتيت وزرع الشقاق بين المحافظتين، عبر جرائم الخطف والقتل وافتعال المشكلات بين المحافظتين؛ فقبل كلِّ عمليّةٍ عسكريّةٍ في درعا أو أثناءها أو بعدها، كانت تعمد سلطة الأسد إلى افتعال مشكلةٍ ما، تهدف من ورائها إلى تجييش الشباب في السويداء. وما فتئت سلطة الأسد أن تقحم سكّان السويداء في مواجهةٍ مع محافظة درعا منتهجةً سياسةً خبيثةً تُظهر من خلالها أنّ هناك عداءً بين سكّان السويداء وسكّان درعا.

وقد توتّرت علاقة المحافظتين منذ كانون الأوّل/ ديسمبر 2011، عندما اختطفت "جبهة النصرة" ستّة عشر شخصًا[11] من السويداء، بينهم وجهاءُ فيها، على رأسهم جمال عز الدين، والذين -إلى الآن- لا يزالون مجهولي المصير. سبق هذه الجريمة هجومٌ على حاجز "المجيمر" في محافظة السويداء، ليتبع هذا الهجوم مباشرةً جريمة الخطف تلك، وهي التي عدّها ناشطون في محافظة السويداء بدايةً عمليّةً لمحاولات سلطة الأسد اختلاق فتنةٍ بين المحافظتين، عبر عملائها في محافظة درعا الموزّعين ضمن الفصائل العسكريّة و"جبهة النصرة". وقد أكّد لنا

7 - زمان الوصل، تقربا من الطائفة.. النظام يعين 3 قادة "دروز" على رأس ألوية جوية، 21 نيسان/ أبريل 2020.
https://www.zamanalwsl.net/news/article/123115/

8 - فيديو للشيخ عبد السلام الخليلي يشتم فيه الدروز ويستهزئ من تاريخهم، نيسان/ أبريل 2011.
https://youtu.be/PqpjqycBpjQ?t=39

9 - بيان علماء حوران، الوثيقة رقم (4)

10 - الخطيب، همام، في علاقة السويداء بدرعا في زمن الثورة، مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية، كانون الأول/ ديسمبر 2014.
https://goo.gl/Kv6t7R

11 - للاطلاع على أسماء الأشخاص الذين خطفتهم "جبهة النصرة" انظر الوثيقة رقم (8).

أحد أصدقاء جمال عز الدين، قائلًا: "إنّ ما جرى ما هو إلّا عقابٌ لجمال عز الدين لرفضه طلب رئيس مكتب الأمن الوطنيّ، علي مملوك، إصدار بيانٍ ضدّ وليد جنبلاط الذي طلب، في مقابلةٍ تلفزيونيّةٍ، من دروز سورية الانفكاك عن النظام، فأوعزت الأجهزة الأمنيّة لعملائها في درعا باختطاف عز الدين ومن معه".

وفي مقابل خطاب النظام الهادف إلى تخويف الدروز من أبناء درعا وتحشيدهم للوقوف ضدّهم، صدرت بياناتٌ عديدةٌ من أهالي درعا وعشائرها وقيادتها العسكريّة تهدف إلى طمأنة الدروز، ولاسيّما بيان مجلس قبيلة النعيم[12]، والبيان الصادر عن عشائر اللجاة[13]، والبيان الصادر عن الجيش الحرّ في الجبهة الجنوبيّة[14] في تاريخ 16 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2014. وكان مفادها التحذير من الفتنة التي يسعى لها النظام وأعوانه، والتأكيد على حسن الجوار، والإشارة إلى تاريخ بني معروف المشرّف والوطنيّ، وبثّ مقولة سورية لكلّ أبنائها.
وعلى الرغم من محاولات سلطة الأسد المحمومة زرع الشقاق بين المحافظتين، إلّا أنّها لم تنجح بذلك، واستطاعت الفاعليّات الأهليّة والمدنيّة ضبط المشكلات وحصارها قبل وقوع الفتنة؛ فما انفكّ متظاهرو السويداء يصدحون باسم درعا في كلّ مظاهرةٍ خرجوا فيها. ومع بداية نزوح الأهالي من درعا هربًا من قتل وتنكيل النظام السوريّ، أعلن معارضو السويداء أنّ السويداءَ مضافةٌ لأهالي درعا، وقام الناشطون باستقبال النازحين وتأمين المأوى والحاجات الضروريّة لهم. كما قام بعض ناشطي السويداء بتوصيل الطعام والدواء للأهالي المحاصرين في محافظة درعا وتحديدًا مدن وقرى: الحراك وبصرى الشام والغارية وغيرها من القرى والمدن المنكوبة، ليؤكّدوا على وحدة الشعب السوريّ وأنّه لا يقبل القسمة والتفرقة، ولضرب إستراتيجيّة النظام في تحييد السويداء معلنين في نشاطهم هذا نبذ الطائفيّة والمناطقيّة وأنّ الثورة السوريّة ثورةٌ لكلّ السوريّين على اختلاف انتماءاتهم الطائفيّة أو العرقيّة.

Yasser Aljayoush ◄ سهل وجبل نحن أهل وعدونا واحد
ساعة واحدة ·

بسعدصباح الغالمين

رح انقل قصة حقيقية صارت في ال 2011 مع بدايات ثورة الكرامة والحرية عندما اقتحم الأسد قرى شرقي حوران وعاث قتلاً و حرقاً ودماراً
المهم الحرق ما استثنى الصيدليات يعني ما ضل شي وفي شباب اتصاويت
الحل الوحيد والعاجل كان لجلب الأدوية هي السويدا
راحوا الشباب عالسويدا يجيبوا الدوا ورباطات الجروح والمعقمات
للأمانة لم يبخل صيدلي واحد بفتح صيدليته وتقديم كل ما يلزم بروح عالية وطيبة وبلا أي مقابل مع إصرار الشباب على دفع ثمن تلك الأدوية إلا أن كان الرفض القطعي من الطرف المقابل وللأمانة
ولسرد القصة كاملة إلا صيدلي واحد كان في المهنة مستجد وكل الأدوية لديه كان لم يسدد ثمنها بعد ، خجل الرجل معتذراً وقال لكم الدواء بسعر الجملة دون أي فائدة وكأن اذا تقاضى ثمن الدواء معيبة في حقه
أهلنا أهل السويدا أهل الكرم والطيب تحية لكم
بالمناسبة تقدير وإحترام الصيدلي الذي تقاضى ثمن الداواء لا قل لدينا عن الباقيين ولو بقيد أنملة

منشور لـ "ياسر الجيوش" من محافظة درعا. (المصدر: مجموعة "سهل وجبل نحن أهل وعدونا واحد" على موقع التواصل الاجتماعيّ "فيسبوك")

وبعد عام 2015 تزايدت جرائم الخطف بين المحافظتين تزايدًا ملحوظًا، وأخذت طابع الجريمة المنظّمة عبر شبكةٍ تمتدّ بين المحافظتين، عمادها عناصرُ من الميليشيات التي كانت تتبع لسلطة الأسد وتموّل من إيران قبل تفكّكها وانتقالها إلى طور "المافيا"، وانتقال جلّ عناصرها للعمل كعصابات خطفٍ وتهريبٍ وترويجٍ للمخدّرات في كلا المحافظتين. ولقد جرى ذلك برعاية

12- الاطلاع على البيان: www.alwatanvoice.com/arabic/news/2014/08/19/580052.html
13 - الاطلاع على البيان: www.facebook.com/ananas4957/posts/426684457473329
14 -للاطلاع راجع الوثيقة رقم (3).

الأجهزة الأمنيّة، التي سهّلت لها عملها لتتقاسم وإياها الغنائم وعائدات الجرائم، وتوظّفها كلّما اقتضت الضرورة في مهمّاتٍ أمنيّة. وإلى الآن لا تزال أخطار وقوع الفتنة تطلّ برأسها بين المحافظتين، وتذكي نارها الأجهزة الأمنيّة، عبر عصاباتها فيهما؛ ففي 27 آذار/ مارس 2020 تصاعدت الأحداث بين المحافظتين تصاعدًا لافتًا، وكادت أن تودي بالسلم الأهليّ بينهما لولا تدخّل العقلاء من كلا المحافظتين؛ حيث راح ضحيّة هذه الأحداث 16 قتيلًا وخمسة جرحى في بلدة "القريا" (جنوب مدينة السويداء 20 كم) بكمينٍ نصبته "قوّات أحمد العودة" التابعة للفيلق الخامس الروسيّ، على خلفيّة جريمة خطفٍ نفّذتها إحدى عصابات السويداء التابعة للقوى الأمنيّة ولها علاقاتٌ مع "قوّات أحمد العودة". مع العلم أنّ المكان الذي وقعت فيه الاشتباكات قريبٌ جدًّا من أماكن تمركز قوّات سلطة الأسد في بلدة "عرى" المجاورة لبلدة "القريّا"، وبقي الاشتباك أكثر من ساعتين من دون أن تتدخّل القوى الأمنيّة والجيش في المعركة. ولقد ظهر مدى مراهنة سلطة الأسد على نشوب الحريق في السهل والجبل جليًّا، في منشورٍ لعضو مجلس الشعب السوريّ وأمين سرّه، خالد العبود، نشره على صفحته في موقع التواصل الاجتماعيّ "فيسبوك" في 6 أيّار/ مايو 2020، بعنوان (لكن... ماذا لو غضب الأسد من "بوتين"؟!!!)، وقال فيه: ماذا لو أنّ الرئيس الأسد غضب من "بوتين"، ودفعه إلى أتون حريقٍ في "حوران"، سهلًا وجبلًا، ماذا لو جيّشت استخباراته آلاف الناقمين على "روسيا"، وعلى تدخّلها وإملاءاتها على السوريّين؟!!

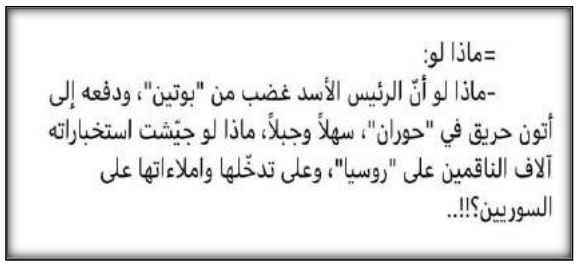

من منشور خالد العبود (المصدر: صفحة عضو مجلس الشعب خالد العبود، على موقع التواصل الاجتماعيّ "فيسبوك")

4- لمحة عن الحراك الثوريّ والمطلبيّ الذي شهدته محافظة السويداء

تفاعلت محافظة السويداء مع الثورة السوريّة كباقي المحافظات في سورية؛ فأصبحت "المضافات" فيها "صالونات" للحديث عن الشأن العامّ، واختلفت الآراء بين مؤيّدٍ للحراك ورافضٍ له ومشترطٍ عليه. وسرعان ما انطلقت الاحتجاجات في المحافظة إلّا أنّها أخذت طابع النخبويّة (ولم تشهد السويداء احتجاجاتٍ شعبيّةً واسعةً، باستثناء مظاهرات تشييع الشهداء، ولاسيّما المظاهرة التي خرجت في تشييع الشيخ وحيد البلعوس، قائد حركة "مشايخ الكرامة"). وقد طُرحت في البداية شعاراتٌ في إطار الإصلاح السياسيّ من قبيل: رفع حالة الطوارئ، وإلغاء الأحكام العرفيّة، والحقّ في تداول السلطة، وكفّ يد الأجهزة الأمنيّة... ثمّ ارتفع سقف تلك الشعارات بفعل قمع السلطة الأمنيّة وعدم تجاوبها مع مطالب المحتجّين، فأصبحت تتناول رأس النظام، ورُفع شعار "إسقاط النظام"، ثمّ "إعدام الرئيس"، وهو ما ينطبق على جميع المناطق السوريّة التي شهدت احتجاجات.

وقد بدأ الحراك في محافظة السويداء في 27 آذار/ مارس 2011، عندما سجّل محامو السويداء أوّل اعتصامٍ نقابيٍّ في سورية بعد انطلاق الاحتجاجات، أمام مبنى فرع النقابة في مدينة السويداء[15] لنصرة درعا، وكانوا قد تلوا بيانًا[16] في تاريخ 2011/3/24، طالبوا من خلاله

15- الاطلاع على تسجيل الاعتصام على الرابط: www.youtube.com/watch?v=YuY9KfKFTTE

"برفع الطوق الأمنيّ المفروض على محافظة درعا والتحقيق الجادّ والشفّاف بالحوادث التي ترافقت مع إطلاق الرصاص على المواطنين العزّل"، وطالبوا أيضًا برفع حالة الطوارئ والأحكام العرفيّة وبإلغاء المحاكم الاستثنائيّة وتحقيق مبدأ فصل السلطات. واستمرّ حراك محامي السويداء ضمن هيئتين: "محامو السويداء من أجل الحريّة"، ثمّ "محامو السويداء الأحرار" ولم يدّخروا جهدًا في الدفاع عن المعتقلين بشكل تطوّعيٍّ ومجانيٍّ على مدى سنوات الثورة، كما شكّلوا حالةً تضامنيّةً فريدةً تجلّت في تنفيذ الاعتصامات في مبنى فرع النقابة كلّما اعتقلت سلطة الأسد أحد المحامين في محافظة السويداء، للضغط عليها لإطلاق سراحه.

ومن 3/27 إلى 2011/3/31 اعتصمت مجموعةٌ من الناشطين في مدينة السويداء وأشعلت الشموع احتجاجًا على القتل والعنف الذي استخدمه النظام في درعا. وبعدها نفّذت مجموعةٌ من الناشطين اعتصامًا في ساحة مدينة "صلخد" بتاريخ 2011/4/1 نصرةً لأهالي درعا. ولعلّ أبرز الوقفات الاحتجاجيّة في عام 2011 تلك التي نفّذت في 2011/7/19، أمام نقابة المحامين، وشاركت فيها فاعليّاتٌ نقابيّةٌ إلى جانب المحامين، وأصدروا بيانًا باسم تجمّع النقابيّين والفاعليّات العامّة في محافظة السويداء: محامين، مهندسين، وأطباء، وأطباء الأسنان، الصيادلة، مدرسين وكتّاب وتجّار وفاعليّات عامّة أخرى. وجاء في البيان:

"لحن تجمع النقابيين والفعاليات العامة في محافظة السويداء: محامين، مهندسين، وأطباء، وأطباء الأسنان، الصيادلة، مدرسين وكتاب وتجار وفعاليات عامة أخرى.

أهلنا الأعزاء في سورية الغالية:

سورية حضارة الـ 5000 عام، سورية الأبجدية. سورية الكنائس والمساجد جنباً الى جنب. سورية في البدء كانت الكلمة، ولا فرق بين عربي أو أعجمي وأبيض وأسود. سورية أولى البلدان التي عرف أبناؤها التجارة وركبوا البحار، ومن سهول حوران عرف القمح وأصبح غذاء لمعظم أبناء البشرية.

سورية الأكثرية بكل مكوناتها وإثنياتها وطوائفها وأطيافها، وكل واحد منها هو جزء من الأكثرية وليس جزءً من طائفة أو مكون ما. ومتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. من هنا من سويدائكم الأبية نعلن ما يلي:

1- نرى مستقبل سورية في دولة تعددية مدنية ديموقراطية عنوانها سيادة القانون، تعمل على الحفاظ على السلم الأهلي وتكريس مبدأ التسامح.
2- تفكيك الدولة الأمنية وإعادة هيكلة الأجهزة الأمنية، بما يتوافق مع حرية وكرامة المواطن والحفاظ على الوطن وهيبته، وكفّ يد الأجهزة الأمنية فوراً عن الاعتقال الكيفي، والإفراج عن معتقلي الرأي.
3- نرفض الفتنة الطائفية، ونعلن أن من يعمل بمنظار طائفي هو قاتل للحرية والوحدة والوطنية التي يطالب بها الشعب السوري.
4- نرفض القتل والعنف بحق المتظاهرين السلميين، ونؤيد الحراك الشعبي السلمي المحقق والمشروع للمطالبة بالحرية والكرامة التي يبتغيها الشعب السوري.
5- سحب الجيش والمظاهر المسلحة كافة من الشوارع والمدن السورية.
6- نرفض التدخل الخارجي.

16- للاطلاع على البيان راجع الوثيقة رقم (1)

7-نرفض الفوضى المتمثلة بحالة الانفلات الأمني والقانوني في محافظة السويداء خاصة، وذلك بالتغاضي عن العصابات المسمّاة باللجان الشعبية، والمؤلفة من أفراد من الأهالي المعروفين بسوء أخلاقهم وخلفيتهم الجرمية والمنتشرين في شوارع المدينة، مسلحين بأدوات قاتلة تستهدف المواطنين العزّل والمتظاهرين السلميين، والأملاك الخاصة على مرأى ومسمع الضابطة العدلية والفروع الأمنية، مما يجعل المسؤولية تقع على عاتق السيد المحافظ والنائب العام وأمين الحزب بالسويداء.

وإننا نرى إن أولى مهام الدولة المدنية هي الحفاظ على الأمن لأن ذلك من صلب سيادتها، وهذا يستوجب عدم إيلاء تلك المهمة إلى الخارجين عن القانون (البلطجية). فالدولة هي التي تحتكر تحقيق الأمن لكل أبناء الشعب السوري وفق الأصول القانونية والدستورية.

السويداء 19-07-2011"

وما إن انقضت بضعة أشهر على انطلاق الثورة السوريّة حتّى تشكّلت في محافظة السويداء مؤسّساتٌ ثوريّةٌ وسياسيّةٌ اتّسمت بمحاولات التنظيم والتنسيق فيما بينها قبل أن تتفكّك أو تصبح صوريّة؛ فكان هناك جناحٌ سياسيٌّ يمثّله "تجمّع القوى الوطنيّة في السويداء"[17]، وجناحٌ عسكريٌّ يمثّله المجلس العسكريّ للسويداء بقيادة، العقيد مروان الحمد، ويعمل في محافظة درعا، وجناحٌ إعلاميّ تمثّله "تنسيقيّة محافظة السويداء"، وجناحٌ ماليٌّ يمثّله "صندوق محافظة السويداء". إضافةً إلى العديد من القوى الثوريّة، ومنها المحامون الأحرار. لكن هذه المؤسّسات تراجع دور معظمها منذ أواخر عام 2013، وبدأ نشاطها يقتصر على نشاط أفرادٍ فيها، وضعف نشاطها كمؤسّساتٍ ثوريّة. ولسنا هنا في صدد البحث في الأسباب التي أدّت إلى ذلك.

ومنذ عام 2011 انشقّ عددٌ من الضبّاط والعناصر من أبناء محافظة السويداء كانوا يخدمون في الجيش السوريّ، بعضهم انخرط في صفوف الجيش الحرّ ولاقى ترحيبًا شعبيًّا كبيرًا، وتحديدًا في محافظة درعا، إلى أن تأسلمت التشكيلات العسكريّة وانتشر الفكر التكفيريّ. ونذكر على سبيل المثال، الملازم أوّل المهندس خلدون زين الدين الذي انشقّ عن جيش الأسد في تشرين الأوّل/ أكتوبر 2011، وأعلن انضمامه إلى " لواء الضبّاط الأحرار"، ليشكّل بعدها كتيبة "سلطان الأطرش" التي شاركت في عدّة معاركَ في محافظة درعا. وبحسب ناشطين فإنّ سلطة الأسد استدرجت خلدون لدخول محافظة السويداء عبر شخصيّاتٍ محسوبةٍ على المعارضة؛ حيث أوهمته أنّ المناخ مهيّأٌ في المحافظة لتحريرها، وأنّها على تنسيقٍ عالٍ مع مجموعاتٍ قتاليّةٍ في المحافظة، فدخل المحافظة على رأس حملةٍ عسكريّةٍ، ليحاصر فيها من دون تدخّل أيّ مجموعاتٍ قتاليّةٍ لمساندته، واستشهد على ثراها في معركة "ظهر الجبل" في تاريخ 14 كانون الثاني/ يناير 2013. ونذكر أيضًا العقيد الطيّار حافظ فرج الذي انشقّ عن جيش الأسد في حزيران/ يونيو 2012، وأسّس مع خلدون زين الدين والعقيد المنشقّ مروان الحمد "مجلس السويداء العسكريّ" في محافظة درعا الذي تسلّم قيادته العقيد مروان الحمد؛ وقد شارك "المجلس" بعدّة معارك في محافظة درعا، أهمّها معركة "عمود حوران"، إلّا أنّ المجلس العسكريّ حلّ بعد تراجع التمويل[18] بسبب سيطرة التوجّه الإسلاميّ لدى المعارضة المهيمنة

17 - البيان التأسيسي لـ"تجمع القوى الوطنية في السويداء"، 10 تشرين الأوّل/ أكتوبر 2011.
https://souriahouria.com/%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D8%AA%D8%AC%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84/

18 - زمان الوصل، العقيد الحمد: الفصائل المعتدلة لم تُدعم كما يكفي وهذه قصة السويداء مع قطاعنة، أيلول/ سبتمبر 2014.

على مؤسّسات الائتلاف المعنيّة بالقطاع العسكريّ ورغبتهم في التخلّص من كلّ التشكيلات العلمانيّة. وهو التوجّه الطائفيّ الذي ظهرت إرهاصاته منذ تشكيل المجلس الوطنيّ الذي قام على المحاصصة الطائفيّة وإرضاء الأقليّات، لا على البرنامج الوطنيّ الجامع الذي يحفظ حقوق الجميع تحت سقف الدولة والقانون؛ حيث لا وجودَ لأكثريّةٍ وأقليّةٍ إلّا في العمليّة الديمقراطيّة وصناديق الاقتراع فحسب. ونذكر أيضًا عسكريّين من محافظة السويداء انشقّوا عن جيش الأسد والتحقوا في صفوف الجيش الحرّ، ومنهم شقيق خلدون زين الدين الملازم أوّل فضل زين الدين، والملازم أوّل أميرة أبو حصاص التي انشقّت عن جيش الأسد، ولاحقًا عقد قرانه عليها خلدون في مدينة "الحراك" في محافظة درعا، والملازم أوّل مهند العيسمي، والنقيب شفيق عامر، والمساعد أوّل سامر البني الذي استشهد في معركة "ظهر الجبل"، والرقيب الأوّل المنشقّ مجد زين الذي استشهد في "الرستن" في تموز/ يوليو 2012، والعسكريُّ المنشقّ سمير أبو فخر والشابّ باسل الشمندي اللذان استشهدا في غوطة دمشق. الأسماء كثيرةٌ لا يمكن التعريج عليها كلّها لأنّ كثيرًا من أبناء السويداء انشقّوا عن جيش الأسد ولم يعلنوا انشقاقهم بسبب خوفهم على أهاليهم من سلطة الأسد التي لاتزال تسيطر على المحافظة، ومن الأسماء المعروفة التي هي الآن خارج سورية: اللواء الطيّار فرج المقت، والعميد خالد الحلبي الذي كان رئيس فرع المخابرات العامّة في محافظة الرقة. ونذكر من الإعلاميّين المنشقّين الدكتور يحيى العريضي، ومن القضاة المنشقّين القاضي أنور العفيف.

ومع بداية نزوح السوريّين من محافظات درعا وريف دمشق وحمص هربًا من قتل وتنكيل سلطة الأسد، أبدى سكّان محافظة السويداء، بغضّ النظر عن مواقفهم السياسيّة (معارضة/ موالاة) استعدادًا لاستقبال أخوتهم السوريّين، حيث بلغ عدد النازحين في المحافظة ما يقارب 200 ألف نازحٍ (إحصاء تقديريّ غير رسميّ)، وهي المحافظة التي رفض سكّانها نصب الخيام للنازحين من محافظات سورية إليها، بل استقبلوهم في بيوتهم في الفترات الأولى للنزوح، على الرغم من أنّ قوّات الأسد الأمنيّة كانت في أوج سطوتها لكنّ هذا لم يؤثّر على قرار سكّان السويداء في استقبال "ضيوفهم" (كما درج المصطلح على لسان الكثيرين في المحافظة) وتأمين حاجاتهم. ووصلت مساعدات محافظة السويداء إلى أغلب المحافظات السوريّة؛ إلى محافظة حماة (اللطامنة، وكفر زيتا، وخطاب...) وإلى قرى وبلدات درعا (الحراك، والغارية الغربية، وبصر الحرير، وأم ولد، وغيرها من القرى والبلدات). كما امتدّت المساعدات إلى حمص وتحديدًا "حيّ الخالدية" و"دير بعلبة"، حيث شرع ناشطون بتجهيز مشفى ميدانيٍّ في "دير بعلبة" باسم "مشفى السويداء" إلّا أنّ قوّات النظام قصفته قبل اكتماله، إضافةً إلى وصول المساعدات إلى مدن "داريا" و"دوما" و"حرستا" و"زاكية" في ريف دمشق، و"جبل الزاوية" في محافظة إدلب، وغيرها من المناطق السوريّة.

وفي أواخر عام 2015، بدأت المحافظة تشهد حراكًا من نمطٍ مختلفٍ يركّز على تحسين الأوضاع المعيشيّة، وأخذت الاحتجاجات طابعًا مطلبيًّا[19]، وإن تصاعدت في بعض الأحيان لتأخذ شكل احتجاجاتٍ ثوريّةٍ وتحمل شعارات الثورة السوريّة. ومنها حملة "خنقتونا"[20] التي

---

https://www.zamanalwsl.net/news/article/53801/

19 - الخطيب، همام، "الاحتجاجات المطلبيّة في محافظة السويداء – أسبابها، آلية السلطة في قمعها، اتجاهات الرأي حولها"، مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية، آب/ أغسطس 2017.
https://goo.gl/MJ2tZ6

20 -رابط صفحة حملة "خنقتونا" على "الفيسبوك"

حدّدت هويّة احتجاجاتها بأنّها سلميّةٌ وذات طابعٍ مطلبيٍّ للضغط على الحكومة من أجل دفعها إلى تحسين الواقع المعيشيّ والخدميّ للمحافظة. وقد نفّذت هذه الحملة عدّة تظاهراتٍ واعتصاماتٍ، كان أكثرها زخمًا الاعتصام الذي نفّذ في تاريخ 3 أيلول/ سبتمبر 2015، أي قبل تفجيري السويداء بيومٍ واحدٍ، واللذين راح ضحيّتهما عشرات الشهداء، وعلى رأسهم قائد حركة "مشايخ الكرامة"، وحيد البلعوس، لتنتهي بعد ذلك تلك الحملة بسبب الظروف الأمنيّة التي عاشتها المحافظة آنذاك. بعدها أطلق ناشطون في محافظة السويداء حملة "حطمتونا"[21] التي سبقها مسيرٌ طلابيٌّ نفّذه عشرات الطلاب، احتجاجًا على الفصل التعسفيّ الذي طال مدرّسيهم على خلفيّة انتماءاتهم السياسيّة أو لأنّ بعضهم مطلوبٌ لأداء الخدمة العسكريّة، تحت عنوان حملة "معًا لإعادة المدرّسين إلى مدارسهم"[22]. وبدأت حملة "حطمتونا" أولى اعتصاماتها في تاريخ 12 نيسان/ أبريل 2016، وقد تزامنت مع انتخابات مجلس الشعب، وأطلقت شعارات محاربة الفساد وتحسين الواقع المعيشيّ والخدميّ، إلّا أنّ شعاراتها تطوّرت تطوّرًا لافتًا بعد مظاهرة 17 نيسان/ أبريل 2016، حيث أخذت منحى سياسيًّا؛ فحيّا المتظاهرون المدن الثائرة واستنكروا ممارسات سلطة الأسد وحلفائها الإجراميّة بحقّ الشعب السوريّ، كما قام المتظاهرون بترديد أغاني الثورة (جنّة جنّة جنّة... سورية يا وطنا). إضافة إلى إطلاق اسم ساحة "الكرامة" على ساحة "الرئيس" سابقًا وكتبوا اسم "ساحة الكرامة" على قاعدة تمثال "حافظ الأسد" الذي حطّمه المتظاهرون بعد اغتيال "شيخ الكرامة" (البلعوس)، ووضعوا صورةً كبيرةً لقائد الثورة السوريّة الكبرى، سلطان الأطرش، مكانه. وفي شهر آب/ أغسطس من السنة ذاتها تجدّدت الحملة بعد مقتل الشاب "ريّان أبو فخر" على يد "علاء بلان" الذي يعمل لصالح فرع الأمن العسكريّ وهو متعاقدٌ معه، وشهدت المحافظة على إثر ذلك موجات احتجاجٍ تطالب بإعدام القاتل ومحاكمة الفاسدين في المحافظة، وعلى رأسهم رئيس فرع الأمن العسكريّ، وفيق ناصر. وتلت حملة "حطمتونا" حملة "بدنا نعيش"[23]. سبقت هذه الحملة اعتصاماتٌ متتاليةٌ نفّذها أصحاب حافلات النقل (السرافيس) في تموز/ يوليو 2017، احتجاجًا على عدم توفّر مادّة "المازوت"، وقاموا بقطع أحد الشوارع الرئيسة في مدينة السويداء (المحوريّ)، ما عرقل حركة السير لساعاتٍ. وتجدّدت حملة احتجاجاتٍ مطلبيّةٍ في أواخر كانون الثاني/ يناير 2020، بالاسم نفسه (بدنا نعيش) وبقيت مستمرّةً حتّى شباط/ فبراير 2020، وتوقّفت نتيجةً لملاحقة الناشطين فيها من خلال استدعائهم إلى الأفرع الأمنيّة والتحقيق معهم وتهديدهم، إضافة إلى شيطنة هذا الحراك واتّهامه بتلقّي أموالٍ من جهاتٍ خارجيّةٍ تهدف إلى زعزعة الأمن في المحافظة، ومنه ما جاء على لسان رئيس فرع حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ في محافظة السويداء، اللواء فوزات شقير. علاوة على التلويح بخطر "داعش" في رسالة مفادها إذا استمرّ الحراك

---

https://www.facebook.com/%D8%AE%D9%86%D9%82%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%A7-755811091229770/?ref=page_internal

21 - رابط صفحة حملة "حطمتونا" على "الفيس بوك"

https://www.facebook.com/%D8%AD%D8%B7%D9%85%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%A7-223013464716455/?ref=page_internal

22 - رابط صفحة "معًا لإعادة المدرسين إلى مدارسهم" على "الفيس بوك"

https://www.facebook.com/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%8B-%D9%84%D8%A5%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%85%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D9%87%D9%85-1674064902846081/?ref=page_internal

23 - رابط صفحة "بدنا نعيش" على "الفيس بوك"

https://www.facebook.com/badna.niesh/?ref=page_internal

فـ"داعش" ستدخل السويداء، وهو ما بات يدركه أغلبيّة سكّان محافظة السويداء ضمنيًّا (حتّى وإن لم تصرّح الأغلبيّة عن ذلك، لكن يتمّ تداوله في المجالس الخاصّة) بأنّ "داعش" هو عقابُ سلطة الأسد لسكّان المحافظة في حال تجرّؤوا عليها واستمرّت الاحتجاجات فيها.

5- ظهور حركة "مشايخ الكرامة"

أضعفت سلطة الأسد، عبر عقود، القوى السياسيّة الديمقراطيّة في محافظة السويداء، فضعف تأثيرها في المجتمع، وإن بقيت لها مكانةٌ اعتباريّةٌ استمدّتها من تضحيات أفرادها وإقرار الناس لهم بثقافتهم ووطنيّتهم. ونتيجةً لإضعاف هذه المعارضة اقتصرت مبادرتها على التحليل والطرح السياسيّ والاحتجاج السلميّ والعمل الإعلاميّ والحقوقيّ، والتفاعل مع المبادرات الأهليّة بغية المساهمة بضبطها ضمن الإطار الوطنيّ السوريّ. كما أنّ الانشقاقات العسكريّة الأولى لضبّاطٍ وعناصرَ من محافظة السويداء، والتي وجدت تقديرًا شعبيًّا في كلِّ المناطق الثائرة، ولاسيّما في محافظة درعا، والتي شكّلت المجلس العسكريّ لمحافظة السويداء لاحقًا بقيادة العقيد مروان الحمد، خنقت بالتدريج من قبل المعارضة المهيمنة (الائتلاف الوطنيّ) بعلاقةٍ طرديّةٍ مع تنامي شعور الإخوان المسلمين بتنامي قوّتهم ورغبتهم في إضعاف كلّ ما هو غير إسلاميٍّ. ونتيجة ضعف المعارضة المدنيّة الديمقراطيّة في المحافظة، وخنق "مجلس السويداء العسكريّ"، إضافة إلى الحساسيّات بين السهل والجبل التي أدارتها سلطة الأسد عبر عقود حكمها بسياسة "فرّق تسد"، لم يبقَ إلّا المجتمع الأهليّ ليصدر مبادرةً دفاعيّةً محلّيّةً في مواجهة سلطة الاستبداد وقوى الإرهاب. وككلّ سورية المحجور عليها سياسيًّا، كانت شبكة رجال الدين الأكفأ للترابط تحت الضغط، مقارنة مثلًا بشريحة الطلّاب، وعموم الشباب، الذين كانوا قادة ومحرّكي الثورة المدنيّة الديمقراطيّة. وفي وسط هؤلاء، ولاسيّما رجال الدين البعيدون عن أجهزة النظام السوريّ، أي خارج المؤسّسة الدينيّة الرسميّة المتمثّلة بـ "مشايخ العقل"، نشأت حركة "مشايخ الكرامة" في نيسان/ أبريل 2014 بقيادة الشيخ وحيد البلعوس. وبغضّ النظر عن وعي "مشايخ الكرامة" لأنفسهم، فقد كانوا احتمالًا أهليًّا من بين احتمالاتٍ ستظهر –لا محالة- استجابةً إلى حاجاتٍ موضوعيّةٍ. ولقد بدا ردّ فعل سلطة الأسد على هذه النشأة من جنس سياستها العامّة تجاه المحافظة، فهي وإن لم تكن راضيةً إلّا أنّها كانت تحاول ألّا تصل إلى التصادم العنيف المباشر معها طالما "الحركة" تنشدّ إلى البنية الطائفيّة في المحافظة، فتراعي المؤسّسة الدينيّة الرسميّة الممسوكة من سلطة الأسد، وتكرّس موضوعيًّا الانقسامات الطائفيّة، وتعجز عن إنتاج بناءٍ وطنيٍّ ديمقراطيٍّ يجمع السوريّين ولو تراكميًّا عبر رحلة آلامهم. إلّا أنّ الشيخ "البلعوس" سعى في المرحلة الأخيرة من حياته للخروج من المحلّيّ/ الطائفيّ إلى الوطنيّ، والالتقاء مع المعارضة في منتصف الطريق بانزياحٍ تدريجيٍّ، حيث أراد دورًا وطنيًّا لحركته بتجاوزٍ لدائرة المسموح فيه التي تستطيع سلطة الأسد إدارة الصراع مع "الحركة" ضمنها، فدبّرت الأخيرة عمليّة اغتيالٍ له قُتل مع بعض قادته فيها، وهو ما أدّى إلى فرط عقد "الحركة" كونها تشكّلت عصبويًّا حول شخصه.

وقد عبّرت الحركة عن أفكارٍ دفاعيّةٍ تقليديّةٍ ذات طابعٍ محليٍّ، كحال السوريّين في كلّ البلد الذين عادوا إلى محليّاتهم تحت ضغط الإرهاب الدمويّ لسلطة الأسد وإستراتيجيّتها المدمّرة، ونتيجة فشل المعارضة المهيمنة (المجلس الوطنيّ والائتلاف) في خلق بديلٍ وطنيٍّ ديمقراطيٍّ. ومن هذه الأفكار الدفاعيّة رفض الخدمة الإلزاميّة للشباب خارج المحافظة في الحروب غير العادلة بعد أن توصّل المجتمع فيها إلى قناعة أنّ الجيش السوريّ خرج من دوره الوطنيّ بحماية السوريّين وأرضهم وكرامتهم إلى دورٍ آخر تجلّى في الدفاع عن السلطة عبر قتل السوريّين

الثائرين عليها وتدمير حواضرهم. وهي القناعة التي أدّت إلى امتناع جزءٍ كبيرٍ من سكّان محافظة السويداء عن إرسال أبنائهم إلى الجنديّة حتّى وصل الممتنعون، بحسب تقديرات ناشطين في محافظة السويداء، إلى أكثر من ثلاثين ألفًا، فجاء خطاب "حركة مشايخ الكرامة" داعمًا للامتناع عن الالتحاق بالجنديّة وليعزّز ويعمّق هذه الظاهرة. وهو ما وضع "الحركة"، كما أغلبيّة مجتمع المحافظة، في مواجهة سلطة الأسد التي وجدت نفسها قد خسرت نتيجة ذلك كتلةً بشريّةً افترضت أنّها ستناصرها، وتحرق أبناءها كرمى لها، في حربها على الشعب السوريّ بدعوى "حماية الأقليّات"؛ كما خسرت جانبًا من شرعيّة ثيمتها الأساسيّة في الحرب السوريّة بأنّها حاميةٌ للأقليّات، ولاسيّما أنّها اضطرّت لمواجهتهم أحيانًا، ولو عبر أدواتها وليس بشكلٍ مباشر.

وقد حرص "مشايخ الكرامة" منذ نشأتهم على استقطاب الفئة الرماديّة في محافظة السويداء، التي كان يطلق عليها الناشطون (فئة الله يهدّي البال) للإشارة إلى اختيارها السكينة والاستقرار وإن كان بالفقر والحرمان نتيجة رعبها ممّا تعتبره مؤشّر فوضى؛ وهي شريحةٌ تعدُّ ما يجري في سورية حربًا عبثيّةً مدمّرةً ويريدون الخلاص منها بأقلّ الخسائر، فجاء رفع حركة "مشايخ الكرامة" شعار " نحن لا موالاة ولا معارضة" ليدغدغ طموحات هذه الشريحة الواسعة في السويداء؛ وبالفعل دخل قسمٌ كبيرٌ منها في مضمار المشاركة، إمّا بالمواقف وإمّا بالمشاركة العمليّة على أرض الواقع مع "مشايخ الكرامة". وشكّلت هذه الفئة نواة القاعدة الشعبيّة لـ"مشايخ الكرامة"، وليبدأ بعدها الشيخ "البلعوس" جولاته المكوكيّة على قرى الجبل، ليبارك المجموعات المسلّحة (التي تسمّى الواحدة منها بعرف المحافظة بـ"البيرق") التي تشكّلت تحت لوائه وبلغت 35 بيرقًا. وترافق هذا التطوّر مع حالات انشقاقٍ واسعةٍ في الميليشيات التي أنشأتها سلطة الأسد في السويداء، ولاسيّما "ميليشيا الدفاع الوطنيّ" و"كتائب البعث"، وانضمامها إلى الشيخ "البلعوس". وقد تطوّرت هذه الحركة تطوّرًا لافتًا، وأخذت تفرز قياداتها وتأخذ خطًّا يهدف إلى الخروج من الثنائيّات الضديّة التي حاولت سلطة الأسد حصر مجتمع السويداء فيها. واعتبر "مشايخ الكرامة" أنّ هذه الثنائيّات تعطّل المجتمع في السويداء، وتهدّد بانفجاره، وسلخه عن محيطه السوريّ والعروبيّ. فبدأت الحركة بطرح المشتركات بين أبناء السويداء، والدفع للخروج من دائرة المتناقضات إلى دائرة المشترك والمتّفق عليه. فطرحوا شعار "حماية الأرض والعرض والدين"، ما حظي باستحسان معظم الشرائح المجتمعيّة في محافظة السويداء. وبنظر كثرٍ في المحافظة لم يبقَ هذا الطرح ضمن إطاره الشعاراتيّ طويلًا، بل برهن "مشايخ الكرامة" فعليًّا، ومن خلال الأحداث والوقائع، على قدرتهم على تطبيق هذا الشعار، ولاسيّما في معركتي "الحقف" و"شقا"، وقبلهما معركة "داما"؛ حيث قدّموا تضحياتٍ من صفوفهم أثناء صدّهم عدوان القوى المتطرّفة في أكثر من مكان، وأكثر من معركة. وهو ما زاد من رصيد "الحركة" بأوساط المحافظة التي أقرّت لها بوظيفة حماية المجتمع.

وازداد رصيد "الحركة" شعبيًّا عندما احتضنت قرار أغلبيّة المجتمع في الامتناع عن خدمة أبناء السويداء في جيش الأسد كي لا يجعلهم وقودًا لمعركته الدمويّة ضدّ أغلبيّة السوريّين. وبحسب شهودنا، فإنّ محادثاتٍ ولقاءاتٍ قد جرت بين شخصيّاتٍ معارضةٍ من أبناء محافظة السويداء والشيخ وحيد البلعوس، كانت تصبُّ تجاه انتقال الحركة من المحليّ إلى الوطنيّ، ومعالجة كونها بقيادة رجال دينٍ عبر توسيع المشاركة المدنيّة وإجراءاتٍ أخرى تأتي تتابعًا، وبدا المسار المتّفق عليه عبر إحياء "الشيخ البلعوس" مقولة سلطان الأطرش "الدين لله والوطن للجميع". وتصريحه المتكرّر بـ "نريد دولةً تحكم بالقانون، ولكلّ السوريّين، حيث لا تأخذ تعليماتها من إيران الشيعيّة ولا من أفكار ابن تيمية المتطرّفة"، وتركيزه على مقولاتٍ وطنيّةٍ مثل قوله "سورية أمّنا" من

دون أن يهمل البعد العربيّ بقوله "نحن وطنيّون عروبيّون"، وممّا قصده التأكيد على رفض "مشايخ الكرامة" التعاون مع إسرائيل ردًّا على اتّهام "الحركة" من قبل سلطة الأسد بالعمالة لإسرائيل حينما عجزت عن إيجاد ما تتّهمها به. وبقيادة "الشيخ البلعوس" بدا لقطاعٍ من المعارضين، أتيح لنا التواصل معهم في لقاءاتٍ جماعيّةٍ وفرديّةٍ، أنّ "مشايخ الكرامة" خطوا خطواتٍ في طريق مواجهة الاستبداد، والتفتيت المجتمعيّ، والتيّارات الإسلاميّة المتطرّفة الطاغية على مشهد المعارضة السوريّة المهيمنة، وأنّ الحركة تظهر تجاوبًا مع انتقاداتهم، وتعمل على تطوير نفسها، فدعموها سياسيًّا وإعلاميًّا. وعلى الرغم من تجاوب "الحركة" التدريجيّ مع الطرح الوطنيّ، وهو ما ظهر في خطابها وسلوكها، إلّا أنّها انجرت أحيانًا بحكم طبيعتها الدينيّة، وضعف خبرتها، إلى سلوكيّات طائفيّة، ومنه مساهمتها في الخطف المضادّ عندما خطفت مجموعة أشخاصٍ من محافظة درعا للمفاوضة عليهم لإخراج مخطوفين من السويداء في محافظة درعا.

إلّا أنّ حركة "رجال الكرامة" (هكذا أصبح اسمها بعد أن دخل فيها أفرادٌ من خارج الطيف الدينيّ، وهو ما يعدّ دليلًا على تطوّر وعي الحركة السياسيّ) تفكّكت بعد اغتيال زعميها الشيخ "البلعوس" بتفجيرٍ على طريق "ظهر الجبل" في مدينة السويداء، في 4 أيلول/ سبتمبر 2015؛ حيث شهدت انشقاقاتٍ واسعةً ضمن مؤسّسيها، ولاسيّما بعد أن انتقلت قيادة "الحركة" إلى الشيخ يحيى الحجار الذي اعترض كثيرون من مؤسّسي "الحركة" على سلوكه وأدائه وطريقة انتقال قيادة "الحركة" إليه، وهو ما وصل ببعض المعترضين إلى عدّها "تعيينًا أمنيًّا". وعلى الرغم من ذلك بقيت حركة "رجال الكرامة" إلى اليوم هي الفصيل الأكبر والأكثر تنظيمًا على مستوى المحافظة، ويبقى موضوع المسارات التي يمكن أن تأخذها مفتوحًا على الاحتمالات...

6- نظرة على الواقع المعيشيّ والخدميّ والأمنيّ للمحافظة

منذ بدء الاحتجاجات في سورية أخذت المشكلات الاقتصاديّة تتفاقم تدريجيًّا إلى أن وصل الحال إلى أزمةٍ حقيقيّةٍ ومستقرّةٍ في المجتمع؛ فمعظم سكّان المحافظة يعيشون تحت خطّ الفقر، وهذا ما انعكس على القوّة الشرائيّة في الأسواق التي شهدت جمودًا بالمقارنة بما كانت عليه الحال في بداية عام 2011. وترافق هذا مع غلاءٍ في الأسعار ناجمٍ عن عدم ضبط السوق من قبل الجهات المعنيّة، وسياسة الفساد الممنهجة التي تتّبعها مؤسّسات "الدولة" والتي تتمثّل في التسيّب وإغراق المحافظة في الأزمات؛ حيث انتشرت الرشاوى بشكلٍ علنيٍّ في ظلّ غيابٍ تامٍّ للقانون ممّا أدّى إلى انفلات السوق، وتغوّل التجار، ولاسيّما أولئك الذين تربطهم علاقاتٌ مع القوى الأمنيّة.

ويعود فقر المحافظة إلى ندرة المشاريع الإنتاجيّة والاستثماريّة والإنمائيّة ذات الثقل فيها. وعلى الرغم من الوعود الكثيرة التي أطلقتها "الدولة" بالعمل الجادّ على مثل تلك المشاريع وتقديم التسهيلات للمستثمرين، إلّا أنّها في الحقيقة كانت، ولا تزال، تجمّد المشاريع التي بقي بعضها مجمّدًا أكثر من عشرين سنة في إطار الورقيّات، أو تضع العقبات أمام المستثمرين من أبناء المحافظة، سواء أكانوا من القاطنين فيها أو من المغتربين خارجها. ويعود هذا الإهمال لمحافظة السويداء إلى ما قبل بدء الاحتجاجات في سورية عام 2011.

فكثيرةٌ هي المشاريع التي أُوقفت أو عُرقلت أو جُمّدت في محافظة السويداء ويصعب التعريج عليها كلّها لكثرتها، ومنها: مشروع صهر البازلت، ومشروع تدوير النفايات الصلبة. وفي حين يردُّ متابعون ما يجري من تعطيلٍ وإيقافٍ وتجميدٍ للمشاريع على ساحة المحافظة إلى ظروف

الحرب، يرى آخرون أنّ هذه الممارسات تؤشّر إلى سياسةٍ ممنهجةٍ تهدف إلى جعل السويداء محافظةً شبه خاليةٍ من الاستثمارات والنماء وفرص العمل.

كلّ هذا يترافق مع استهداف مجموعات الخطف (غالبًا ما كان أفرادها متعاقدين مدنيّين مع "المخابرات الجويّة" و"المخابرات العسكريّة" في السويداء حيث منحتهم بطاقاتٍ أمنيّةً وأسلحةً مرخّصةً وصلاحياتٍ واسعةً) التجّارَ القادمين لضمان محصول التفاح الذي يعدّ الدعامة الاقتصاديّة الأساسيّة لسكّان المحافظة، وأيضًا التجّار الذين يجلبون البضائع والخضروات إلى السويداء، والأمثلة كثيرةٌ على ذلك. ومنذ عام 2016 أخذت الجريمة شكلًا ممنهجًا يؤشّر على وجود شبكاتٍ منظّمةٍ باتت تحترف الجريمة؛ حيث شهدت محافظة السويداء مئات الجرائم من قتلٍ وخطفٍ وسرقةٍ... وأخذت هذه الجرائم بالتدريج صفة الامتداد والكثرة والتنظيم حتّى أصبحت ظاهرةً مستقرّةً في المجتمع وليست طارئةً. وبعض هذه الجرائم أشرفت عليها أجهزة المخابرات واستثمرتها في ضرب السلم الأهليّ وتفتيت النسيج المجتمعيّ، كبعض جرائم الخطف بين محافظتي درعا والسويداء. والتي تزايدت تزايدًا كبيرًا في عامي 2019و2020.
ويضاف إلى هذا كلّه وغيره من الممارسات والانتهاكات والجرائم، ممارسات الحواجز الأمنيّة المنتشرة على طريق دمشق- السويداء، ولاسيّما حاجزا "المسمية" و"قصر المؤتمرات"، وإيقافها للسيارات القادمة من دمشق المحمّلة بالبضائع والخضار والفواكه والموادّ الغذائيّة وفرض إتاواتٍ ماليّةٍ عليها وصل بعضها إلى حدود 250 ألف ل.س، أو أخذ ما يعادلها من البضاعة. الأمر الذي انعكس سلبًا على واقع السوق ورفع الأسعار كثيرًا؛ فالإتاوات المفروضة على السيارات يتمّ تحميلها على سعر السلع ممّا يساهم في رفع أسعارها قبل أن تعرض في السوق.

إيصالات الترفيق (المصدر: شبكة "السويداء 24")

هذا كلّه يضاف إليه البطالة التي يعيشها الشباب؛ حيث لم يبقَ لديهم خيارٌ إلّا الهجرة إلى الخارج.

أمّا بالنسبة إلى الواقع الخدميّ، فقد عانت المحافظة، ولا تزال، من أزماتٍ خانقةٍ على صعيد الكهرباء والماء والمحروقات، والتعليم... فقد بلغت ساعات تقنين الكهرباء في شهر شباط/ فبراير 2016 أكثر من عشرين ساعة، ما عطّل الأعمال وفاقم من مشكلات المحافظة، فغدت مدينة السويداء بعد الساعة الثامنة مساءً "مدينة أشباح". وترافق هذا مع شحٍّ في المحروقات حيث اعتمد الأهالي على مادّة المازوت التي تهرّبها الميليشيات من المناطق الشرقيّة في المحافظة المحاذية لأماكن وجود "تنظيم الدولة"، لتأمين التدفئة لمنازلهم وهو ما سنتحدّث عنه لاحقًا بالتفصيل. والآن ازدادت معاناة سكّان السويداء كثيرًا، ولاسيّما في ظلّ "جائحة كورونا" حتّى بات معظم السكّان يرون أنّ الموت بتلك الجائحة أهون عليهم من الموت جوعًا نتيجة تعطّل أعمالهم التي كانت في الأساس لا تكفيهم لتأمين قوت يومهم.

ثالثًا: ظهور "داعش" في بادية السويداء وخريطة سيطرته

أصبح من المعروف على نطاقٍ واسعٍ في الآونة الأخيرة الدور الذي أدّاه ضبّاطٌ عراقيّون سابقون بعثيّون في نشأة "تنظيم الدولة الإسلاميّة"، وإن كان هناك خلافٌ حول حجمه، وهو ما يتناسب مع اعتقادنا أنّ عقيدة "التنظيم" الدينيّة والسياسيّة الخاصّة نتجت عن التقاء العقيدة البعثيّة مع عقيدة الإسلام الجهاديّ، والتي في القلب منها على المستوى السياسيّ العداء لأميركا، وهي تغصّ بذاكرة الصراع معها في العراق. هكذا اتّخذ "التنظيم" العداء للاحتلال الأميركيّ محورًا رئيسًا لشرعيّة وجوده كبديلٍ منقذٍ للعراق، ومن ثمّ للأمّة الإسلاميّة. وهكذا تميّز "التنظيم" عن باقي قوى السلفيّة الجهاديّة بالحمولة البعثيّة، المكوّنة ضمن الدولة العراقيّة في عهد حكم البعث، ما يوضّح الميل المركزيّ فيه بالتشكّل والتصرّف كدولةٍ استبداديّةٍ؛ وهو ما ظهر واضحًا باسمه (تنظيم الدولة الإسلاميّة)، وبسلوكه، وبتحديد أولويّاته، حيث ركّز تمدّده ضمن نطاق من أراد أن يكونوا رعاياه ممّن يصنّفهم على أنّهم مسلمون سنّة، وتحاشى الأقليّات إلّا حين وجدوا في طريق تمدّده كما حصل مع اليزيديّين في العراق.

ولقد وجد "التنظيم" الفرصة متاحةً له للتمدّد في سورية إثر إطلاق سلطة الأسد قادة الجهاديّين من سجونها، فحاول أوّل مرّةٍ عبر "الجولاني" الذي أنشأ "جبهة النصرة" بدايةً على أنّها فرعٌ لـ"التنظيم"، وحاول "التنظيم" مرّةً أخرى بشكلٍ مباشرٍ، بعد أن استقلّ "الجولاني" عنه بتنظيمه، مطلقًا على نفسه اسم "تنظيم الدولة الإسلاميّة". ومنذ بداية تمدّده أظهر "التنظيم" فرادةً على غيره، حتّى "جبهة النصرة"، بأنّه لا يقبل بوجود فصيلٍ آخرَ في منطقته وإن كان يطابقه في العقيدة، فالأصل عنده هو مبايعته والاندماج فيه أو الخروج من منطقة سيطرته. وهو سلوك دولةٍ مستبدّةٍ، ومن ملامح بعثيّة "التنظيم"، وهو أيضًا نتاج خبرته العراقيّة؛ حيث انقلب العراقيّون عليه عبر تشكيل جموعٍ مسلّحةٍ أطلقوا عليها "الصحوات" وقامت بضربه ضرباتٍ موجعةً شاع الاعتقاد لزمنٍ أنّها أنهته.

ولقد بعث هذا المنهج الثابت لـ"التنظيم" الراحة لدى سلطة الأسد، فبهذا الشكل كان يكفيها أن تنسحب من المناطق وتخليها، لتكون مناطق نزاعٍ بين "التنظيم" وفصائل المعارضة المسلّحة، فتضمن قيامه بالقضاء عليها. عداك عن أنّ وجود هذا "الوحش"، الذي بذل جهده ليظهر بصورةٍ مرعبةٍ، حرف الاهتمام الدوليّ عن جرائم سلطة الأسد وجعل منه العدوّ الأوّل للمجتمع الدوليّ، حتى إنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة اشترطت على من تدعمهم من التشكيلات العسكريّة المعارضة الاكتفاء بمقاتلته، والتوقّف عن مقاتلة جيش الأسد والميليشيات الحليفة له. وهكذا، وبعد استبعادها من التحالف الدوليّ الذي قادته أميركا للقضاء على "داعش"، والتي حاولت جاهدةً الدخول فيه لاستعادة شرعيّتها، تعاملت سلطة الأسد مع "داعش" كـ"أزمة للغير" أكثر ممّا يشكّل أزمةً لها، بل أحيانًا تعاملت معه كدولةٍ جارةٍ تتبادل معها المنتوجات عبر طرق التهريب، وتدير وتستثمر معه بالفوضى، على أمل ألّا يتبقّى غيره من الأعداء المحليّين فتنقضّ عليه، بحسب أحد شهودنا.

ولقد مرّ "تنظيم الدولة الإسلاميّة" بعدّة مراحلَ في سورية، انطلاقًا من ظهوره في سورية، ثمّ تمدّده، ثمّ الخروقات التي أحدثها في الجسم العسكريّ المعارض، ثمّ مرحلة تراجعه وانهياره غير النهائيّ. وقد وصل إلى ذروة قوّته عندما اتّخذ مدينة الرقة عاصمةً له، وأخذ يدير "دولته" المزعومة منها. إلّا أنّ "التنظيم" شهد طور تراجعٍ منذ بداية عام 2015 إلى أن وصل إلى مرحلة انهياره، وهي الفترة التي تزامنت مع وجوده في بادية السويداء. ونستعرض هذا الطور بعجالةٍ لفهم الحالة التي كان عليها "التنظيم" في فترة وجوده في بادية السويداء، وهو ما يمكّننا من فهم سلوكه أكثر في هذه الفترة. ففي 27 كانون الثاني/ يناير عام 2015 انسحب "التنظيم"

من مدينة "عين عرب" (كوباني) شماليّ سورية، بعد معاركَ خاضها مع "وحدات حماية الشعب الكرديّة" و"البشمركة" وفصائل من الجيش الحرّ مدعومةٍ أميركيًّا. وفي حزيران/ يونيو 2015 انسحب "داعش" من مدينة "تل أبيض" في ريف الرقة الشماليّ، ثمّ انسحب في شباط/ فبراير 2016 من منطقة "الشدادي" في ريف محافظة الحسكة الجنوبيّ. لينسحب بعدها، في شهر آب/ أغسطس من العام نفسه، من مدينة "منبج". وفي مطلع 2017 سيطرت تركيا على مدينة "الباب" في ريف حلب الشرقيّ وخرج "التنظيم" منها. وفي آب/ أغسطس 2017 انسحب "التنظيم" من مناطق سيطرته في القلمون إلى مدينة "البوكمال" في محافظة دير الزور، بعد الاتفاق الذي جرى بين التنظيم وسلطة الأسد وميليشيا حزب الله. بعدها انسحب "التنظيم" من عاصمته "الرقة" بموجب اتفاقٍ مع "قوّات سوريا الديمقراطيّة"، ثمّ انسحب من مدينة "البوكمال" في ريف محافظة دير الزور، ليبقى وجود "التنظيم" في سورية حينها مقتصرًا على عدّة جيوبٍ: جيب يمتدّ من "هجين" إلى الحدود العراقيّة، وآخر في محافظة الحسكة، وجيب في البادية السوريّة، وجيب في منطقة "حوض اليرموك" في ريف درعا الغربيّ، وجيب في جنوب دمشق نُقل عناصره منه في أيار/ مايو 2018 إلى بادية السويداء بالاتفاق مع سلطة الأسد.

وقد ظهر "تنظيم الدولة الإسلاميّة" في منطقة "بئر القصب" شماليّ شرق محافظة السويداء أواخر عام 2014، وتعدّ هذه المنطقة من أهمّ نقاط الوصل في الجنوب السوريّ، فهي تتّصل بالغوطة الشرقيّة والقلمون الشرقيّ شمالًا، وتتّصل بمنطقة "اللجاة" غربًا، والسويداء وباديتها حتّى حدود الأردن والبادية الشاميّة شرقًا حتّى دير الزور والحدود العراقيّة. وتأتي أهميّة السيطرة على منطقة "بئر القصب" لفصائل المعارضة المسلّحة في الغوطة آنذاك أنّها باتت الشريان شبه الوحيد لإمداد الغوطة بعد أن حاصرتها قوّات الأسد، ولاسيّما بعد خسارة فصائل المعارضة العسكريّة مناطق في القلمون وامتدادها في ريف حمص الغربيّ. وهو ما دفع "جيش الإسلام" وفصائل أخرى تحالفت معه إلى فتح معركةٍ فيها ضدّ "التنظيم".

وفي أيلول/ سبتمبر 2014 شُكّل جسمٌ جديدٌ في الغوطة الشرقيّة باسم "فيلق عمر"، وضمّ الفيلق الجديد عشرة فصائل (لواء جند التوحيد، لواء الشباب الصادقين، لواء أحباب الله، كتائب عباد الرحمن، كتيبة أبابيل الغوطة، كتيبة ابن تيمية، كتيبة علي بن أبي طالب، كتيبة جند الحق، كتيبة أبو بكر الصديق، كتيبة النخبة العسكريّة) تعمل في قطاع المرج. وأتى الإعلان عن التشكيل الجديد بعد قرابة شهرٍ من إعلان قيادةٍ موحّدةٍ للفصائل العسكريّة باسم "القيادة العسكريّة الموحّدة"، بقيادة قائد جيش الإسلام، زهران علوش. وبعد الإعلان عن تشكيل "فيلق عمر" بأسبوعٍ تقريبًا، أعلن أيضًا عن تشكيلٍ عسكريٍّ جديدٍ باسم "جيش الأمّة" في الغوطة الشرقيّة بقيادة، أبي صبحي، المنافس القديم لـ"علوش"، وضمّ التشكيل الجديد: "شهداء دوما" و"أسود الغوطة" و"لواء الفاروق عمر" و"فتح الشام" و"شهداء عربين" و"أنصار الأمّة" وغيرها من المجموعات المسلّحة. وهو ما دفع "علوش" ليخطب في أنصاره خطبة الجمعة مهدّدًا الفصائل التي تعمل على شقّ الصفّ "بردعها، وأنّه لن يصبر عليها طويلًا"، مؤكّدًا أنّه "لن يسمح أن يكون هناك رأسان لجسدٍ واحد"، داعيًا جميع الفصائل إلى الانضواء تحت "راية الوحدة التي حدثت في الغوطة"، في إشارةٍ إلى تحالف "القيادة العسكريّة الموحّدة" التي يقودها. وهو ما دلّ حينها على تنافس الفصائل على بسط نفوذها على الغوطة الشرقيّة، وعدم ثقة بعضها بـ"جيش الإسلام" الذي كان الحاكم الفعليّ للغوطة الشرقيّة آنذاك.

وحينها ظهر سباقٌ محمومٌ بين الفصائل العسكريّة العاملة في الغوطة الشرقيّة للسيطرة على منطقة "بئر القصب"، علمًا أنّ أعداد مقاتلي "داعش" حينها لم تتجاوز 500 مقاتلٍ في أحسن الأحوال، بحسب شهودٍ من المنطقة. وعلى ما يبدو، من خلال متابعتنا للأحداث وشهادات

شهودنا، أنّ هذا التنافس بين الفصائل وقع لإدراكهم أهميّة هذه المنطقة التي تحدّثنا عنها آنفًا، فمن يسيطر عليها يتحكّم بمصير الغوطة. فوجدنا "جبهة النصرة" تتقدّم لمحاربة "داعش" في هذه المنطقة؛ حيث أمر الشرعيّ العامّ السابق وأمير المنطقة الشرقيّة لـ"جبهة النصرة"، أبو ماريا القحطاني حينها عناصر "الجبهة" بالتقدّم نحو أطراف ريف السويداء الشماليّ. وقطع أكثر من مئة مقاتلٍ من النصرة، منطقة "اللجاة" حتّى وصلوا إلى منطقة "شنوان" في بادية السويداء الشرقيّة. ورغم مشهد الخلاف والصراع بين "التنظيم" و"الجبهة"، ورغم تجاورهما حينها في هذه المنطقة، إلّا أنّه لم تحدث أيّ اشتباكاتٍ بينهما[24]. بينما أعلن لواء الشباب الصادقين التابع لـ"فيلق عمر" بيعته لتنظيم "داعش". وكان الخلاف بين "لواء الشباب الصادقين" و"جيش الإسلام" قد نشب بعد معركة "عواصف الصحراء" التي أطلقتها فصائلُ عسكريّةٌ في الغوطة في منطقة القلمون الشرقيّ للسيطرة على المنطقة الممتدّة من مطار "ضمير" حتّى مطار "السين" العسكريّ، وبحسب متابعين من أبناء الغوطة وناشطين فيها، فإنّ الخلاف نشب على غنائم تلك المعركة.

وفي كانون الأوّل/ ديسمبر 2014 دخل "داعش" منطقة "القصر" في بادية السويداء، وكان "التنظيم" قد استبق هذا التقدّم، بنقل قوّاتٍ تابعةٍ له، من مناطق سيطرته في ريف حمص الشرقيّ نحو "الشقرانية" في محافظة ريف دمشق، ليتمكّن من السيطرة عليها بسهولة ومن دون أيّ مقاومة. بعدها نشر الحواجز في منطقة "الأصفر" الإستراتيجيّة الواقعة شرق طريق السويداء – دمشق، والتي تبعد أقلّ من سبعة كيلومترات فقط عن "مطار خلخلة العسكريّ" الخاضع لسيطرة قوّات الأسد، ثمّ تمدّد "التنظيم" جنوبًا نحو قرية القصر، وبسط سيطرته عليها، ونشر حواجزه على مداخل القرية التي تبعد أقلّ من ثلاثة كيلومترات فقط إلى الشرق من قرية "الحقف" في الريف الشرقيّ من محافظة السويداء. وفي منتصف عام 2015 تمدّد "التنظيم" إلى منطقة "اللجاة"، وسيطر على قرى "حوش حماد" و"بيار الحمام" و"ساكرة" بعد أن بايعته إحدى العشائر هناك.

وعن ظهور "التنظيم" في بادية السويداء، أفادنا الصحفيّ ريّان معروف[25]، محرّر شبكة "السويداء 24" والذي تابع "التنظيم" منذ دخوله إلى بادية السويداء، وكان مراقبًا للأحداث من كثب، حيث قال: "كان يتزعّم الشباب الصادقين مقدّمٌ منشقٌّ يدعى وليد أبو الخير ويلقب بأبي المعتصم، إضافة إلى أحمد المكحل، وهما سوريّان ينحدران من ريف دمشق، وقد تقرّب هذان القياديّان من تنظيم جبهة النصرة في مدينة البوكمال شرق سورية بعد الخلافات مع جيش الإسلام، وفي شهر حزيران 2014 ذهبا عدّة مرّاتٍ إلى البوكمال وكانت تربطهما علاقاتٌ مع قياديٍّ في النصرة يلقّب بأبي الليث، لكنّه بايع تنظيم الدولة الإسلاميّة بعدما انتزع التنظيم البوكمال من النصرة وفصائل المعارضة في شهر تموز 2014، وبقيت علاقاتهما قائمةً مع أبي الليث حتّى أرسل لهما مؤازرات في مطلع شهر كانون الأول 2014، مؤلّفةً من 300 مقاتلٍ داعشيّ بقيادة أبي رجاء التونسيّ، وهو تونسيّ الجنسيّة، وعندها أعلن أبو المعتصم والمكحل والعناصر التابعون لهما من لواء الشباب الصادقين، البيعة رسميًّا لأبي بكر البغدادي ورفعوا رايات التنظيم ونصّبوا أبا رجاء التونسي أميرًا على قاطع بئر قصب، بينما تولّى أبو المعتصم والمكحل الأمور العسكريّة، ثم أعلنوا الحرب على جيش الإسلام وبقيّة فصائل المعارضة الموجودة في المنطقة، حيث انسحبت فصائل إلى درعا بينما بايع قسمٌ من عناصرها وقياداتها

24- ناصيف، سالم، "داعش شمال السويداء.. عبور طريق أم تغيير للاستراتيجية؟"، المدن، 4 كانون الأول/ ديسمبر 2014.
https://www.almodon.com/arabworld/fff06031-5d71-4880-a49f-015401bf9226

25 - للاطّلاع على الشهادة كاملة تجدها في باب توثيق نماذج من الشهادات. الشهادة (أ)

التنظيم، وقد اندلعت عدّة مواجهاتٍ بين التنظيم وجيش الإسلام في بئر قصب وتل دكوة انتهت في الشهر الخامس من عام 2015 ببسط التنظيم سيطرته بشكلٍ كاملٍ على المنطقة والقضاء على أيّ وجودٍ لجيش الإسلام أو أيّ فصائل أخرى، وشملت المناطق التي سيطر التنظيم عليها بئر قصب وتل دكوة، وعدّة قرى في بادية السويداء الشماليّة الشرقيّة المعروفة بقرى منطقة الأصفر (الأصفر، أشيهب، المفطرة، رجم الدولة، القصر، الساقية، شنوان، خربة صعد، الأشرفية) وجميعها تقطنها عشائر البدو".

وبحسب شهادات أبناء المنطقة، فقد بايع بعض أفراد عشائر المنطقة "داعش" الذي أطلق عليهم اسم "الأنصار". كما انخرط بعض أبناء العشائر كمقاتلين في صفوفه، وأصبح بعضهم قادة مجموعاتٍ فيه، ومنهم "أبو جبر حاتم السحيمان" و"صابر الدكاك" و"أبو علي أحمد المطلق" و"محمد البصير" و"نايل البصير" و"علي جربوع البصير" و"أبو عناد الجميلي" و"همام السبتي" وغيرهم. بعدها بدأ "التنظيم" بممارسة التضييق على العشائر؛ حيث دهم محلّات بيع الدخان وحطّمها وأحرق موجوداتها في ساحات القرى، وعمل على تجريد أبناء العشائر الذين رفضوا الانضمام إليه من السلاح، ونفّذ الأحكام المنافية للطبيعة الإنسانيّة من جلدٍ وقطع رؤوسٍ وأيدٍ بحقّ مخالفي تعليماته، وتعدّدت التهم التي وجهت لهؤلاء من سرقةٍ وترك الصلاة والتعامل مع النظام وبيع الذخيرة للجيش الحرّ، وغيرها من التهم. كما فرض "التنظيم" التجنيد الإجباريّ على أبناء العشائر، ونفّذ اعتقالاتٍ عديدةً بحقّ المتخلّفين ليزجّهم في المناطق المشتعلة. ولقد أدّت سياسيّات "التنظيم" تلك بالتشارك مع قصف طيران الأسد لقرى البادية من دون أن تلحق أذى يذكر بمقرّات "التنظيم"، إضافة إلى الاقتحامات التي نفّذتها ميليشيات الأسد لقرى بادية السويداء والسلوكيّات الشائنة التي اقترفتها، إلى نزوح معظم أبناء العشائر بمن فيهم من بايعوا "التنظيم" كـ"أنصار"، إلى محافظة درعا، كما انشقّ العديد من مقاتلي "التنظيم" وهربوا إلى درعا، وذلك من نهاية عام 2014 حتّى منتصف عام 2015.

ولم تكن بادية محافظة السويداء التي يقطنها البدو بعيدةً عن منظومة سلطة الأسد التي اخترقت المجتمع بها، وفكّكته ليصبح جزرًا معزولةً عن بعضها، عبر المرتبطين بها أمنيًّا من عناصر مخابراتٍ وفرقٍ حزبيّةٍ ومخبرين، بل على العكس استغلّت سلطة الأسد وضع البدو "كأقليّةٍ صغيرةٍ ضمن أقليّةٍ أكبر"، واستمالت شريحةً واسعةً منهم، ووظّفتهم لصالح أجندتها على مدى عقودٍ من حكم آل الأسد، وعمدت إلى تعميق الشرخ بينهم وبين الدروز عبر ما نفّذته من جرائمَ تجاه البدو في المحافظة بأيدي الميليشيات التابعة لها. فمنذ مبايعة بعض أبناء العشائر في بادية السويداء لتنظيم "داعش" أواخر عام 2014، ظهرت شخصيّاتٌ معروفةٌ بارتباطاتها الأمنيّة كقياداتٍ في "التنظيم"، ومنهم مثلًا "مفلح السحيمان" الذي ينحدر من قرية "الساقية" في بادية السويداء, وكان قد درس العلوم السياسيّة في معهد العلوم السياسيّة في دمشق, وكان مسؤولًا عن حلقةٍ سياسيّةٍ ضمن صفوف "حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ" في منطقة وجوده. ومع سيطرة "داعش" على بادية السويداء, عيّن التنظيم "السحيمان" إمام جامع قرية "الساقية"، ليصبح بعد سيطرة قوّات الأسد على المنطقة مسؤولًا عن المصالحات، وليس هذا فحسب، بل يقدّم عروض الأجهزة الأمنيّة لأبناء المنطقة، والتي تطرح عليهم الانتساب إلى الاستخبارات العسكريّة والتعاون معها.

وعن اختراقات سلطة الأسد التي أحدثتها في قلب " تنظيم الدولة الإسلاميّة"، حدّثنا شاهدنا، قائلًا: "كانت أبرز شخصيّةٍ زرعها النظام بين القيادات، هو أمير الحسبة في قاطع بئر قصب كما يسمّيه التنظيم، يلقّب بأبي بكر الشامي، والذي شغل منصب أمير الحسبة منذ عام 2016 وحتّى شهر آذار 2017، إذ انسحب في تلك الفترة جميع عناصر تنظيم داعش من منطقة بئر

قصب وريف السويداء الشماليّ الشرقيّ باتّجاه الرقة ودير الزور نتيجة اشتداد المعارك هناك، أمّا أبو بكر فقد خرج عبر قرية الشقراوية باتّجاه طريق دمشق السويداء بعد انتهاء مهمّته، وكانت تنتظره دوريّةٌ للمخابرات الجويّة، حيث تبيّن أنّه ضابطٌ في الفرع المذكور وينحدر من عشيرة النعيم في محافظة القنيطرة. ولم يكن الشخصيّة الوحيدة، فقد نجح فرع المخابرات الجويّة في زراعة العديد من العملاء، كان من بينهم أيضًا شخصٌ يعرف باسم أبو عمر وهو من عشيرة السحيمان، حيث كان من أبرز المسؤولين عن شبكات التهريب لصالح داعش في بئر قصب في عامي 2015 و2016، ليظهر بشكلٍ مفاجئٍ مع المخابرات الجويّة في عام 2017".

مبايعة بعض أبناء العشائر للخليفة أبي بكرٍ البغداديّ في قرية "المفطرة" في بادية السويداء (المصدر: معرّفات التنظيم)

وقد اتّخذ "التنظيم" من "البلوكوسات[26]" التي كانت موجودةً في مناطقَ عديدةٍ في بادية السويداء وتعود إلى قطعات في الجيش السوريّ التي كانت منتشرةً هناك قبل عام 2011، مقرّاتٍ لها، ولاسيّما في منطقتي "بئر القصب" و"تل دكوة". كما اتّخذ "التنظيم" أيضًا من بعض الأبنية مقرّاتٍ له مثل مدرسة "أشهيب" التي جعلها محكمةً شرعيّةً ورفع علمه عليها، كما نشر "التنظيم" نقاط رصدٍ تابعةً له على المرتفعات في تلك المنطقة. وهو ما تأكّد لنا بتقاطع شهاداتٍ، منها شهادة الصحفيّ "معروف" التي جاء فيها ما يلي: "لم تكن كلّ المقرّات ظاهرة، القسم الأكبر منها كان بلوكوسات تحت الأرض خصوصًا في منطقة بئر قصب، وهذه البلوكوسات كانت عبارةً عن نقاطٍ لكتائب إشارة لقوّات النظام قبل 2011، القيادات الهامّة والشخصيّات البارزة كانت ضمن هذه المقرّات، وكان هناك بعض المقرّات الظاهرة التي تجنّبت قوّات النظام استهدافها مثل المحكمة الشرعيّة في قرية أشهيب، ونقاط رصد التنظيم في تل صعد وقرية القصر، وتبعد هاتان المنطقتان عن نقاط رصد النظام حينها نحو 3 كم لا أكثر، وكانت رايات التنظيم ترتفع في المنطقتين وعناصره يتواجدون بشكلٍ يوميّ ونقاط رصدهم واضحة". ويضيف "معروف" معلّقًا: إنّه "من المهمّ الإشارة إلى أنّ البلوكوسات المذكورة وبما أنّها كانت سابقًا نقاطًا تعود لقوّات النظام فمن الطبيعيّ أن يكون لديه إحداثيّاتها، وحتّى لو كانت تحت الأرض بمسافات. ولاحقًا في 2015 كان الطيران الروسيّ يستطيع تدمير أيّ نوعٍ من هذه المقرّات".

26 - "البلوكوسات" التي استخدمها "التنظيم" هي عبارة عن غرف أو هنغارات تحت الأرض مزوّدة ببعض الخدمات اللازمة للسكن ومموّهة بشكلٍ جيّد، وكانت مقرّات لـ"كتائب الإشارة" التابعة لجيش الأسد في بادية السويداء.

.

وهو ما يتقاطع مع ما كشفه مركز "جاينز حول الإرهاب والتمرّد" عن "أنّ ٦٤ في المئة من ضربات النظام السوريّ تتجاهل تنظيم الدولة الإسلاميّة، وأنّ ٨٧ في المئة من هجماته لا تستهدف قوّات النظام". ويضيف التقرير أنّ "أكثر من ثلثي عمليّات الأسد موجّهةٌ ضدّ مجموعات غير داعش، وبين ٩٨٢ عمليّة مكافحة إرهاب، حتّى ٢١ تشرين الثاني (2014)، فقط ٦ في المئة منها استهدفت داعش". وقال مات هانمان، مدير المركز: إنّ "داعش والأسد احتضنا إستراتيجيّةً ذكيّةً بتجاهل أحدهما الآخر"، وإنّ "داعش يركّز على التحوّل إلى المجموعة الإسلاميّة الأبرز في المناطق التي انسحب منها الأسد، وإنّ تركيز النظام هو على تدمير المجموعات نفسها التي يريد داعش تهميشها"[27]. وبحسب شهودنا، فإنّ سلطة الأسد لم تنفّذ أيّ عمليّاتٍ عسكريّةٍ فعليّةٍ على مواقع "التنظيم" في بادية السويداء حتّى أواخر عام 2016، وإنّ العمليّة العسكريّة التي نفّذتها سلطة الأسد في آذار/ مارس 2015 كانت على قريتين صغيرتين في شمال شرق بادية السويداء ("مرتع الفرس" و"أبو حارات")، أدّت إلى تدمير المنازل فيهما ولم تضرّ بـ"التنظيم".

مدرسة "أشهيب" التي اتّخذها "التنظيم" محكمةً شرعيّةً له (المصدر: معرّفات التنظيم)

أحد شرعيّي "التنظيم" أثناء إلقائه الدروس الشرعيّة داخل "البلوكوس" (المصدر: معرّفات التنظيم)

وفي نهاية عام 2016 وبداية عام 2017 أطلقت فصائل المعارضة المسلّحة سلسلة معارك ضدّ "تنظيم الدولة الإسلاميّة" في البادية السوريّة؛ ففي 29 كانون الأوّل/ ديسمبر 2016، أعلنت فصائل معارضة، وعلى رأسها "قوّات الشهيد أحمد العبدو" و"جيش أسود الشرقيّة"، عن معركة "ردّ الاعتبار" لتحرير البادية السوريّة. وفي آذار/ مارس 2017 أطلقت معركة "سرجنا الجياد لتحرير الحماد" استكمالًا للمعركة التي سبقتها. واستطاعت فصائل المعارضة في تلك المعركة تحرير بادية السويداء الشرقيّة، وتحرير "حوش حماد" في منطقة "اللجاة" غربيّ محافظة السويداء والتي كان يوجد فيها "التنظيم" حينها. ولكن سرعان ما انقضّت قوّات الأسد، مدعومةً بالمليشيات المدعومة إيرانيًّا وبالطيران الروسيّ، على قوّات المعارضة، فبدت مزعوجةً من تقدّم المعارضة المسلّحة على حساب "داعش"، وهي التي لم تحرّك ساكنًا أمام حركته وتثبيته لمواقعه سابقًا.

27 - أوينت نت، بالأرقام: داعش والنظام يتجاهلان بعضهما.. بانتظار المواجهة، 11 كانون الأول/ ديسمبر 2014.
https://www.orient-news.net/ar/news_show/83382

آنذاك، اتّهمت فصائلُ من المعارضة المسلّحة (جيش أسود الشرقيّة وقوّات أحمد العبدو) روسيا باستهداف مواقعَ عسكريّةٍ تابعةٍ لها في ريف مدينة السويداء، والتمهيد لقوّات الأسد من أجل التقدّم عليها. وأصدرت الفصائل بيانًا وضّحت فيه أنّ النظام، مدعومًا بميليشيات إيرانيّةٍ وعراقيّةٍ ولبنانيّةٍ، شنّ هجومًا على مواقعه في ريف السويداء الشرقيّ، بحجّة قتال "تنظيم الدولة"، مؤكّدة أنّها أخرجت "التنظيم" من المنطقة منذ تاريخ 2017/3/18 خلال معركة "سرجنا الجياد". واتّهم البيان الطائرات الروسيّة بتنفيذ ضرباتٍ جويّةٍ على مواقعه لتغطية التقدّم البريّ للنظام في المنطقة. وطالب البيان المجتمع الدوليّ بالتدخّل الفوريّ لوضع حدٍّ للموقف الروسيّ المساند للنظام والمؤيّد له، كما طالب الفصائل المشاركة في جنيف رفض أيّ هدنةٍ مطروحةٍ ما لم تكن شاملةً للمناطق كلّها، وحذّر الفصائل في الوقت نفسه من النتائج الوخيمة في حال القبول بهدنةٍ في مناطق وترك مناطق، مؤكّدًا أنّ ذلك سيساعد النظام على تحشيد قوّاته وقضم المناطق.

بيان

بسم الله الرحمن الرحيم

يقوم النظام مدعوماً بميليشيات إيرانية وعراقية وجيش التحرير الفلسطيني وميليشيا حزب الله وميليشيا وتام ووهاب اللبنانية بالهجوم على مواقعنا في ريف السويداء الشرقي وريف دمشق بتاريخ 10/7/2017 مدعياً أنه يقاتل تنظيم داعش الإرهابي في تلك المناطق ونحن نبين أنه منذ تاريخ 18/3/2017 وفي معركة سرجنا الجياد قمنا بطرد تنظيم داعش من تلك المناطق وتحريرها ونؤكد أنه لايوجد أي عنصر لتنظيم داعش في تلك المناطق ونثبت أن النظام يكذب في ادعاءاته هذه وأن الروس هم من يقومون بالتغطية للنظام في تلك المعركة والطائرات الروسية هي من تقوم بقصف مواقعنا ومقراتنا في الوقت الذي تجلس فيه في الاستانة وجنيف للتفاوض كطرف ضامن للنظام ونحن نطالب المجتمع الدولي بالتدخل الفوري لوضع حد للموقف الروسي المساند للنظام والمؤيد له. ونطالب كل الفصائل المشاركة في جنيف برفض أي هدنة مطروحة مالم تكن شاملة لكل المناطق ونحذر الفصائل من أن النتائج ستكون وخيمة في حال القبول هدنة بمناطق وترك مناطق لان ذلك سيساعد النظام على تحشيد قواته في جبهات وقضم أراضي من المعارضة ونحن

جيش اسود الشرقية وقوات الشهيد أحمد العبدو نحذر الفصائل المشاركة من إعطاء النظام تلك الفرصة.

16 /شوال 1438 هـ - 10/ 07 /2017م

وكان التحالف الدوليّ قد بدأ بالضغط على الفصائل المعارضة في تلك المنطقة للانسحاب من بادية السويداء بالتزامن مع بدء المشاورات حول وقف إطلاق النار في "منطقة خفض التصعيد في الجنوب السوريّ" التي توصّلت إليها كلٌّ من روسيا وأميركا والأردن في أيار/ مايو 2017، وهو ما أكّده تصريح القياديّ العسكريّ في "كتائب أحمد العبدو" (إحدى الفصائل المقاتلة في القلمون الشرقيّ والبادية السوريّة)، محمد أبو المثنى، لموقع "عربي 21"، والذي قال فيه: إنّ "الخلافات بدأت منذ فترة المعارك بين المعارضة من جهةٍ وقوّات النظام وميليشياته من جهةٍ أخرى، عندما أمر التحالف الدوليّ الذي يقود المعارك هناك، انطلاقًا من قاعدة التنف والأراضي الأردنيّة، فصائل المعارضة بالانسحاب من ريف السويداء الشرقيّ وتسليمه لقوّات النظام"[28].

وفي 10 آب / أغسطس 2017، شهدت بادية السويداء اشتباكاتٍ عنيفةً بين قوّات الأسد والميليشيات الموالية لها، وبين "قوّات أحمد العبدو" و"جيش أسود الشرقيّة"، على محاورَ عدّةٍ في بادية السويداء، واستطاعت سلطة الأسد والميليشيات التابعة لها من تحقيق تقدّمٍ كبيرٍ في هذه المعارك. وهو ما أكّده "المرصد السوريّ لحقوق الإنسان" حينها بأنّ قوّات النظام تمكّنت من تحقيق تقدّمٍ كبيرٍ في المنطقة، والسيطرة على مواقعَ حدوديّةٍ، لتنهي بذلك وجود الفصائل على

28 - كنجو، حسان، ضغوط بجنوب سوريا.. وحديث عن "خلافات' ل/ أكتوبر 2017.

بيان جيش أسود الشرقية وقوات أحمد العبدو في تاريخ 10/ 7/ 2017

https://arabi21.com/story/1044727/%D8%B6%D8%BA%D9%88%D8%B7-%D8%A8%D8%AC%D9%86%D9%88%D8%A8-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D8%B9%D9%86-%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A7%D8%AA-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D9%83-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D9%84

الحدود السوريّة – الأردنيّة داخل الحدود الإداريّة في محافظة السويداء[29]. ما دفع "جيش أحرار العشائر" لإطلاق معركة "ردّ الكرامة" في آب/ أغسطس 2017، لاسترداد ما خسرته المعارضة المسلّحة في بادية السويداء من نقاطٍ حدوديّةٍ ومواقعَ مهمّةٍ. واستطاعت المعركة تحقيق بعض التقدّم، لكن سرعان ما سيطرت قوّات سلطة الأسد وأنهت وجود فصائل المعارضة في بادية السويداء. في المقابل، كانت منطقة تماس قوّات الأسد مع التنظيم هادئةً إلّا من مناوشاتٍ محدودةٍ اتّهمت من الناشطين هناك بأنّها "مسرحيّة"، غير جديّة، الهدف منها التعمية عن حقيقة رضى سلطة الأسد عن وجود "التنظيم" لسهولة الاستفادة منه ضدّ المعارضة المسلّحة ولابتزاز الغرب. وعلى الرغم من ترجيحنا هذا الرأي إلّا أنّه يبقى احتمال تداخل حماسة الجند، وخلافات قادتهم الميدانيّين على النفوذ باقتصاديّات الحرب التي يديرونها، ورغبة الطرفين باستعراض بعض الحدّة باتّجاه بعضهما، ولتنبيه جندهما أنّ ما قد يظنّونه تعاونًا ووئامًا هما مصلحيّان وليسا بدائمين، كلّها عواملُ إضافيّةٌ قد تؤدّي إلى بعض الاحتكاكات العنيفة التي لم تكن لتؤثّر على اعتقاد كلٍّ من الطرفين بفائدة وجود الآخر لخدمة أهدافه وتفضيله على بقيّة الأطراف التي يناصبها العداء؛ ففي 9 حزيران/ يونيو 2018 أعلنت سلطة الأسد بدء عمليّةٍ عسكريّةٍ ضدّ "تنظيم الدولة" في ريف السويداء، المتداخل مع ريف دمشق، بالاشتراك مع ميليشياتٍ حليفةٍ لها مدعومةٍ من إيران. ونفّذت العمليّة العسكريّة من ثلاثة محاور، المحور الأوّل من جهة "تل الأصفر" شمال شرق السويداء باتّجاه "خربة الأمباشي"، وهي المنطقة التي نُقل إليها عناصر "التنظيم" من منطقتي "الحجر الأسود" و"مخيم اليرموك" جنوب دمشق في أيار/ مايو من العام نفسه. والمحور الثاني من جهة "القصر-الساقية"، باتجاه "خربة الأمباشي" أيضًا والتي شهدت اشتباكاتٍ مع "داعش". والمحور الثالث، من جهة "الزلف" شرق السويداء باتّجاه "تلول الصفا"[30]. وثبّتت سلطة الأسد نقاط تمركزٍ غالبًا من القوّات غير الموثوقة لديها وغير المأسوف عليها، ومنها جيش التحرير الفلسطينيّ الذي سقط العديد من عناصره بين قتيلٍ وجريح[31].

وبحسب شهودنا، فإنّ قوّات الأسد بدأت بسحب قوّاتها من البادية في آخر حزيران/ يونيو 2018، بحجّة القتال في محافظة درعا. وهو ما تقاطع مع ما ذكرته "شبكة السويداء 24 الإخبارية"، بأنّ قوّات سلطة الأسد انسحبت من مناطق "الهبيرية" و"خربة الأمباشي" و"قاع البنات" و"بئر الكعل" و"سوح المجيدي" التي سيطرت عليها في بادية السويداء الشرقيّة باتّجاه الخطوط الخلفيّة في "الأشرفية" و"الساقية" و"تل أصفر" التي كانت قد انطلقت منها في هجومها على مواقع "التنظيم" خلال حملتها العسكريّة.

29 - المرصد السوري، قوات النظام تتقدم مجدداً في بادية السويداء وتسيطر على منطقة جديدة، 14 آب/ أغسطس 2017.
http://www.syriahr.com/?p=235631

30 - عربي 21، النظام السوري يعلن بدء عملية في ريف السويداء ضد "داعش"، 10 حزيران/ يونيو 2018.
https://arabi21.com/story/1100496/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%A8%D8%AF%D8%A1-%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D8%B6%D8%AF-%22%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%22

31 - يوسف فخرالدين، همام الخطيب، جيش التحرير الفلسطينيّ في الحرب السوريّة، المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونية، تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
https://sl-center.org/?tag=%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A

وبعد أن تراجعت قوّات الأسد إلى مواقعها في الخطوط الخلفيّة، قامت بنقل معظم عناصرها إلى محافظة درعا للمشاركة في العمليّات العسكريّة في ريف درعا الشرقيّ. بينما ركّز "التنظيم" من وجوده في مناطق "الهبيرية" و"الأمباشي" و"الحصا" ومنطقة "الكراع" المتاخمة لقرى ريف السويداء الشرقيّ. بعدها نفّذ "التنظيم" هجومه على القرى الشرقيّة في محافظة السويداء في 25 تموز/ يوليو 2018، وهو ما سنبحث في تفاصيله في موضعٍ لاحقٍ من الدراسة.

وفي نهاية الشهر نفسه توصّلت قوّات الأسد وقيادة "جيش خالد" إلى اتّفاقٍ بخروج مقاتلي "التنظيم" من بلدات "عابدين" و"الشجرة" و"بيت أرة" و"كويا" و"معربة"، آخر معاقل التنظيم في مثلث الحدود السوريّة مع الجولان المحتلّ ومع الأردن. ونصّ الاتّفاق على تسليم "التنظيم" لكامل أسلحته الثقيلة والسماح بخروج عناصره مع سلاحهم الفرديّ. وخرجت الدفعة الأولى من عناصر "التنظيم" نحو "الكراع" و"الدياثة" في بادية السويداء. وقد نقلت قوّات الأسد عناصر "التنظيم" سريًّا، عبر حافلاتٍ وسيارات شحنٍ، على مدار يومين، تخوّفًا من إثارة أيّ ضجّةٍ إعلاميّة، عقب المجازر التي ارتكبها التنظيم في قرى السويداء الشرقيّة. بينما نقلت آخر دفعةٍ من "دواعش" حوض اليرموك، إلى "حوش حماد" في منطقة "اللجاة" شمال غربيّ السويداء. وجاء إخلاء القسم الأخير من مسلّحي "جيش خالد" إلى "حوش حماد"، بناءً على طلب "الدواعش"، بعدما كان النظام ينوي نقلهم بالكامل إلى بادية السويداء[32].

رابعًا: أبرز العمليّات العسكريّة التي نفّذها "التنظيم"، وكيف وظّفتها سلطة الأسد

اتّبعت سلطة الأسد منهجيّةً في التعامل مع الاحتجاجات والمظاهرات في محافظة السويداء منذ اندلاع الثورة في سورية؛ حيث لم توجّه الرصاص مباشرةً إلى صدور المتظاهرين كما فعلت مع المحتجّين في باقي المحافظات في بداية الحراك، واقتصر الأمر على تنفيذ الاعتقالات الأمنيّة، وقمع الاحتجاجات بواسطة مجموعات "الشبيحة"، وأحيانًا بتدخّلٍ محدودٍ من الأجهزة الأمنيّة في المحافظة، وكانت مداهمات البيوت بحدودها الدنيا على الرغم من تنامي الحالة الشعبيّة في السويداء الرافضة للجنديّة التي ساهمت في تعزيزها وتمدّدها وتجذّرها حركة "مشايخ الكرامة"، بإعلانها عن استعدادها حماية المتخلّفين والفارّين من جيش الأسد. وعلى الرغم من حدوث صداماتٍ مباشرةٍ بين حركة "مشايخ الكرامة" والقوى الأمنيّة في محافظة السويداء، إلّا أنّ الأخيرة، بحسب الشهادات التي بحوزتنا، انسحبت من المواجهة المباشرة ووظّفت وجود قوى التطرّف المتمثّلة بـ "داعش"، و"جبهة النصرة"، عبر إدارتها للفوضى في المحافظة ومعرفتها بطبيعة القوى المتطرّفة وكيفيّة الاستفادة من وجودها وتحرّكاتها، لإيصال رسائلها إلى المجتمع وعقابه والتلاعب به وبأمنه والضغط عليه في تكوين خطابه واتّجاهات رأيه. وهو ما سنبيّنه في هذا المحور من الدراسة بالتفصيل؛ من حيث رصد الحدث وكيفيّة توظيفه من سلطة الأسد، إذا لم نقل المساهمة في صنعه وتفعيله في بعض الأحيان، وأثره في المجتمع وردّات الأفعال عليه. وفي هذا المحور سنستعرض أبرز الأعمال العسكريّة التي نفّذها "تنظيم الدولة الإسلاميّة" داخل محافظة السويداء، والظروف السياسيّة والأمنيّة التي سبقتها وتزامنت معها، وكيف تمّ توظيفها، وما هي نتائجها في المجتمع، وما هي اتجاهات الرأي التي

32 - حمدان، سيباستيان، "دواعش" حوض اليرموك إلى بادية السويداء الشرقية، المدن، 1 آب/ أغسطس 2018.
https://www.almodon.com/arabworld/2018/8/1/%D8%AF%D9%88%D8%B9%D8%B4-%D8%AD%D9%88%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B1%D9%85%D9%88%D9%83-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A9

تكوّنت فيه تجاهها. وسنلاحظ في ما سنستعرضه لاحقًا كيف استفادت سلطة الأسد من وجود "التنظيم" في بادية السويداء للضغط على المجتمع بملفّ الجنديّة وسحب السلاح من الحركات الأهليّة المسلّحة فيه، وتخويفه.

وتقاطعت الشهادات في تفسير استخدام سلطة الأسد للعنف الناعم، مقارنة بضربها الثورة في أغلب سورية بالحديد والنار، على أنّه إدراكٌ لخصوصيّة المحافظة سابقة الذكر عن كون أغلبيّة سكّانها ينتمون إلى طائفة الموحدين الدروز، فراعت ادّعاءها بأنّها "حامية الأقليّات" من الإرهاب، وفضّلت استخدام وسائلَ أخرى تتماشى مع هذه الثيمة بما فيها توظيف وجود الإرهابيّين. وبهذا أبقت "شعرة معاوية" بينها وبين المحافظة، أو بصيغة أخرى أبقت على سياسة "العصا والجزرة" أملًا بالوصول إلى غايتها بإقناع المجتمع بالعدول عن رفض الخدمة الإلزاميّة تحت ضغط النقص البشريّ الكبير في جيشها. كما يشير الشهود إلى أنّ اتّصال بادية السويداء بالبادية الشاميّة والحماد وامتدادها حتّى الحدود العراقيّة واتّصالها بقاعدة "التنف" الأميركيّة البريطانيّة، يجعل من وجود "داعش" في هذه المنطقة والتحكّم بحركته، ورقةَ ضغطٍ تمكّن سلطة الأسد ومن خلفها الداعم الإيرانيّ من فتح "بازار" فيها، وإعادة خلط أوراق ملفّ الجنوب السوريّ، ولاسيّما بعد أن توافقت كلٌّ من أميركا والأردن وروسيا على ترتيباته، مستثنين إيران وسلطة الأسد منه.

1- معركتا "الحقف" (19 أيار/ مايو 2015) و"شقا" (3 تموز/ يوليو 2015)

أ- الأحداث الأمنيّة والسياسيّة والعسكريّة التي سبقت المعركتين وتزامنت معهما

وثّقنا هنا أهمّ وقائع تحدّي المجتمع الأهليّ في السويداء للسلطة، ولاسيّما في ملفّ الجنديّة، وردّه على محاولتها بذر الشقاق فيه ومع محيطه، وهو ما استوجب عقابه بإفلات توحّش "داعش" الذي طالما هدّدت سلطة الأسد به على لسان مسؤوليها، بطريقةٍ مبطّنةٍ أو مباشرةٍ.

وقد شهدت الفترة التي سبقت معركتي "الحقف" و"شقا" صداماتٍ كثيرةً بين إرادة المجتمع الأهليّ في السويداء وإرادة سلطة الأسد فيها، ولاسيّما في ملفّي الجنديّة وسلاح "مشايخ الكرامة"؛ ففي تاريخ 2015/1/22 قام "مشايخ الكرامة" بهدم حاجزٍ للأمن الجويّ على طريق قرية "المزرعة"، بعد إساءة عناصره لسكّان القرية أثناء مرورهم على الحاجز، وأطلق بعدها الشيخ "وحيد البلعوس" قائد حركة "مشايخ الكرامة" خطابه الشهير الذي تحدّى فيه الرئيس بشار الأسد، فقال: "كرامتنا أهم من بشار الأسد"، وهدّد رئيس فرع الأمن العسكريّ في المحافظة، العميد وفيق ناصر.

صورة تظهر هدم "مشايخ الكرامة"، وأهالي بلدة المزرعة، لحاجز الأمن الجويّ في مدينة السويداء بعد اعتدائه على المارّة (مصدر الصورة: الإنترنت)

وازدادت وتيرة التحدّيات تلك عندما أعلنت فصائل المعارضة العسكريّة في محافظة درعا، في 21 آذار/ مارس 2015، عن انطلاق معركة "قادسية بصرى" لتحرير مدينة "بصرى" في الجنوب الشرقيّ من محافظة درعا. عندها أصاب أهالي السويداء حالة من الخوف والقلق والترقّب، وذلك بالتساوق مع دعايات قوى الأسد الأمنيّة بحتميّة استهداف السويداء من قبل "الإرهابيّين" القادمين من درعا، وذلك لتحشيدهم ومن ثمّ الاستفادة منهم في دخول المعركة إلى جانبها، ليتسنّى لها توريط فصائل المعارضة باستهداف الأقليّة الدرزيّة. وقد صدرت ردّات فعلٍ من سكّان القرى المحاذية لمدينة "بصرى" تدلّ على نجاحٍ حقّقته ماكينة الأسد الإعلاميّة الأمنيّة في بثّ الخوف في النفوس. وممّا زاد في خوف الأهالي، سلوك ميليشيات سلطة الأسد الأخرق؛ حيث كانوا يروّجون أنّهم في حالة اشتباكٍ ضمن قرى السويداء المجاورة لمدينة "بصرى"، مع أنّ الاشتباكات حينها كانت في "بصرى" و"صماد" في أراضي محافظة درعا، كما كانوا يطلقون النار في الهواء داخل قرى ومدن السويداء للإمعان بإخافة الأهالي وتحفيزهم على إبداء ردّات فعلٍ خرقاء. كان هذا قبل أن تضع المعركة أوزارها ويُظهر الجيش الحرّ حينها سلوكًا مميّزًا في طمأنة أهالي السويداء؛ فقد تبيّن لأهالي السويداء، وبمن فيهم شريحة المولاة لسلطة الأسد، أنّ هذه المعركة لا تستهدف أمنهم، وليس هدف الفصائل العسكريّة في درعا الدخول إلى السويداء، بل على العكس، كان الرأي العامّ في المحافظة يتّجه إلى أنّ مسلّحي "ميليشيا الدفاع الوطنيّ" و"ميليشيا الحزب القوميّ السوريّ" هم من بادروا بالاعتداء، وهم من يحاولون جرّ السويداء إلى الفتنة والحرب. ولوحظ حينها انزياحٌ في موقف أهالي الجبل تجاه سلطة الأسد، ويعود هذا إلى أنّه ولأوّل مرّةٍ يحدث حدثٌ قريبٌ منهم يستطيعون معاينته من كثب من دون وسيطٍ؛ فهم رأوا أنّ المقاتلين في حوران هم أهل البلد وليسوا غرباء كما كان يشيع النظام بأنّ المقاتلين في درعا هم من جنسيّاتٍ غير سوريّة. إضافةً إلى تراجع قوّات الأسد وتهرّبها من الوجود على خطّ الاشتباك في القرى التابعة لمحافظة السويداء والمحاذية لمدينة "بصرى الشام"، على الرغم من أنّ أوساط الموالاة في تلك القرى طلبت حمايتها، بل أكثر من ذلك فقد زُجّ شباب تلك القرى في مواجهةٍ عبثيّةٍ مع الجيش الحرّ. لكنّ اللافت حينها هو تعاطي الجيش الحرّ بحكمةٍ مع مجريات الحدث، ولولا هذه الحكمة الهادفة لوأد الفتنة، لكان هناك مئات القتلى. إضافةً إلى استفزاز إعلام سلطة الأسد لأهالي هذه القرى التي وقعت مصادفةً في خطّ الاشتباك. فبينما كانت الاشتباكات دائرةً في "بصرى"، والقتلى في الأرض، كانت قنوات سلطة الأسد الإعلاميّة، والتي كان يتابعها عادةً الأغلبيّة العظمى من أهالي السويداء، تبثُّ برامجَ تخصّ الرياضة والطبخ والترفيه وإلى ما هنالك، وكأنّهم خارج سورية، وفي الوقت الذي تحرّرت فيه "بصرى" بالكامل كانت قناة "سما" الناطقة بلسان سلطة الأسد تقول: إنّ قوّات الجيش الباسل تمشّط وتطهّر بصرى الشام من فلول العصابات الإرهابيّة المسلّحة. هنا شعر أهالي قرى السويداء الذين باتوا في قلب الحدث (لأوّل مرّة يشهدون معركةً قريبةً منهم بين جيش الأسد وفصائل المعارضة المسلّحة) بالاستفزاز، وتبيّنوا مدى الكذب والنفاق والانفصال عن الواقع لدى إعلام النظام.

وكان قد صدر بيانٌ باسم أهالي ومثقّفي درعا، يؤكّد وحدة الشعب السوريّ والتاريخ الوطنيّ المشترك بين محافظتي درعا والسويداء، وأكّد البيان حسن الجوار وحذّر من الفتنة التي يسعى لها النظام. وذُكر في البيان أنّ ما يحدث في درعا هو حرب تحريرٍ من الاستبداد والاحتلال الإيرانيّ، ونبّه البيان: "نهيب بكم أن تنتبهوا وأنتم النبهاء إلى أنّ استخدام أبناء السويداء وقودًا

لمشروع إيران هو محاولةٌ بائسةٌ للّعب بمصير البلاد، ونحن وأنتم خارج هذا المضمار والتاريخ يشهد"33. ووقّعت عليه شخصيّاتٌ مؤثّرةٌ من أهالي درعا والسويداء.

وصدر بيانٌ من "تجمّع القوى الوطنيّة في السويداء" يبارك لأهل درعا هذا الانتصار، ويؤكّد وحدة السهل والجبل، وبأنّ الوطن باقٍ والمستبدّ زائلٌ، ويفضح ممارسات النظام الرامية للفتنة، ويؤكّد أنّ السويداء وقواها السياسيّة "جزء لا يتجزّأ من نسيج الشعب السوريّ الثائر لنيل حريّته مهما طال الزمن وبلغ الثمن"34.

وفي 26 آذار/ مارس 2015، بعد هزيمة النظام في مدينة "بصرى"، ذهب الشيخ وحيد البلعوس إلى بلدة "القريّا" لإحياء ذكرى رحيل القائد العامّ للثورة السوريّة الكبرى سلطان الأطرش. وبحسب شهودنا، فإنّ الشيخ "البلعوس" عند دخوله إلى ضريح "سلطان الأطرش" كانت هناك مجموعةٌ من "الشبيحة" يرفعون علم النظام، فأمر بإنزاله، وحصلت مشاحناتٌ فيما بينهم، ثمّ أنزلوه عنوةً، وبعدها ألقى خطابًا يؤكّد فيه ضرورة السلم الأهليّ والمحافظة على العلاقة الطيّبة مع أهالي "درعا"، وأنّ الحرب يجب أن تكون على الفتنة، مشيرًا إلى مسؤوليّة أجهزة النظام الأمنيّة في بثّها، وبيّن أنّ أهالي "درعا" في الأحداث الأخيرة لم يكن في نيّتهم الاعتداء على محافظة السويداء. ودعا إلى مؤتمر إنقاذٍ وطنيٍّ لسورية35. هذه الأحداث لم ترق لسلطة الأسد واعتبرتها تحدّيًا صارخًا لها، وهي التي طالما فاخرت أنّها حاميةٌ للأقليّات، ولاسيّما بعد أن رفض أبناء السويداء مشاركة سلطة الأسد بحملتها على "بصر الحرير" في ريف درعا، بما في ذلك الكثير من عناصر ميليشياتها في المحافظة التي بدأت فيها حركة انشقاقٍ باتّجاه حركة "مشايخ الكرامة".

وفي اليوم الذي تلا هذا الحدث، والذي لقي استحسانًا عند أهالي السويداء عامّة، قُتل الشاب صافي ركاب من قرية "المتونة" شماليّ محافظة السويداء، وكان قد خُطِف مع اثنين من أقاربه من قِبل مجهولين، وبعدها بأيامٍ قُتِل شابّان من قرية "حيط" في محافظة درعا ضمن أراضي السويداء بظروفٍ غامضةٍ، وهما "إبراهيم محمود الأقرع" و"محمد فخري الناصري"؛ حيث وُجدا مقتولين ومرميّين على الأرض، وهما مكبّلا الأيدي، وبعدها أشيع أنّ من قتلهم هو "موسى حيدر" المعروف بأبي العباس، الذي ينتمي في المذهب إلى شيعة بصرى، ويسكن في مدينة "صلخد" قرب مركز أمن الدولة في المدينة. (وهذا ما أكّدته صفحاتٌ إعلاميّةٌ عدّة على شبكة التواصل الاجتماعيّ "الفيس بوك" منها "شبكة أخبار درعا والسويداء الموحدة").

وجاء تهديد السلطة بـ "داعش" آنذاك صراحة على لسان المستشارة الإعلاميّة في القصر الرئاسي آنذاك، لونا الشبل، لأبناء محافظة السويداء. فقد نقل أحد شهودنا عن أحد أشخاص الوفد الذي قابلها مجريات المقابلة، حيث قال: إنّ لونا الشبل جلست أمامهم وكانت متوتّرةً، وكانت تحرّك حذاءها بطريقةٍ هستيريّةٍ وهي تكلّمهم وتهدّدهم. وقالت لهم: لولا تواطؤكم لما سقطت بصرى الشام بيد الإرهابيّين. طالبناكم بالانضمام إلى الجيش والدفاع الوطنيّ، لكنّ قلّةً قليلةً منكم لبّت نداءنا، فسقطت بصرى بيد التكفيريّين، ثمّ أضافت: على كلّ حالٍ، إذا لم تنضمّوا إلى الجيش، فـ"داعش" ليست بعيدةً، وهي قادرةٌ على الوصول إليكم خلال ساعات.

---

33 - للاطلاع على البيان كاملًا انظر الوثيقة رقم (2)

34 - للاطلاع على البيان كاملًا انظر الوثيقة رقم (5)

35 - فيديو يظهر الشيخ وحيد البلعوس قائد حركة "مشايخ الكرامة" وهو أمام صرح سلطان الأطرش في بلدة القريا، في تاريخ 26 آذار/ مارس 2015، في ذكرى وفاة سلطان الأطرش القائد العام للثورة السورية الكبرى عام 1925.
https://www.facebook.com/Suwayda24/videos/354516182093152/

بعد هذه الأحداث نفّذ "داعش" أولى هجماته على محافظة السويداء، ووقعت معركة "الحقف" في 19/ 5/ 2015، وهو ما سنتحدّث في تفاصيله أثناء وقوفنا على مجريات معركة "الحقف".

وبعد معركة "الحقف" بدأت سلطت الأسد بإخراج السلاح الثقيل من المحافظة، وتفريغ صوامع الحبوب فيها، فتنبّه ناشطو المحافظة وحركة "مشايخ الكرامة" لخطورة هذا الأمر، وعدّوه حينها خطوةً تمهّد لضرب وحصار المحافظة عبر الجماعات المتطرّفة والتكفيريّة، وعلى رأسها "داعش"، لعقابها على تجاوزها الخطوط الحمراء، ورفض أبنائها المشاركة في إراقة الدم السوريّ.

وبناءً عليه اتّخذت حركة "مشايخ الكرامة" خطواتٍ عمليّةً تجاه منع خروج السلاح الثقيل والحبوب من المحافظة؛ حيث أوقفت مجموعةٌ من عناصرها، في 7 حزيران/ يونيو 2015، قافلة أسلحةٍ وصواريخَ في بلدة "المزرعة" كانت تتوجّه إلى مطار "بلي" العسكريّ الواقع بين محافظتي السويداء وريف دمشق. وتأتي هذه العمليّة بعد أيامٍ على خطوةٍ مماثلةٍ قام بها "مشايخ الكرامة"، حيث منعوا فيها إخراج رتلٍ من الدبّابات من المحافظة، على وقع هتافاتٍ مناهضةٍ للنظام: "سوريا لينا وما هي لبيت الأسد"[36]. وهو ما جاء تنفيذًا لكلام الشيخ "البلعوس" قائد الحركة، بمنع خروج السلاح الثقيل ومخزون القمح من المحافظة، إضافةً إلى تجديد كلامه بخصوص منع الخدمة الإلزاميّة في صفوف قوّات الأسد، وإبقائها طوعيّةً لمن يريد الالتحاق، ما جعل سلطة الأسد تستشيط غضبًا أكثر فأكثر، وتشعر بفقدان هيبتها وسطوتها في محافظة السويداء.

عناصر من "مشايخ الكرامة" أثناء توقيفهم للرتل العسكريّ المتوجّه إلى دمشق

وعلى وقع هذه الأحداث زار رئيس مكتب "الأمن الوطنيّ"، علي مملوك، محافظة السويداء، في 22 حزيران/ يونيو 2015، واجتمع بمشيخة العقل في السويداء. وناقشت الزيارة ملفّ الفارّين والمتخلّفين عن الجنديّة، وشدّد "مملوك" على ضرورة التحاق أبناء السويداء بالجيش، وعلى أنّ خطر الإرهاب محدقٌ بالمحافظة.

وهو ما أثار ردّات فعلٍ حينها لدى شريحةٍ من سياسيّي ومثقّفي المحافظة، وداخل أوساط الطائفة الدرزيّة خارج سورية، وأبرزها سلسلة "التغريدات" التي أطلقها رئيس اللقاء الديمقراطيّ اللبنانيّ، النائب وليد جنبلاط، على "تويتر" ردًّا على هذه الزيارة، فقال: "زار السويداء المدعو علي مملوك أي معلم ميشال سماحة واجتمع مع مشايخ العقل محرّضًا وهذه وظيفته التحريض على القتل والإجرام".

36 - فيديو يظهر عناصر من حركة "مشايخ الكرامة" وهم يمنعون رتلًا لقوّات الأسد ينقل سلاحًا ثقيلًا من الخروج خارج المحافظة، على وقع هتاف: "سورية لينا وما هي لبيت الأسد".
https://youtu.be/izx95tofKyQ?t=43

وأشار "جنبلاط" إلى أن "أحد أبرز رموز الإدارة الإسرائيليّة، أيوب القرا القريب جدًّا من نتنياهو ينشط يمينًا وشمالًا، عارضًا خدماته أي خدمات إسرائيل لمساعدة دروز سوريا". فغرّد مستاءً: "يا له من تلاق غريب ومدروس بين علي مملوك وأيوب القرا". مضيفًا أن "على عقلاء جبل العرب أن يستدركوا حجم المؤامرة التي ترمي إلى الإيقاع بينهم وبين أهل حوران والعرب البدو في السويداء". وشدّد على "أن مشروع الفتنة المشترك السوريّ الإسرائيليّ هو للإيقاع بين العرب الدروز وأهل حوران والسنّة بشكلٍ عامّ".

سلسلة تغريدات أطلقها وليد جنبلاط على موقعه في "تويتر"، بعد زيارة علي مملوك إلى السويداء. (المصدر: معرّفات تويتر)

بعد زيارة "مملوك" إلى السويداء، أُعلن عن تشكيل غرفة عمليّات "درع الوطن" كفصيلٍ درزيٍّ يقاتل تحت لواء سلطة الأسد. وهذا التشكيل ارتبط مباشرةً بـ"الفرقة الرابعة" التي يقودها شقيق الرئيس السوريّ، ماهر الأسد، وقد تقرّر تشكيله بعد اجتماع شخصيّاتٍ دينيّةٍ وعسكريّةٍ في خطوةٍ استباقيّةٍ لإقفال الطريق أمام أيّ مبادراتٍ أهليّةٍ أخرى بدأت تثبت وجودها في السويداء، وعلى رأسها حركة "مشايخ الكرامة"، وأوكلت مهمّة تشكيله وقيادته آنذاك إلى العميد نايف العاقل الذي كان يعمل في صفوف جيش الأسد قبل تقاعده، وله شعبيّةٌ كبيرةٌ داخل محافظة السويداء كونه من أبطال معركة تشرين عام 1973، فأرادت سلطة الأسد الاستثمار بتلك الشعبيّة. وسبق الإعلان عن تشكيل هذا الجسم العسكريّ آنذاك، زيارةٌ قامت بها شخصيّاتٌ سياسيّةٌ وعسكريّةٌ ودينيّةٌ واقتصاديّةٌ وقانونيّةٌ تابعةٌ لسلطة الأسد من محافظة السويداء، إلى طهران، على رأسهم غسان قرضاب، ونزيه جربوع، والشيخ كميل نصر، ومزيد غرز الدين، وغيرهم من الشخصيّات الدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة المقرّبة من سلطة الأسد. إلّا أنّ تشكيل (درع الوطن) ما لبث أن فشل، ولم يحقّق غاية سلطة الأسد المرجوّة منه في استعادة الشباب الفارّين والمتخلّفين عن الجيش، بل على العكس،

الجبهة الجنوبية

بيان الجبهة الجنوبية
2015/6/11

إلى أهلنا بني معروف في جبل العرب وفي سائر المناطق السورية

إن القيادة المشتركة للجبهة الجنوبية للجيش السوري الحر تدين بشدة محاولات النظام الآثمة زرع الفتنة بين أطياف المجتمع السوري، وخصوصاً بين محافظتي درعا والسويداء الجارتين بهدف إشعال فتيل التوتر الطائفي، خصوصاً بعد الهزائم المتتالية التي يتعرض لها النظام مؤخراً على جبهات الجنوب السوري.

تدين الجبهة الجنوبية بشدة عمليات قصف المناطق المدنية عموماً، ومنها قصف مدينة السويداء بقذائف الهاون التي حدث اليوم، وتعتبر هذا القصف الأخير جزءاً من لعبة النظام لتوتيف أبناء السويداء وتعريتهم عن محيطهم الحيوي في الجنوب السوري. وتؤكد أن أبناء السويداء هم أهلنا وأهلنا، وأننا لن نقبل بقتلهم، وأننا سنكون مجبرين يداً بيد بمواجهة جميع المخاطر التي تتهدد محافظة السويداء في حال طلبوا منا ذلك.

كما تؤكد الجبهة الجنوبية على الجهود التي تبذلها في مواجهة خطر داعش على محافظة السويداء، وتؤكد بدعا لأهلنا والأحرار في محافظة السويداء وفي جميع المناطق السورية من أجل مواجهة خطر داعش.

وكذلك فإن الجبهة الجنوبية للجيش السوري الحر تدين بأشد العبارات المجزرة المروعة التي تعرض لها أهلنا في قرية قلب لوزة في محافظة إدلب على يد جبهة النصرة، وتعتبرها جريمة بحق الجيش المشترك والمقاتل السوري عموماً. وتعلن عن استعدادها للقيام بدور فعال لحماية القرى الدرزية في محافظة إدلب كخطوة إضافية على طريق حماية الغني والتنوع السوري.

ستتابع الجبهة الجنوبية جهودها المتمثلة لإنهاء ملف المحاصرين في جميع مناطق توادد تشكيلاتها، ولاسيما في درعا والسويداء. كما تؤكد على جهودها الدائمة في حماية الأراضي الزراعية في قرى السويداء الغربية من أجل تأمين هذه المناطق خلال موسم الحصاد، عاشت سوريا حرة.

اللواء عصام الريس
القائمة الرسمي للجبهة الجنوبية
الجيش السوري الحر

بيان الجبهة الجنوبية الموجه إلى أبناء السويداء في تاريخ 11 حزيران/ يونيو 2015

لاحظنا أثناء تلك الفترة انضمام الكثير من شباب المحافظة الممتنعين عن الجنديّة إلى حركة "مشايخ الكرامة" بعدما تبنّت حمايتهم.

وفي حزيران/ يونيو 2015 قُصفت مدينة السويداء بقذائف الهاون بالتزامن مع بدء معركة "مطار الثعلة"، وسقطت القذائف في أحياء ("الدبيسي" و"طريق قنوات" و"ساحة النجمة") وسط مدينة السويداء، ما أدّى إلى استشهاد المواطن أسعد سرايا، وإصابة حفيدته أنجيلا سرايا ومواطِنَيْن آخَرَيْن، وأصيب منزل المواطن علي الفقيه، ومنزل المواطن صلاح بدران. ويومها سارعت الماكينة الإعلاميّة الأمنيّة كعادتها إلى إلصاق التهمة بفصائل المعارضة المسلّحة، لتردّ "الجبهة الجنوبيّة" على تلك الاتّهامات في بيانٍ لها، صدر في 11 حزيران/ يونيو 2015، بيّنت فيه عدم مسؤوليّتها عن إطلاق تلك القذائف وأكّدت استنكارها لهذا الفعل وإدانتها له، وجاء في البيان: "تدين الجبهة الجنوبيّة بشدّة عمليّات القصف للمناطق المدنيّة عمومًا، ومنها قصف مدينة السويداء بقذائف الهاون الذي حدث اليوم، وتعتبر هذا القصف الآثم جزءًا من لعبة النظام لتخويف أبناء السويداء ولعزلهم عن محيطهم الحيويّ في الجنوب السوريّ. ونؤكّد أنّ أهالي السويداء هم إخوتنا وأهلنا، لم ولن نقاتلهم، وإنّنا سنكون معهم يدًا بيدٍ بمواجهة جميع الأخطار التي تتهدّد محافظة السويداء، في حال طبلوا منّا ذلك"، وأشار البيان إلى جهودٍ يبذلها الجيش الحرّ لدرء خطر "داعش" عن السويداء، مبديًا استعداده للتعاون مع أهالي السويداء.

كما قال الناطق الرسميّ باسم "الجبهة الجنوبيّة"، الرائد عصام الريس، لهيئة الإذاعة البريطانيّة "BBC" إنّه "لم يحدث سابقًا أن تعرّضت أيّ قريةٍ من قرى أهلنا الدروز لقصفٍ من قبل الجيش السوريّ الحرّ، بل النظام هو من سحب جيشه من قرى شرق السويداء ويسمح لداعش باستلام تلك القرى و الاستقرار فيها. الجبهة الجنوبيّة هي من تقف بوجه داعش، وقتلى داعش على يد فصائل الجبهة الجنوبيّة". وأضاف "من يحمي شرق السويداء هو الجيش الحرّ ولا يوجد أيّ نوايا لدخول السويداء أو المناطق الآمنة من قبل الجبهة الجنوبيّة". وأكّد "الريس": أنّ "الهجوم على مطارٍ أو ثكنةٍ عسكريّةٍ فيها مجرمون يلقون البراميل على المدنيّين هو عملٌ وأمرٌ مشروع. العمل بالنهاية هو باتجاه دمشق ولكن لن نسمح ببقاء مطارٍ موجودٍ للنظام تخرج منه طائرات لكي تؤمّن غطاءً جويًّا لقوّات النظام، أو تلقي براميل على المدنيّين"[37].

بعد أن فشلت الماكينة الأمنيّة بإيقاع الفتنة مع درعا اتّجهت إلى إلصاق التهمة بالبدو من سكّان محافظة السويداء. وبحسب ما نقل لنا حينها أحد القياديّين في حركة "مشايخ الكرامة" فإنّ "الحركة" استنفرت لمسح وتمشيط الحرش شرقيّ مدينة السويداء، ورصدت مصادر قذائف "الهاون" التي استهدفت المدينة، وتبيّن أنّ

بيان مشترك لرجال الكرامة وقرى وشخصيات دينية وسياسية واجتماعية في جبل العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"

- صدق الله العظيم -

يا أبناء شعبنا الأبي

أبناء جبل العرب الأشم

عشائر السويداء الكرام

شهدت محافظة السويداء في الأيام القليلة الماضية، جملة من الأحداث المؤلمة، تمثلت بسقوط عدد من قذائف الهاون على المدينة، وترويع سكانها الآمنين واستشهاد وجرح الأبرياء، فسارع عدد من الأوساط المشبوهة بإلقاء تهمة اطلاق الهاون وتحميلها ل "البدو" سكان شرق وشمال مدينة السويداء بمنطقتي (المقوس-المشورب) في مسعى لإثارة الذعر وايقاظ الفتنة بين أهالي الجبل خدمة لأهداف خبيثة بات من يقف وراءها يعلم الجميع

وأمعانا باستدرام نار الفتنة، تم احتجاز وتعذيب ومن ثم تصفية ثلاث شبان من البدو (المشورب) كانت قد احتجزتهم عناصر ميليشيا محلية، تتلقى تعليماتها من الأجهزة الأمنية.

ثم قام الأمن العسكري بتسليم الجثامين التي تعرضت للتعذيب والتشويه والتمثيل الى ذوي المغدورين، ملقيا بالاتهام على عناصر تلك الميليشيا المحلية، ومطالبا ذوي المغدورين بعدم فتح التوابيت، الأمر الذي رفع درجة الغضب وايقظ الفتنة.

وأمام تقاعس الجهات الرسمية والاجتماعية عن معالجة الحدث، سارع أهالي المغدورين الى الرجيل من منازلهم في حركة لا تخلو من مشاعر الخوف والرغبة بالانتقام والثأر.

فسادت البلبلة شارع المحافظة ومشاعر الحزن والقلق من تدهور مفاجئ أو تصعيد لا يرغب به الأهالي والشرفاء، وعليه فإن رجال الكرامة والمتقدمين من القوى الوطنية والاجتماعية بالجبل الذين اجتمعوا لمعالجة المسألة وتداعياتها فوصلوا الى مايلي:

- ادانة واستنكار تلك الجريمة البشعة المؤكدة بأشد عبارات الاستنكار، الجريمة التي تتنافى مع تقاليدنا وأعرافنا وتاريخنا.
- تحميل مسؤولية ما حصل من قصف الهاون ومصارع الضحايا للجنة الأمنية وأجهزتها وميليشياتها.
- الدعوة لوقف تجاوزات المليشيات المنفلتة من عقالها والعابثة باستقرار الأهالي وأمنهم.
- إن أهلنا البدو هم مواطنون أصليون وجزء أساسي من نسيج الجبل الاجتماعي ولا نقبل برحيلهم أو المساس بأمنهم وحقوقهم وكرامتهم، فهم ما لنا وعليهم ما علينا.
- تكليف لجنة أهلية مفوضة من العقلاء ورجال قانون من الدروز والبدو ولفتح تحقيق شفاف ونزيه للكشف عن ملابسات الجريمة النكراء، وتقديم الجناة الى قصاص عادل ضمن القانون والأعراف.
- إن " رجال الكرامة" وشرفاء جبل العرب يوجهون من خلال هذا البيان النداء العاجل لأهلنا البدو بوقف كل أشكال الترحيل ومغادرة أسرهم لمساكنهم والعودة اليها مطمئنين آمنين حيث حين.
- تتقدم من أهالي المغدورين بأحر التعازي وتشاركهم المصاب الجلل، كما وتدعو الى التعقل والتعاون والاحتكام الى العدالة التي ستأخذ مجراها وفق القوانين والأعراف، أيا كان الجناة.
- إن الواجب الوطني في رأد الفتنة وحقن الدماء والصفح هو مهمة الجميع، وهي من شيم الكرام الذين تقبلوا وسلموا بقضاء الله عندما تعرضوا للنوائب وقطع الرأس لأبناء "آل ركاب" و "آل القطمار" وكل ذوي الشهداء، والذين إن أصابتهم مصيبة قالوا " إن لله وإن إليه راجعون"

الدين لله والوطن للجميع

و يا جملة الله

السويداء ٢٠١٥/٦/٢٢

بيان مشترك لرجال الكرامة وشخصيات دينية وسياسية واجتماعية في جبل العرب

37 - المدن، السويداء: معركة مطار الثعلة مستمرة، 433ac-726e-4b33-9451-fc92ead5b83a

القصف مصدره مواقع مقرّ "الفوج 44" التابع لـ"القوّات الخاصّة" المتمركز مقابل "نادي الرماية" على طريق "قنوات". كما رُصِدَ مصدرٌ آخرُ من أرض "الضمنة" التي توجد فيها مجموعةٌ من البدو تتبع إلى رئيس فرع الأمن العسكريّ آنذاك، وفيق ناصر. وبعدها قامت ميليشيا محليّةٌ تابعةٌ للأجهزة الأمنيّة باعتقال ثلاثة من البدو من "حي المشورب"، وتعذيبهم حتّى الموت، لإشعال نار الفتنة بين البدو والدروز، إلّا أنّها فشلت في ذلك حينها. وقد رأى ناشطون في المحافظة آنذاك أنّ محاولات سلطة الأسد تفعيل الفتنة بين البدو والدروز، بأيدي ميليشيات درزيّةٍ تابعةٍ لها، ربّما ساهم في دفع شريحةٍ من البدو إلى مبايعة "تنظيم الدولة الإسلاميّة" والالتفاف حوله، ومن ثمّة تنفيذ عمليّاتٍ عسكريّةٍ لـ"التنظيم" ضمن السويداء لم يكن "التنظيم" بواردها أو ضمن إستراتيجيّته، لكن بدفعٍ من قياديّين وعناصر فيه باتوا يحملون ثأريّةً تجاه الدروز. في المقابل اتّبع "التنظيم" سياسةَ الترغيب والترهيب في استمالة أبناء عشائر بادية السويداء، ومن رفض منهم نزح إلى محافظة درعا.

وردّت قوى وطنيّةٌ في محافظة السويداء آنذاك ببيانٍ بيّنت فيه الحقائق ووضعت النقاط على الحروف[38].

هكذا تظهر جليًّا الإستراتيجيّة التي عملت عليها سلطة الأسد في تفخيخ المجتمع بالثنائيّات الضديّة لجعله قابلًا للانفجار في كلّ لحظةٍ، وكيف لعبت على الحساسيّات المناطقيّة والطائفيّة، ولاسيّما في علاقة الدروز مع جيرانهم في درعا، وعلاقة الدروز بالبدو التي ساهمت مع عواملَ أخرى في دفع شريحةٍ منهم إلى أحضان "داعش" عبر الممارسات التي نفّذتها ميليشياتها التي شكّلتها في السويداء. وهو ما سنفرد له دراسةً خاصّةً نعمل عليها، تبيّن وضع البدو ضمن محافظة السويداء، وتوثّق الانتهاكات التي تعرّضوا لها على يد "التنظيم" والميليشيات التابعة لسلطة الأسد، كما سنبيّن فيها منهجيّة سلطة الأسد في إثارة الفتنة وتعميق الشروخ وإثارة الحساسيّات بين الدروز والبدو من سكّان محافظة السويداء.

بعد هذه الأحداث وقعت معركة "شقا" في 3 تموز/ يوليو 2015، وسنتعرف على مجرياتها فيما يلي.

ب- مجريات معركتي "الحقف" و"شقا"

في 19 أيار/ مايو 2015، هاجم "داعش" قرية "الحقف" في الريف الشماليّ الشرقيّ لمحافظة السويداء، والتي تبعد عن مقرّات "التنظيم" المتمركزة في قرية "القصر" في بادية السويداء أقلّ من 3 كم خطّ نظر؛ حيث انقضّ عناصر "التنظيم" على القرية في ساعات الصباح الأولى والناس نيامٌ، وشنّوا الهجوم من ثلاثة محاورَ، وقطعوا الطرق المؤدّية إلى القرية (طريق البثينة- الحقف، وطريق الخالدية- الحقف). ثمّ تمركز بعض عناصر "التنظيم" المهاجمين في الأراضي المحيطة بها محاولين فرض حصارٍ على القرية. جوبه عناصر "التنظيم" بمقاومةٍ شرسةٍ من أهالي القرية، وما هي إلّا أجزاءٌ من الساعة على بدء الهجوم، حتّى بدأت طلائع المقاتلين المحليّين الدروز تأتي من قرى ومدن محافظة السويداء، فتمكّنت من فكّ الحصار عن القرية، ولاحقت عناصر "داعش" حتّى تخوم قرية "القصر" التي انطلق منها عناصر التنظيم في بادية السويداء. واستطاع أهالي القرية، بمشاركة الفزعات التي وصلتهم من قرى ومدن الجبل، من صدّ الهجوم وتحرير القرية في غضون ساعاتٍ قليلةٍ. وأسفر الهجوم عن سقوط 6 ضحايا، بينهم شابّةٌ لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها، و11 جريحًا. بينما قتل من عناصر "التنظيم" 15 عنصرًا. وبحسب أحد شهودنا فإنّ السبب المباشر لمعركة "الحقف" كان على خلفيّة رفض

38 - للاطلاع على البيان كاملًا راجع الوثيقة رقم (7)

مهرّبين من أبناء القرية ينتمون إلى مجموعات التهريب التابعة للقوى الأمنيّة، دفع ما عليهم من استحقاقاتٍ ماليّةٍ لـ"التنظيم" من ثمن المحروقات المهرّبة.

بقي أن نشير إلى أنّ معركة "الحقف" تزامنت مع هجمات فصائل معارضةٍ مسلّحةٍ بالاشتراك مع "جبهة النصرة" على "مطار الثعلة" في الريف الغربيّ من محافظة السويداء، بعد سيطرتها على اللواء 52 في الريف الشماليّ الشرقيّ لمحافظة درعا.

وفي 3 تموز/ يوليو 2015، قُتِلَ أحد فلّاحي قرية "شقا" في الريف الشماليّ الشرقيّ لمحافظة السويداء، جرّاء انفجار لغمٍ أرضيٍّ زرعه "التنظيم" في المنطقة، وحدث هذا أثناء توجّهه إلى أرضه الزراعيّة في بلدة "شقا" لحصاد محصوله. وعندما وصل الخبر إلى مسامع سكّان القرية ذهب بعض شبابها إلى موقع الحادثة، فاشتبكوا هناك مع عناصر "التنظيم" الذين استهدفوا المنطقة بنيران القنّاصة وقذائف "الهاون" ما أسفر عن مقتل أحد الشباب وإصابة آخرين. وبحسب أحد الشهود، وهو من المشاركين في المعركة: فإنّ "قوّات الأسد المتمركزة في حقل الرماية القريب من البلدة لم تحرّك ساكنًا ولم تتدخّل في المعركة، بل اكتفت بمراقبة الأحداث وما ستؤول إليه". ويضيف الشاهد: أنّ "هذا ليس بغريبٍ على قوّات الأسد، ولنا تجاربُ عديدةٌ معها، فهم من أطلقوا النار علينا عندما خضنا مع جبهة النصرة معركة داما وسقط منّا أربعة عشر شهيدًا معظمهم سقطوا بعدما غدرت الأجهزة الأمنيّة بنا".

بعدها وصلت قوّات "الفزعات" من قرى ومدن الجبل، وعلى رأسهم قائد حركة "مشايخ الكرامة"، الشيخ وحيد البلعوس الذي تعرّض هناك لمحاولة اغتيالٍ صرّح عنها مباشرةً بعد معركة "شقا"، حيث قال: "لقد علمنا بقراركم بتصفيتنا، لكن نعلمكم بأنّ أرواحنا وأرواحكم بيد عزيز مقتدر"، وأشار بأصابع الاتّهام إلى رئيس الأمن الوطنيّ، اللواء علي مملوك، ورئيس فرع الأمن العسكريّ في السويداء، العميد وفيق ناصر، وبشار الأسد شخصيًّا[39].

ت- نتائج معركتي "الحقف" و"شقا"

استطاعت سلطة الأسد أن تحشد جمعًا لا يستهان فيه لمواجهة هجوم فصائل المعارضة المسلّحة على "مطار الثعلة" بعد معركة "الحقف"، بسبب الخوف الذي بثّته بين سكّان محافظة السويداء عن اتّفاق ما أسمته "القوى المتطرّفة" على احتلال السويداء (جبهة النصرة من الغرب و"داعش" من الشرق)؛ حيث شاركت مجموعاتٌ من "ميليشيا الدفاع الوطنيّ" بقيادة رشيد سلوم و"ميليشيا درع الجبل" التي يقودها العميد نايف العاقل آنذاك و"ميليشيا حماة الديار" التي يقودها الشيخ نزيه جربوع ابن أخ شيخ العقل يوسف جربوع، في المعركة. فانتشرت هذه الميليشيات في محيط المطار، إضافةً إلى دخول مجموعاتٍ من ميليشيا "الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ" إلى المطار لمساندة الجيش.

في المقابل لاحظنا ازدياد أعداد المنشقّين والممتنعين عن الجنديّة بعد معركتي "شقا" و"الحقف". ويعود هذا إلى أنّ شريحةً واسعةً من أهالي السويداء فقدت ثقتها بسلطة الأسد وقدرتها على حماية المحافظة من هجمات "داعش" و"جبهة النصرة"، فتوجّهوا إلى التفكير في الحماية الذاتيّة وهو ما يؤشّر عليه ازدياد شعبيّة حركة "مشايخ الكرامة" آنذاك، وهي التي لم تشارك في معركة "مطار الثعلة"، واكتفت ببقائها على أطراف البلدة لمنع اقتحامها، إذا ما كانت هناك نيّةٌ عند الفصائل المهاجمة للمطار في اقتحام البلدة ودخول السويداء. كما لاحظنا بعد المعركتين انفكاك

39 - مقطع مصور يتكلّم فيه الشيخ وحيد البلعوس عن محاولة الاغتيال التي تعرض لها في "معركة شقا"، وأشار فيه إلى الأطراف التي تهدده والتي حاولت اغتياله.
https://www.facebook.com/1590981857813389/videos/1683219641922943/

عناصر عن الميليشيات التي أسّستها سلطة الأسد بدعمٍ إيرانيٍّ والتحاقها، وغالبًا مع أسلحتها، بـحركة "مشايخ الكرامة"، واستعصاءها على أوامر قادة تلك الميليشيات.

2- "الأربعاء الأسود" غزوة 25 تموز/ يوليو 2018

أ- الأحداث التي سبقت المعركة

مع بداية عام 2018 تزايد ضغط سلطة الأسد على المجتمع الأهليّ في السويداء بملفّ الجنديّة والتخلّف عن الخدمة الإلزاميّة والاحتياطيّة في جيش الأسد، وهو ما شكّل هاجسًا لسلطة الأسد منذ اليوم الأوّل للاحتجاجات، لتضع السوريّين في مواجهة بعضهم، ولتزجَّ بأبناء الأقليّات ليكونوا وقودًا لحربها على السوريّين. ففي كانون الثاني/ يناير 2018 أطلقت قيادة "الفرقة الرابعة" مبادرةً لتسوية أوضاع الفارّين والمتخلّفين عن الجنديّة في محافظة السويداء، ممثّلةً بضابط أمنها يعرب زهر الدين الذي عيّن في 9 كانون الثاني/ يناير من العام نفسه مسؤولًا عن المكتب الأمنيّ للفرقة الرابعة في محافظة السويداء، وجاء هذا التعيين ليعرب كاستثمارٍ من سلطة الأسد بشعبيّة والده العميد عصام زهر الدين الذي سوّقته كشهيدٍ بمواجهة إرهاب "داعش". وبحسب شهودنا فإنّ هذا الاستثمار قد باء بالفشل؛ فلم يتجاوز عدد المسجّلين في التشكيل الجديد آنذاك 1700 شخصٍ، معظمهم سجّل اسمه، طمعًا في "تسوية أوضاعه" أو بالراتب الشهريّ البالغ 40 ألف ليرة سوريّة، أو للحصول على سلاحٍ مجانيّ. بعدها امتنع جزءٌ كبيرٌ منهم عن الالتحاق بصفوف "الفرقة الرابعة"، لرفضهم الخروج خارج حدود المحافظة.

وهو ما دفع رئيس الاستخبارات العسكريّة في دمشق، اللواء محمد محلا، إلى زيارة محافظة السويداء في 26 شباط/ فبراير 2018؛ ليلتقي شيخ العقل يوسف جربوع، في "دار الطائفة" المعروف باسم "مقام عين الزمان". وقد بحث "محلا" في هذه الزيارة الوضع الأمنيّ المتردّي في المحافظة، ونسبه إلى عدم تعاون الأهالي مع الجهات المختصّة، وأكّد وجوب وقوف أبناء المحافظة إلى جانب الأجهزة الأمنيّة والالتحاق بالجيش لضبط الأمن وردع الجريمة وصدّ هجمات التنظيمات الإرهابيّة على المحافظة، رابطًا قضيّة الالتحاق بالجنديّة بالفوضى الأمنيّة التي تشهدها محافظة السويداء. وهو الخطاب الذي اعتمدته ماكينة سلطة الأسد الأمنيّة، وشبكاتها الإعلاميّة، والذي طالما كرّرته وركّزت عليه. وبحسب شهودنا فإنّ شيخ العقل "جربوع" أثنى على الخطوات الأخيرة التي قامت بها الأجهزة الأمنيّة لضبط الوضع الأمنيّ في السويداء وأكدّ على كلام "محلا" في وجوب التحاق شباب المحافظة بالجيش والتعاون مع القوى الأمنيّة كحلٍّ لما تشهده السويداء من فوضى وهجمات لقوى التطرّف. وقبل هذه الزيارة بعدّة أشهرٍ كانت المؤسّسة الدينيّة الرسميّة (مشيخة العقل) قد طالبت بدخول "الجيش" إلى السويداء لضبط الأمن فيها، خلال زيارةٍ رسميّةٍ قام بها "مشايخ العقل" إلى دمشق، والتقوا فيها وزير الدفاع السابق فهد جاسم الفريج، في تشرين الأوّل/ أكتوبر 2017.

وفي بداية آذار/ مارس من العام نفسه، انتشرت دوريّاتٌ أمنيّةٌ مشتركةٌ، تؤازرها ميليشياتٌ تابعةٌ لسلطة الأسد (كتائب البعث، الدفاع الوطنيّ، نسور الزوبعة)، على الطرق الرئيسة والفرعيّة المهمّة في مدينة السويداء، وفي ساحاتها، وعلى مداخلها، وعلى طريق دمشق-السويداء. وبدا حضور تلك الدوريّات مستفزًّا لسكّان المحافظة، بعدما كان قد خبا منذ عام 2015، مع تعاظم قوّة حركة "مشايخ الكرامة". وكان أغلب أهالي المحافظة ينظرون إلى هذا الانتشار الأمنيّ بعين الريبة وعدم الارتياح، ولاسيّما بعدما شاعت لدى شريحةٍ واسعةٍ من سكّان محافظة السويداء قناعةٌ بمسؤوليّة الأجهزة الأمنيّة عمّا وصلت إليه المحافظة من فوضى وفسادٍ وجريمةٍ، وأنّ هدف أيّ تحرّكٍ أو انتشارٍ أمنيٍّ في المحافظة هو اعتقال أبنائهم وسوقهم إلى

الخدمة الإجباريّة. وتصاعدت حالة الريبة تلك حتّى وصلت إلى صدور ردّات فعلٍ عن المجتمع الأهليّ على هذا الانتشار؛ حيث أطلق مجهولون النار على إحدى الدوريّات عند مفرق "كناكر" في مدينة السويداء، وكسّر مواطنون إحدى سيّارات الأمن وسط المدينة، بسبب تطاول عناصر الدوريّة على أحد المارّة في محاولةٍ لابتزازه. وعلى الرغم من ادّعاءات الجهات الأمنيّة في المحافظة أنّ مهمّة هذه الدوريّات تنحصر في ضبط الأمن ومكافحة الجريمة والمجرمين، وعلى الرغم من محاولة الأجهزة الأمنيّة تلميع صورتها؛ ابتداءً من نقل رئيس فرع "الأمن العسكريّ" وفيق ناصر، سيّئ الصيت، من السويداء إلى حماة، وتنصيب العميد لؤي علي، خلفًا له، وليس انتهاءً باعتقال عددٍ من عناصر فرع "الأمن العسكريّ" على خلفيّة قضايا فساد وإتجار في الممنوعات وتعامل مع الإرهابيّين، مضحّيةً بسمعة الأدوات الأمنيّة الصغيرة لتبرئة ساحة "الحوت الأمنيّ الفاسد" (وفيق ناصر)، إلّا أنّ المشاحنات بقيت سيّدة المشهد في محافظة السويداء.

وتزامنت هذه الأحداث مع عودة "تنظيم الدولة الإسلاميّة" إلى واجهة الحدث في السويداء، بعدما خطف "التنظيم" مواطنين في الريف الشرقيّ للمحافظة، مع العلم أنّ "التنظيم" كان قد انسحب من تلك المنطقة ليعود مجدّدًا في هذا التوقيت، وليهدّد المحافظة بـ"الإرهاب". وكلّ ذلك تزامن مع إشاعاتٍ أمنيّةٍ مفادها أنّ "التنظيم" سيقوم بعمليّاتٍ إرهابيّةٍ في المحافظة. وهو ما عدّه ناشطون في السويداء حينها أنّه أسلوب تهديدٍ وضغطٍ على المجتمع الأهليّ لينصاع إلى إرادة السلطة، وإن بقي على تمرّده هذا فهو يخطو باتّجاه لزوم العقاب ثمّ الإخضاع.

ومع بدء التجهيز لـ"حملة النمر" على محافظة درعا وريفها الشرقيّ في حزيران/ يونيو 2018، قُصفت مدينة السويداء بقذائف "الهاون"، حيث طال القصف أحياءً مكتظّةً بالمدنيّين، منها أحياء "القلعة" و"النهضة" و"الخزانات" وغيرها، على مدار ثلاثة أيّامٍ متتاليةٍ، ما أسفر عن وقوع ضحايا وجرحى. وكعادتها سارعت الماكينة الإعلاميّة لسلطة الأسد عبر شبكاتها في مواقع التواصل الاجتماعيّ، وعناصر أمنيّة مهمّتها تعميم الإشاعة، إلى اتّهام فصائل المعارضة المسلّحة التي تصفها بـ"الجماعات الإرهابيّة"، بإطلاق تلك القذائف على المدينة. وبحسب تأكيدات شهودنا، فإنّ القصف مصدره أراضي السويداء، ومن موقعٍ عسكريٍّ تابعٍ لقوّات الأسد غربيّ السويداء، حيث إنّ مدى قذائف الهاون لا يسمح لها الوصول من ريف درعا الشماليّ الشرقيّ إلى مدينة السويداء. وهو ما دفع ناشطين في المحافظة حينها إلى التنذّر ووصف القذائف بـ"الهاون العابر للقارّات"، محمّلين المسؤوليّة للأجهزة الأمنيّة وعملائها من أبناء المحافظة، ومؤكّدين أنّ سلطة الأسد تسعى، بالتزامن مع انطلاق أيّ معركةٍ في محافظة درعا، لاختلاق حدثٍ ما يهدّد أمنهم، ويبثّ بينهم الرعب والهلع، بغية تحشيدهم ثمّ توظيفهم لمساعدتها في حملتها العسكريّة على محافظة درعا، أو على الأقلّ منعهم من التعاطف مع ما يحدث فيها وصولًا إلى إشعال الفتنة إن استطاعت.

وقد سبق هذا القصف للمدينة دخول أرتالٍ عسكريّةٍ ضخمةٍ لقوّات الأسد، من دمشق إلى الريف الغربيّ والشماليّ الغربيّ في محافظة السويداء، تمهيدًا لخوض معركةٍ في محافظة درعا. ودخلت هذه الأرتال قرى "داما" و"لبين" و"جرين" و"الدور" و"دويرة" و"الطيرة" و"حران"، وتوجّه أحدها إلى قرية "المزرعة" المعقل الرئيس لحركة "رجال الكرامة"، فقامت مجموعةٌ منهم باعتراض طريق الرتل ومنعته من المرور والتمركز على أطراف البلدة. وقد تفادى الرتل العسكريّ الصدام، وغيّر وجهته، وعاد إلى مطار "الثعلة" العسكريّ، مع العلم أنّه لم تحدث أيّ مواجهاتٍ عسكريّةٍ. وبحسب ناشطين من المحافظة فإنّ هذا التحدّي لسلطة الأسد يمكن له أن يستدعي عقاب المحافظة، لذا قد تكون هذه القذائف سابقة الذكر عقابًا ورسائل تهديد في آنٍ.

وكانت حركة "رجال الكرامة" قد بيّنت موقفها قبل معركة درعا، المتمثّل باتّخاذ الحياد من الصراع في سورية، وأكّدت أنّها ليست طرفًا في إراقة الدماء، وأكّدت تمسّكها بثوابت قائدها الشيخ أبي فهد وحيد البلعوس، والشعار الذي كان يردّده دائمًا: "دم السوريّ على السوريّ حرام".

مقداد رجال الكرامة
٢٠ يونيو ·

توضيح من الجناح الإعلامي في حركة رجال الكرامة بخصوص التطورات الأخيرة في جنوب سوريا.
إن حركة رجال الكرامة تؤكد أنها كانت ولا زالت على موقف الحياد الإيجابي من أي صراعات داخلية بين أبناء الوطن الواحد ، وأننا لسنا طرفاً في إراقة الدماء ، متمسكين بثوابت قائدنا الشهيد الشيخ أبو فهد وحيد البلعوس والشعار الذي كان يقوله دائماً (دم السوري على السوري حرام).

كما أننا نحرم التعدي منا ونحرم التعدي علينا ، ونحذر أي طرف من المساس بهيبة جبل العرب الأشم والاعتداء على أهله ، فقد كنا وما زلنا بمنأى عن جميع صراعات الداخلية في هذا الوطن ، آملين من الأطراف المتحاربة حقن الدماء ولاحتكام للصلح فهو سيد الأحكام ، وتجنيب البلاد والعباد من أهوال الحرب والدمار.

ونؤكد على رفضنا تحميل بعض الجهات أهالي محافظة السويداء مسؤولية ما يحدث في محافظة درعا ، فالسويداء ليست الجبهة الوحيدة التي تنطلق منها العمليات العسكرية ، فهناك عشرات الجبهات داخل محافظة درعا.

وإلى جيراننا في حوران نأمل أن تنقشع الغمامة السوداء عن سماء البلاد ، ويعود السلام والاستقرار لكافة أرجاء الوطن الحبيب فإن سوريا هي أمنا جميعا ولن نرضى بتقسيم أي جزء منها.
صدر رسمياً عن أدارة الجناح الاعلامي
مقداد رجال الكرامة

بيان المكتب الإعلاميّ لحركة "رجال الكرامة" في 20 حزيران/ يونيو 2018 (المصدر: صفحة "مقداد رجال الكرامة" على موقع التواصل الاجتماعيّ "فيسبوك")

بعدها شهدت قرى ريف السويداء الغربيّ (داما والدور والدويرة والطيرة وحران وجرين ولبين والمجيمر)، موجة نزوحٍ إلى القرى المجاورة ومدينة السويداء، تخوّفًا من الأعمال الحربيّة والقصف. وبحسب شهودنا، فإنّ القوى الأمنيّة أغلقت منافذ قرية "صما الهنيدات"، ومنعت خروج ودخول أيّ شخصٍ إليها، كما استهدفوا منزل أبي معين جمال هنيدي أحد وجهاء محافظة السويداء بالرصاص، وسرقوا جرّاره الزراعيّ، ليجبروه على ترك البلدة، عقابًا له على علاقاته الطيّبة مع أهالي القرى المجاورة في درعا، ومساعدته للنازحين منها.

ومن جهةٍ أخرى، بعث المدنيّون في محافظة درعا وفصائل الجيش الحرّ العاملة فيها، إلى أبناء محافظة السويداء رسائل طمأنةٍ، إلّا أنّها لم تفلح في طمأنتهم وإيقاف حركة النزوح من تلك القرى؛ ومنها البيان الذي أصدره مدنيّون، وفصائلُ تابعةٌ لـ"الجبهة الجنوبيّة"، وجاء فيه: "انطلاقًا من حرصنا على وحدة المصير في سوريا الموحّدة بأبنائها، فإنّنا في حوران عسكريّين ومدنيّين نهيب بأهلنا في السويداء بألّا يكونوا طعمًا لتحقيق أهداف النظام والميليشيات الطائفيّة التي تحاول احتلال الأرض وتفريق الأهل، الذين طالما كانوا الهدف الصعب ضدّ قوّات الاحتلال عبر سنوات التعايش السلميّ". وأكّد البيان "تجديد الوفاء للأرض السوريّة من الجنوب إلى الشمال وصولًا إلى الدولة المدنيّة التي تحترم الحقوق والحريّات وتؤسّس للعدالة، لافتًا إلى أنّ أحرار حوران إذ يقومون بالتصدّي لعدوان إيران وميليشياتها، فهذا يأتي في سياق الدفاع عن الثورة". ودعا البيان أهالي السويداء لأن "يتنبّهوا لاستخدام أبنائهم وقودًا لمشروع إيران

العابث بمصير البلاد، مشيرًا إلى أنّهم على علمٍ بحرص أبناء جبل العرب على الحفاظ على أبنائهم وتاريخهم الناصع بالبطولات".

الجيش السوري الحر
الجبهة الجنوبية

القيادة الجنوبية

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن فصائل الجيش الحر والمدنيين في الجبهة الجنوبية
إلى أبناء جبل العرب الأشم ، إلى بني معروف الخير

الذين جمعنا معهم ميلاد الثورات ضد الاحتلال فكانت السهل الذي يعانق الجبل بالتضحيات والوفاء لدماء الشهداء عبر مسيرة التاريخ وانطلاقا من حرصنا على وحدة المصير في سورية الموحدة بأبنائها فاننا في حوران عسكريون ومدنيون نهيب بأهلنا في محافظة السويداء بألا يكونوا طعما لتحقيق أهداف النظام والميليشيات الطائفية من إيران وحزب الله التي تحاول احتلال الأرض وتفريق الأهل الذين طالما كانوا الهدف الصعب ضد قوات الاحتلال عبر سنوات التعايش السلمي و التي جسّدت رفضها لكل فكر يهدف للطائفية المقيتة أو التقسيم والاحتلال ومن باب الحرص على عدم زج أبنائكم في معركة خاسرة يكون وقودها السوريين وحدهم فإننا نؤكد و بعيدا عن اي تدخلات او اجندات خارجية باننا نجدد الوفاء للأرض السورية من الجنوب إلى الشمال وصولا للدولة المدنية التي تحترم الحقوق والحريات وتؤسس للعدالة وتؤكد بأن احرار حوران وثوارها إذ يقومون بالتصدي لعدوان إيران و ميليشياتها الطائفية فهو يأتي في سياق الدفاع عن الثورة واهدافها بعيدا عن اي تدخل خارجي وإننا نعاهدكم بأننا وبقدر حرصنا عليكم مانزال صامدون على الجبهات ومستعدون لبذل المهج و الأرواح حتى آخر قطرة دماء دفاعا عن حياة الناس و كرامتهم ..فقد آن الأوان لوقف هذا النزيف ..كما أننا نهيب بكم ان تنتبهوا "وانتم النبهاء" إلى ان استخدام أبناء السويداء وقودا لمشروع إيران هو محاولة بائسة للعبث بمصير البلاد، فنحن وانتم خارج هذا المضمار والتاريخ يشهد على ذلك ونحن نعلم حرصكم على أبنائكم وتاريخكم الناصع بالبطولات وماهذا الخطاب إلا تأكيدا بأننا وانتم جزءا من هذا النسيج السوري الذي لايقبل العداء بين أبنائه من أجل تحقيق أهداف واجندات الميليشيات العابرة للحدود التي دابت على إشعال الفتن ..فلا تكونوا خنجرا يستخدمه النظام ضد اخوانكم في حوران والله من وراء القصد

حرر بتاريخ 2018/6/19

بيان صادر عن مدنيّين والجيش الحرّ في "الجبهة الجنوبيّة" في 19 حزيران/ يونيو 2018

وتلت هذه الأحداث مباشرةً زياراتٌ متكرّرةٌ لضبّاطٍ روس إلى محافظة السويداء، وتمحورت جميع اللقاءات حول ملفّين: الأوّل، استعصاء شباب المحافظة على الخدمة في جيش سلطة الأسد. والملفّ الثاني، هو سحب السلاح من الفصائل التي لا تأتمر بأوامر سلطة الأسد، أو لا تقاتل كقوّاتٍ رديفةٍ إلى جانبها. وكان الضبّاط الروس بعد كلّ لقاءٍ يؤكّدون على أن تأخذ الزعامات الشعبيّة والدينيّة دورها في هذين الملفّين بمحاولة الضغط على الأهالي لتسليم أبنائهم للجنديّة، والضغط على الفصائل الأهليّة للدخول تحت لواء الجيش السوريّ، أو سحب سلاحها إن رفضت. ومنه الاجتماع الذي عقد بطلبٍ من قيادة قاعدة "حميميم" الروسيّة في سورية، وحضره شيخا عقل المسلمين الموحّدين الدروز، يوسف جربوع، وحمود الحناوي، والأمير جهاد الأطرش، والمطران سابا إسبر، مطران أبرشية حوران وجبل العرب والجولان للروم الأرثوذكس، ونجدو العلي، مدير الأوقاف الإسلاميّة في السويداء، والشيخ سعود النمر، ممثّلًا عن عشائر المحافظة. وسُرّبت أخبارٌ حينها عمّا دار في هذا الاجتماع تؤكّد أنّ الجانب الروسيّ وصف فصائل محليّة في المحافظة بـ"المجموعات الإرهابيّة". وهو ما استدعى ردّات أفعالٍ داخل المحافظة، ومن ناشطين خارجها. ولعلّ أبرز تلك الردود كان البيان الذي أصدره فصيل "قوّات شيخ الكرامة" (وهو فصيلٌ محلّيٌّ معظم عناصره كانوا ينتمون إلى حركة "مشايخ الكرامة"، لكنّهم انشقّوا عنها بعد اغتيال زعيمها الشيخ وحيد البلعوس. وكان أوّل ظهورٍ للفصيل عندما أعلن عن نفسه بعد تصفيته لأحمد جعفر (أبي ياسين)، في آذار/ مارس 2018، وهو تاجر مخدّراتٍ ينتمي بالمذهب إلى شيعة "بصرى الشام"، وتربطه علاقةٌ قويّةٌ مع ميليشيا "حزب الله". فيما بعد اتّهم ناشطون في السويداء فصيل "قوّات شيخ الكرامة" بالضلوع بعدّة جرائم خطف). وجاء في البيان: إنّ "الكلام الروسيّ الأخير عن وجود منظّمات إرهابٍ في جبل العرب تصعيدٌ خطير جدًّا، فكيف لرعاة الإرهاب وصانعيه، ولدولةٍ محتلّة، أن تصنّف من حمل

السلاح مدافعًا عن أرضه وعرضه بالإرهاب؟". وأعلن مقاتلو الفصيل عن جاهزيّتهم "العالية لأيّ استفزازٍ من أيّ جهةٍ كانت"، واعتبروا "أيّ اعتداء على أيّ شابٍّ من شباب الجبل هو إعلانٌ للحرب التي كنّا وما زلنا أهلًا لها". وتابع البيان "ونحذّر كلّ من يفكّر المساس بكرامتنا و سلاحنا من ردّنا، لأنّ سلاحنا هو كرامتنا وهو قطعةٌ من جسدنا ولن نساوم على أيّ مبدأ من مبادئنا التي دفعنا الدماء ثمنًا لها". وختم البيان بالقول "كما قال شيخنا الشهيد أبو فهد وحيد البلعوس: نحرّم التعدي منّا ونحرّم التعدي علينا، والدين لله والوطن للجميع، وسوريا هي أمّنا وكلّ أهل الجبل أهل كرامة ورفض المشاريع الطائفية، فنعتبر من هذا المنطلق أنّ الكلام الروسيّ اعتداءٌ على كلّ أهل الجبل بدون استثناء".

قوات شيخ الكرامة
٢٣ يونيو ٢٠١٨ ·
#بيان_قوات_شيخ_الكرامة
بخصوص الحديث الروسي عن الارهاب في جبل العرب
نحن قوات شيخ الكرامة نعتبر الكلام الروسي الاخير عن وجود منظمات ارهاب في جبل العرب تصعيد خطير جدا .
فكيف لرعاة الارهاب ومساقيه ولدولة محتلة ان تستفز من حمل السلاح مدافعا عن ارضه وعرضه بالارهاب.
لذلك نعلن جاهزيتنا العالية لأي استفزاز من اي جهة كانت وتعتبر اي اعتداء على اي شاب من شباب الجبل هو اعلان للحرب التي كنا وما زلنا اهلا لها ونحذر كل من يفكر المساس بكرامتنا و سلاحنا من ردنا لان سلاحنا هو كرامتنا وهو قطعة من جسدنا ولن نساوم على اي مبدا من مبادئنا التي دفعنا الدماء ثمنا لها.
كما قال شيخنا الشهيد ابو فهد وحيد البلعوس نحرم التعدي منا ونحرم التعدي علينا والدين لله والوطن للجميع وسوريا هي أمنا وكل اهل الجبل اهل كرامة ورفض المشاريع الطائفية فنعتبر من هذا المنطلق ان الكلام الروسي اعتداء على كل اهل الجبل بدون استثناء
هنا جبل العرب هنا جبل الكرامة هنا كسرت شوكة الفرنسيين وستكسر شوكة اي احتلال يحاول تدنيس ارضنا المقدسة.
#الله_معنا_ونعمنا_وبالحملة_الله
#الصفحة_الرسمية_الناطقة_باسم_قوات_شيخ_الكرامة

بيان "قوّات شيخ الكرامة" في 23 حزيران/ يونيو 2018. (المصدر: صفحة "قوات شيخ الكرامة" على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك")

وبعد اقتحام الجيش السوريّ لمحافظة درعا نشطت حركة "تعفيش" غير مسبوقةٍ في محافظة السويداء، فانتشرت بسطات ومحلّات "التعفيش"، ولاسيّما تلك التي كانت تبيع الأثاث المنزليّ المستعمل، فانتشرت في وسط مدينة السويداء على الشارع المحوري ومقابل "سوق الحسبة" وعلى "دوار الثعلة" وعلى طريق بلدة "الرحى". ولقيت هذه الظاهرة استنكارًا واسعًا من أهالي السويداء، ونظّمت حملات لمقاطعة تلك البضائع ومقاطعة المتاجرين فيها. وتعرّضت دوريّةٌ تابعةٌ لـ"قوّات النمر" للضرب على طريق "قنوات" وسط المدينة، كما أُحرقت سيارةٌ كانت تنقل الأثاث "المعفّش" وسط المدينة.

صورة لإحدى بسطات "التعفيش" في مدينة السويداء. (المصدر: صفحة "لاتعفّش شايفينك" على موقع التواصل الاجتماعيّ "فيسبوك")

وقد كان هذا الاستنكار باديًا على مستوى الفاعليّات الدينيّة والاجتماعيّة والقانونيّة والأهليّة. فبدأت الهيئات الدينيّة بإلقاء "الحرم الدينيّ" على كلّ من يعمل بـ"التعفيش"، بينما توالت البيانات من عائلات الجبل وقرى الجبل تؤكّد أنّ هذه الظاهرة دخيلةٌ على المجتمع "المعروفيّ الأصيل". وفتح المحامي، أيمن شيب الدين، باب مقاضاة "المعفشين" عبر تقديمه إخبارًا للمحامي العامّ في

محافظة السويداء يخبره فيه عن وقوع جريمة "التعفيش" وضرورة التحرّك السريع لردع الجريمة. وهو ما يعدُّ سابقةً على امتداد الجغرافيا السوريّة تجاه هذه الظاهرة.

صورة من أمام أحد المنازل في محافظة السويداء تبيّن مدى المقاطعة الاجتماعيّة للمعفّشين (مصدر الصورة: الإنترنت)

مقام المحامي العام المؤقر في السويداء

صورة عن الإخبار الذي قدّمه المحامي أيمن شيب الدين للمحامي العامّ في محافظة السويداء (المصدر: صفحة المحامي أيمن شيب الدين على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك")

ولم تقتصر محاربة ظاهرة "التعفيش" على الفاعليّات الاجتماعيّة والقانونيّة والدينيّة، بل تعدّتها إلى الأهالي. وقد أدّت مجابهة المجتمع الأهليّ وفاعليّاته في محافظة السويداء لهذه الظاهرة إلى ازدياد الاحتقان والشحن فيما بينه وبين الميليشيات التابعة لسلطة الأسد التي تعتبر "التعفيش" إحدى مقوّمات إمداد عناصرها، ولاسيّما بعد أن شحّ الدعم الإيرانيّ لها.

وكانت سلطة الأسد قد نقلت، في 21 أيار/ مايو 2018، عناصر "التنظيم" من جنوبيّ دمشق إلى بادية السويداء، ضمن الاتفاق الذي توصّل إليه الطرفان والذي يقضي بنقل المئات من مقاتلي "التنظيم" إلى البادية السوريّة. وبحسب شهودنا، فإنّ القافلة التي خرجت من جنوبيّ دمشق انقسمت إلى قسمين؛ حيث اتّجه قسمٌ منها باتّجاه الشمال السوريّ، وكان يضمّ النساء والأطفال والمصابين، والقسم الآخر نقل بسريّةٍ إلى بادية السويداء، ويضمّ من 800 إلى

1000 مقاتلٍ. وقد نشرت "شبكة السويداء 24 الإخباريّة" حينها مقطعًا مصوّرًا [40] قالت إنّه للقافلة التي تقلّ عناصر "التنظيم" أثناء مرورها بقرى محافظة السويداء، وأكّدت أنّ الرتل الذي أقلّ عناصر "التنظيم" كان تحت حراسةٍ مشدّدةٍ من قوّات النظام، وتألّف من نحو 40 شاحنةً مختلفة الأحجام.، دخلت إلى المحافظة عبر دفعتين ومن طريقين، الأولى دخلت من ريف دمشق إلى منطقة "بئر القصب" مرورًا بمنطقتي "الأصفر والساقية" الخاضعة لسيطرة قوّات النظام، ليوضعوا في منطقتي "العورة" وقرية "الأشرفية" شمال شرق السويداء، أمّا القافلة الثانية دخلت من دمشق إلى السويداء عبر الأوتوستراد، مرورًا بقرية "الصورة الكبيرة"، بمحاذاة مطار "خلخلة" العسكريّ ثمّ تلول "أشيهب" ومنها إلى الأصفر ثمّ إلى "الأشرفية" و"العورة". وكان تحت حراسةٍ مشدّدةٍ من الجيش السوريّ، ويضمّ نحو 40 شاحنة "تريلا" وسيّارات مختلفة الأحجام. ويقدّر عدد مقاتلي "تنظيم الدولة" الذين خرجوا من جنوبيّ دمشق نحو 800 إلى 1000 مقاتلٍ.

صورة للقافلة عند خروجها من جنوب دمشق باتّجاه البادية في تاريخ 22 أيار/ مايو 2015. (المصدر: الإنترنت)

إحدى الشاحنات التي تقلّ عناصر "التنظيم" الخارجين من جنوب دمشق خلال مرورها بقرى السويداء (المصدر: شبكة السويداء 24 الإخباريّة)

وبحسب شهودنا في "مخيّم اليرموك"، فإنّ العناصر في منطقة جنوبيّ دمشق الذين بايعوا تنظيم "داعش" كان جلّهم من المجرمين الجنائيّين وشراذم فصيلي "صقور الجولان" و"جند الله" الذين دخلوا في صفوف تنظيم "داعش" بسلاحهم الخفيف والمتوسط الذي كان بحوزتهم؛ حيث كانت قد نضبت مصادر السرقة لهذه العناصر بعد أن كفّت الفصائل الأخرى أيديهم عن "مخيّم اليرموك" غنيمتهم الأكبر، وبعد أن عاد أبرز قادتهم، بيان مزعل، إلى سلطة الأسد، وسلّم قطاعًا واسعًا من منطقة جنوب دمشق لها، منها منطقة "سبينة". كما أنّ سلطة الأسد أخرجت تنظيم "داعش" من يلدا وببيلا، بحجّة إجراء مصالحاتٍ فيهما، باتّجاه "الحجر الأسود" و"مخيّم اليرموك" بغية الاستفادة من وجود "داعش" فيهما لتدميرهما وهو ما حصل فعلًا. وكان أبرز قادة "داعش" في منطقة جنوبيّ دمشق هما عبد الله طيارة المعروف بأبي صياح فرامة، وحسام

40 - فيديو بثته شبكة "السويداء 24" للشاحنات التي تقل عناصر تنظيم "داعش" خلال مرورها بقرى السويداء، 22 أيار/ مايو 2018.
https://youtu.be/i_f4mJWT0GU?t=4

الحلبي (أبو مجاهد). ويصرّ شهودنا على أنّ هؤلاء كانوا يعملون بتوجيهاتٍ أمنيّةٍ، والأدلّة التي ساقوها هي: أنّ حاجز القدم كان مفتوحًا لهم دائمًا، يخرجون من خلاله جرحاهم للعلاج في مشفى "المهايني" في حيّ الزاهرة الملاصق لمخيّم اليرموك، وكانوا يحصلون على الموادّ التموينيّة عبره، في حين كانت المنطقة تخضع لحصارٍ مطبقٍ وتعيش مجاعة. وأنّ "أبا سالم العراقيّ"، أمير "داعش" الذي أُرسله "التنظيم"، إلى المنطقة الجنوبيّة دخل إليها في الوقت الذي كان "يصعب أن تدخل الناموسة إلى المنطقة الجنوبيّة من دون موافقة سلطة الأسد" بحسب تعبير أحد شهودنا. كما ينبّه الشهود إلى أنّ "داعش" استطاع التمدّد على الرغم من حصار الفصائل الإسلاميّة له في الحجر الأسود، بعد أن تقاعست هذه الفصائل عن القضاء عليه بحجّة "الأخوّة الإسلاميّة"، معتمدًا على الاختراقات التي أحدثها في قلب تلك الفصائل بما فيها "أكناف بيت المقدس" و"الرابطة الإسلاميّة" عبر الأموال التي كان يغدقها على المقاتلين، في حين باقي الفصائل تعيش حالة حصارٍ وشحٍّ بالتمويل. وبحسب أحد شهودنا فإنّ وراء هذا التمدّد جهازًا أمنيًّا ولا يمكن أن يكون بفعل قادات "داعش" في المنطقة الجنوبيّة محدودي القدرات. واللافت أنّ هذا التمدّد كان يحصل أمام أنظار جميع العاملين في تلك المنطقة الذين بدوا عاجزين ولا يفعلون شيئًا إزاءه.

وبالعودة إلى بادية السويداء، فقد انسحبت قوّات الأسد، في أواخر حزيران/ يونيو 2018، من "خربة الهبارية" و"خربة الأمباشي" و"سوح المجيدي"، وغيرها في بادية السويداء الشرقيّة، بعدما افتعلت معركةً مع "داعش" مطلع الشهر ذاته. وانسحبت قوّات الأسد، تاركةً قرى الريف الشرقيّ لمحافظة السويداء مكشوفةً لـ"داعش"، لينفّذ عمليّاته فيها.

وبحسب أحد شهودنا: فإنّ "النظام بدأ بسحب أسلحة ميليشياته في قرى المقرن الشرقيّ قبل وقوع المجزرة بعشرة أيّام، ومنها ميليشيا حماة الديار التي كانت تنسّق وترتبط بفرع الأمن العسكريّ منذ تشكيلها عام 2013، والتي انتقلت لاحقًا للتنسيق مع أمن الدولة منذ عام 2017، ويقودها الشيخ نزيه جربوع، ابن أخ شيخ العقل يوسف جربوع" وأضاف الشاهد ذاته: "بعض عناصر الميليشيات الذين فزعوا كدروز أثناء معركة 25 تموز وشاركوا في المعركة، عوقبوا وسحبت منهم أسلحتهم لأنّهم شاركوا في المعركة من دون أوامر".

وفي 10 حزيران/ يونيو 2018 اجتمع شيخ العقل، يوسف جربوع، مع قادةٍ من "داعش" بشكلٍ سرّيٍّ، في قرية "أم رواق"، على خلفيّة إطلاق سراح معن سراي الدين من سكّان القرية نفسها، والذي أطلق سراحه ليلة 2018/6/9، وذلك بعد اختطافه بثلاثة شهورٍ حيث خطفه عناصر "التنظيم" من منطقة "الدياثة" في تاريخ 2018/3/1. وبحسب الشهادات التي حصلنا عليها فإنّ "جربوع" تلقّى تهديداتٍ من "التنظيم" باقتحام السويداء، لكنّ الغريب في الأمر أنّ "جربوع" لم يأتِ على ذكر ما حدث في قرية "أم رواق"، ولم ينبّه أبناء الجبل بأنّه تلقّى تهديداتٍ من "التنظيم" باقتحامها. وقد حصلنا على شهادةٍ من أحد المقرّبين من شيخ العقل، يوسف جربوع، جاء فيها: "الشيخ اجتمع فيهن على خلفية فك المخطوف بدون اي سابق معرفة باي لقاء معهن وعدد. قبل حوالي شهر من الهجوم صار الاجتماع طلبوا اعلان الاسلام، وثيقة متاركة مع النظام، منع الجيش السوري من استخدام أراضي المحافظة لأي عملية عسكرية في بادية السويداء وشروط أخرى الخ.. بعدين صار سجال بينهم وبين سماحة الشيخ وعصب عليهم وترك الاجتماع وفل الشيخ ما كان بيعرف انو بدو يجتمع معهن او عددهن وعأ ساس طالبين يلتقو معه وبأمان بطلب من ال سراي الدين بام رواق على خلفية فك اسر ابنهم ووعود بأنهم يفكوا اسر شبين من قرية طربا انخطفوا بنفس يوم خطف معن. بالضبط.. وكان مش مسلح وما معه غير ابنه وابن خيو. ماكان بين الدواعش سوريين كانوا عراقيين وتوانسة. الشيخ على

اساس هاللقاء خبر السلطة والدفاع الوطني ان داعش عبتجهز لشي كونو كان في تهديدات مبطنة منهم خلال الاجتماع. اعتذر الجيش عن تغطية المكان لان مشغول بحملات عسكرية وقتها وطلبوا من الدفاع الوطني والقوات الرديفة تولي الامر. وعلى أثره الدفاع الوطني نشر تعزيزات بالريف الشرقي والشيخ دعمها ماديا ولوجستيا".

وعن هذه الحادثة قال مصدرٌ من عائلة سراي الدين: "لما أفرجوا عن معن بدون مقابل طلبوا من عيلتنا انن يجتمعوا مع حدا من مشايخ العقل الدروز ما حددولنا مين. تواصلوا مشايخ عيلتنا مع الشيخ يوسف وقالو له انو طلع ابنا والجماعة لي تركوا حابين يلتقوا فيك عنا بمظافتنا وعندن مواضيع بدن يحكو فيها معك. فاتت سيارتين دبل كبين تيوتا عالبلد من مشرق في منن كانوا ملثمين واحزمة ناسفي ظلو برا المظافي وقسم فات عالمظافة بعديهن وصل الشيخ يوسف كان في سيارة وحدة ومعو بالسيارة واحد او ثنين بس ما فاتو ظلن بسيارة. صار الاجتماع بالمظافة والمسلحين برا وجوا كانوا شي ١٢ او ١٤ صاروا يطلبوا من الشيخ يوسف اعلان اسلام وصلاة وما بعرف شو وهوي يحكي انو نحنا من طوائف الاسلام وهيك وهني علي صوتن جوا للبمسلحين أني ما كنت جوا المظافة كنت برا بعدين فل الشيخ وهني فلو بعدو دغري مشرق".

إلّا أنّ أحد شهودنا ذهب إلى أنّ هذا اللقاء كان متّفقًا عليه، وحضره قلّةٌ قليلةٌ فحسب، ولم يعرف أحدٌ إلى الآن ما الذي جرى داخل مضافة "آل سراي الدين"، لأنّ معظم الذين نقلوا الأحداث فيما بعد كانوا خارجها، وأضاف: "يوسف جربوع عليه إشارات استفهام كثير، وارتبط بعلاقات مع أطراف كثيرة وأخذ مصاري من الكل. وحوّل مقام عين الزمان إلى فرع أمني، وقلب عين الزمان لمؤسسة، وأعطي صلاحيات كبيرة من الأجهزة الأمنية. هو يلي بيعطي بطاقات رجل دين لعبور الحدود اللبنانية، وبوقع بالقلم الأخضر كمان، مع أنه مش شيخ العقل الأول. الشيخ يوسف ما بينوثق فيه وإلو سوابق كثيرة بالتآمر على الجبل. طيب شو المبرر أنه ما يعلن عن اجتماعه مع الدواعش؟ وليش أخفى التهديدات إن صارت فعلًا عن ولاد الجبل؟ وليش ما دعا لاجتماع بعين الزمان وخبر الناس شو صار معه لتاخذ الناس حذرها؟ بس في بالدق مؤامرة كبيرة على الجبل من أطراف مخابراتية كثيرة يوسف بنسق معها. والاجتماع كان متفق عليه ومنسقلو بس ما حدى بيعرف شو صار جوّات المظافة. يعني مش معقول يلتقوا قادة من داعش مع شيخ عقل منشان يهددوه كانوا بعثولو التهديد برسالة".

ب- مجريات المعركة

تأتي أهميّة رواية أحداث غزوة 25 تموز/ يوليو 2018، من أنّها جاءت على لسان أشخاصٍ خاضوا غمارها كمقاتلين، أو أشخاصٍ كانوا على واقعة الهجوم من أبناء المنطقة المستهدفة، وشاهدوا ما شاهدوه من فظائع، ورووا تفاصيل المجزرة. ففي فجر 25 تموز/ يوليو 2018، شنّ "التنظيم" هجومًا عنيفًا وواسعًا على الريف الشرقيّ، والشمال الشرقيّ المتاخم لبادية السويداء؛ حيث نقلت مركباتٌ عناصر "داعش" من أماكن تمركزهم في "تلول الصفا" و"الرغيلة" و"الكراع" إلى أماكنَ بعيدةٍ عن القرى بنحو 4 كم، ليتنقّلوا بعدها سيرًا على الأقدام لتجنّب رصد أضواء سيّاراتهم من قبل نقاط المناوبة والرصد والدوريّات التي يواظب عليها أبناء القرى كنوعٍ من الحماية الذاتيّة لقراهم بعد هجماتٍ متكرّرةٍ لـ"التنظيم" وإحجام الدولة عن حمايتهم. بعدها دخل عناصر "التنظيم" إلى قرى الريف الشرقيّ والشماليّ الشرقيّ مستغلّين العتمة وانقطاع التيّار الكهربائيّ في تلك القرى ليتوزّعوا بين البيوت وعلى مقربةٍ منها. وذكر لنا شاهدٌ من قرية "دوما" في الريف الشماليّ الشرقيّ للمحافظة، أنّ "عناصر التنظيم قضوا ليلتهم تلك بين البيوت وعلى مقربةٍ منها، مستغلّين انقطاع التيّار الكهربائيّ عن القرية والقرى المحيطة من مساء يوم الثلاثاء، وحتّى فجر يوم الأربعاء موعد تنفيذ المجزرة، ومستغلّين أيضًا

تباعد البيوت عن بعضها حيث تغدو هذه القرى ليلًا، ولاسيّما مع انقطاع التيّار الكهربائيّ، كأنّها خربةٌ لا حياة فيها؛ فلقد وجدنا صناديقَ فيها بعض المعلّبات وأكياس أندومي وبعض المأكولات الأخرى والمشروبات، كما وجدنا مخلّفاتٍ تدلّ على أنّ عناصر التنظيم قاموا باستخدام مؤنهم تلك ولبثوا ساعات في أماكن تمركزهم المؤقّتة حتّى جاء موعد تنفيذ الهجوم. لكن تفاجأنا فيما بعد بأنّ الكهرباء كانت قد قطعت عن كلّ المنطقة من خليّة نمرة التابعة لمدينة شهبا، خارج ساعات التقنين التي كانت متّبعة حينها، وأنّ انقطاع التيّار الكهربائيّ لم يكن عطلًا إنّما كان مقصودًا لتسهيل مرور الدواعش إلى تلك القرى والتمركز فيها ريثما تتجهّز قواتهم على كافة المحاور لإعلان الهجوم في التوقيت نفسه".

صورة تظهر انتشار عناصر "داعش" في قرى محافظة السويداء الشرقيّة في ساعات الصباح الأولى (المصدر: فيلم ملحمة المقرن الشرقيّ)

نفّذ التنظيم هجومه في التوقيت نفسه؛ ففي مدينة السويداء فجّر أحد الانتحاريّين نفسه أمام "سوق الحسبة" في قلب المدينة، وتلاها ثلاثة تفجيراتٍ أخرى في أوقاتٍ متفرّقةٍ بعد ملاحقة العناصر المزوّدين بأحزمةٍ ناسفةٍ، وفجّروا أنفسهم على الطريق المحوري وسط المدينة وفي حيّ "الخزانات" بعد محاصرتهم وإدراكهم أنْ لا مفرَّ من أبناء المدينة الذين لاحقوهم بعد التفجير الأوّل، إضافةً إلى رمي الانغماسيّين القنابل وإطلاق النار على الناس عشوائيًّا، ولاسيّما أنّ المكان المستهدف في قلب المدينة هو سوقٌ للخضار، وفي ساعات الفجر وساعات الصباح الأولى تصل إليه سيّارات الخضار لتوزّع بعدها الخضار على متاجر المدينة والقرى. وبحسب شهودنا فإنّ هؤلاء العناصر لم يأتوا من البادية بل كانوا خلايا نائمةً ضمن المدينة؛ وهذا بسبب عدم منطقيّة دخولهم مع العناصر الذين نفّذوا الهجوم على المقرن الشرقيّ، والبدء بساعة صفرٍ واحدةٍ، وبين البادية ومدينة السويداء قرابة 45 كم، بينما قرى المقرن الشرقيّ متاخمة للبادية. لكنّ الغريب في الموضوع أنّ القوى الأمنيّة في المدينة لم تحرّك ساكنًا، ولم تتدخّل في الأحداث التي جرت على مقربةٍ منها، بل اكتفت بتحصين أفرعها ومفارزها الأمنيّة[41]، وعمّمت روايةً مفادها أنّ هؤلاء الانغماسيّين تسلّلوا من البادية مع علمها أنّهم كانوا موجودين في المدينة، ما يضع إشارات استفهامٍ على تعميمها لتلك الرواية وتعميتها عن الحقيقة.

صورة ملتقطة بعد تفجير أحد الانغماسيّين نفسه بالقرب من "سوق الحسبة" وسط مدينة السويداء (المصدر: الإنترنت)

41 - كنّا في مدينة السويداء عند دخول الانغماسيّين إليها وشاهدنا اندفاع المدنيّين للتصدّي لهجوم الانغماسيّين، وكان معظمهم عزّلًا من السلاح أو يحملون معهم العصي وبنادق صيد، وآخرون كانوا يحملون أسلحةً فرديّةً (مسدّسات، وبنادق آليّة)، ولم نشهد أيّ تدخّلٍ للقوى الأمنيّة المنتشرة في مدينة السويداء على الرغم من أنّ الأحداث وقعت على مقربةٍ منها، لكنّها اكتفت بزيادة تحصيناتها. وجميع من قضوا في المواجهات مع الانغماسيّين كانوا من أبناء محافظة السويداء.

بينما نفّذ "التنظيم" على القرى الشماليّة الشرقيّة والشرقيّة في محافظة السويداء هجومًا على ثلاثة محاور بشكلٍ متزامنٍ تقريبًا: المحور الأوّل: قرى (الشبكي، الشريحي، رامي، غيظة حمايل، طربا، الكسيب، في الريف الشرقيّ للمحافظة). المحور الثاني: قرى (دوما، السويمرة، المتونة في الريف الشماليّ الشرقيّ للمحافظة). المحور الثالث: نقاط تمركز الفصائل المحليّة من مقاتلي القرى في ("تل الهش" و"تل بصير" و"الدياثة"). وبحسب أحد شهودنا من تلك المنطقة: فإنّ "التنظيم أمعن بالإجرام، حيث دخل البيوت وسكّانها نيامٌ، واستخدم عناصرَ من البدو في تلك القرى لمعرفتهم بجغرافيا القرى وسكّانها، وطرقت تلك العناصر الأبواب كضيوفٍ أو مستجيرين من شيءٍ خَطِرٍ وعندما فتح أصحابها أبوابهم تفاجؤوا بدخول الغرباء، بداية كان الذبح بالسكاكين وحربات البنادق من دون إطلاق الرصاص، لكن عندما صار هناك مقاومة من بعض الأهالي ممّن يملكون السلاح، استفاقت الناس على صوت الرصاص". كان حجم الضرر الأكبر من حيث الدمار وعدد الضحايا في قرى: "شبكي" و"شريحي" و"رامي" و"دوما"، بينما لم يستطع عناصر "التنظيم" دخول قريتي "طربا" و"الكسيب" بسبب المقاومة الشرسة التي تلقّوها من الأهالي فيهما، واقتصرت سيطرة "داعش" في هاتين القريتين على "تلة طربا" المشرفة على المنطقة هناك.

ضحايا مدنيّون أمام منازلهم في قرية "رامي" في ساعات الصباح الأولى (المصدر: فيلم ملحمة المقرن الشرقيّ)

وصل خبر المجزرة إلى كلّ أبناء محافظة السويداء في وقتٍ سريعٍ جدًّا، وبدأت "الفزعات[42]" تتوافد إلى القرى الشرقيّة، ووصل الآلاف من عناصر الفزعات من أغلب قرى ومدن الجبل إلى ساحة المعركة في وقتٍ قياسيٍّ يحملون ما تيسّر لهم من أسلحةٍ (بارودة روسيّة، بارودة صيد)، وبعضهم فزع من دون سلاحٍ يحمل "البلطة" أو عصي ثخينة. وهرع آخرون إلى المكان لإسعاف جرحى الهجوم وإخلاء جثث الشهداء.

مقاتلو "الفزعة" وأهالي القرى وهم يتصدّون لهجوم "داعش" على القرى الشرقيّة (المصدر: فيلم ملحمة المقرن الشرقيّ)

42 - الفزعة: مفهومٌ عشائريٌّ بدويٌّ ويعني الهبّة لنصرة أفراد العشيرة الواحدة أو إغاثة الملهوف، أو نصرة المظلوم. ولا يزال هذا المفهوم مكرّسًا في العقل الجمعيّ لدى سكّان محافظة السويداء، على الرغم من أنّهم أقرب إلى المجتمع المدنيّ منه إلى المجتمع العشائريّ. لكنّ وجود هذا المفهوم وغيره من المفاهيم والعادات والتقاليد والسلوكيّات البدويّة، يجعلنا نميل إلى تصنيف المجتمع في محافظة السويداء على أنّه مجتمعٌ عائليٌّ شبه عشائريّ.

وعن حالة المقاتلين عند سماعهم بخبر الهجوم، وأثناء التحضير لصدّه، أخبرنا أحد قادة المجموعات: بأنّ "هجوم داعش على أكثر من محورٍ، إضافةً إلى التفجيرات التي حدثت في مدينة السويداء في التوقيت نفسه والتي ترافقت مع إشاعاتٍ بأنّ التنظيم يمتلك خلايا ضمن المدينة وسيخرجها تباعًا، وأنّ الجبل كلّه مستهدفٌ، وأنه سينفّذ اعتداءاتٍ أخرى من محاورَ أخرى، كلّ هذا أربك المقاتلين، من حيث انتشارهم وتوزّعهم في المناطق المستهدفة بالهجوم أو تلك التي من الممكن أن ينفّذ فيها التنظيم هجومًا جديدًا محتملًا".

ويضيف الشاهد نفسه في نقل مجريات المعركة لنا، قائلًا: "إنّ أكثر الأشياء إرباكًا لنا كانت مشاركة أشخاصٍ في المعركة لا خبرة لديها في العلوم العسكريّة أو التكتيك العسكريّ، ولا تلتزم بأيّ تعليماتٍ، دفعها الحماس والفزعة للمشاركة في صدِّ الهجوم، ما جعل الفوضى تعمّ أرض المعركة. ونحن نتقدّم كنّا نخاف من النيران الصديقة من الخلف أكثر من نيران العدوّ التي نعرف مصادرها ونتعامل معها. كان المقاتلون أغلبهم من أبناء الجبل باستثناء مجموعتين؛ واحدةٍ جاءت من مدينة جرمانا، وأخرى جاءت من بلدة حضر، بينما لم نشهد أيّ مشاركةٍ أو وجودٍ لقوى الجيش أو الأمن في المحافظة، ما عدا عناصرَ قليلةً من أبناء القرى المستهدفة فزعوا لنصرة أخوتهم من دون أيّ أوامر من قياداتهم. بعد انتهاء المعركة نفّذ الطيران الحربيّ السوريّ غاراتٍ لرفع العتب، ولم تكن ذات تأثيرٍ في حسم المعركة، بل على العكس ساهمت في ردّنا عن ملاحقة فلول الدواعش في البادية لخوفنا من استهدافها لنا، لعدم ثقتنا بقوّات النظام التي خذلتنا أكثر من مرّةٍ في أكثر من معركة. وكانت ضربات الطائرات قريبةً منّا جدًّا وكأنّها ضرباتٌ تحذيريّةٌ لنا لمنعنا من التقدّم، وجاءت لمصلحة الدواعش الهاربين. مع العلم أنّه في هذه الحالة كان يمكن للجيش أن يستخدم رشاشات المروحيّات، ويتابع فلول الإرهابيّين ويتمكّن من القضاء عليهم، إلّا أنّ طائرات الميغ بقصفها الذي نفّذته أعطت عكس النتيجة التي ادّعتها السلطة في حسم المعركة والقضاء على الإرهابيّين". وحدّثنا أحد شهودنا ممّن شاركوا في المعركة بالصفوف الأماميّة، قائلًا: "الحقيقة تفاجئنا بكمية الرصاص التي إجتنا من ورا، وأول شي فكرنا أنو هذا الرصاص ناتج من خطأ بالتنسيق للمعركة، وقلة خبرة عند بعض الناس باستخدام السلاح وخوض المعارك، وأنو هذي الرشقات يلي جاي من الخلف هي نيران صديقة، فصرنا نصيح على الناس يا شباب نحنا هون. لكن بعد فترة عرفنا أنو هذي القصة ما كانت بريئة، وأنو كان بيناتنا خونة تابعين لأجهزة المخابرات متقصدين ينفذوا اغتيالات، ومنهم مجموعة صادق العبد الله التابعة للأمن الجوي. عرفنا بعدين أنو كانت هذي المجموعة فوق بالمقرن الشرقي وكثير من الرصاص يلي إجانا من ورا كان مصدره هذي المجموعة". ويضيف شاهدنا: "في بعض الجثث للدواعش فورًا سحبوها من أرض المعركة عبر مجموعات من ولاد السويدا بس معروفين بارتباطاتهم الأمنية، وتركوا باقي الجثث، والحقيقة مش عارفين ليش، وقتها ما كان في إمكانية لمنعهم أو سؤالهم عن السبب، كانت الناس فايتة ببعضها".

تظهر هنا طائرة "الميغ" وهي ترمي حمولتها أمام مقاتلي "الفزعة" على تخوم البادية بعد تحرير القرى لمنعهم من اللحاق بعناصر"التنظيم" الفارّين. (المصدر: فيلم ملحمة المقرن الشرقيّ)

امتدّت المعارك من الفجر حتّى الساعة الواحدة والنصف ظهرًا، وبقيت المناوشات وعمليّات التمشيط حتّى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الأربعاء 25 تموز/ يوليو، استطاع مقاتلو الفزعة خلالها تحرير القرى التي دخلها مقاتلو "داعش" ولاحقوا فلولهم فيما بعد بالبادية، ونظّمت بعدها دوريّات حراسةٍ مشدّدةٍ على نقاط التماس في البادية وفي كلّ قرى ومدن الجبل.

ت- نتائج المعركة

وثّقنا 254 ضحيّةً[43] من أبناء محافظة السويداء، وضحيّتين من النازحين إليها، وخمس ضحايا من مقاتلي الفزعة من جرمانا وحضر في ريف دمشق، ويتوزّعون على الشكل التالي: 63 ضحيّةً في قرية شبكي، 42 ضحيّةً في قرية الشريحي، 22 ضحيّةً جرّاء التفجيرات وملاحقة الانغماسيّين في مدينة السويداء، 21 ضحيّةً في قرية دوما، 22 ضحيّةً في قرية رامي، 9 ضحايا في قرية المتونة، 6 ضحايا في الدياثة، 5 ضحايا في قرية طربا، 5 ضحايا في قرية غيظة حمايل، 4 ضحايا في قرية السويمرة. بينما وثّقنا 51 ضحيّةً من مقاتلي الفزعات الأهليّة التي جاءت من كلّ قرى ومدن محافظة السويداء. بينما بلغ عدد الجرحى الذين أخليوا من المناطق التي تعرّضت للهجوم أكثر من مئتي جريح. إضافةً إلى خطف 29 شخصًا، بينهم 9 نساءٍ و18 طفلًا وطفلةً وشابٌّ واحدٌ. أُعدِم منهم ضحيّتان، وتوفيّت سيّدةٌ واحدةٌ أثناء فترة الاختطاف، ثمّ قُتِل منهم طفلان قبل إطلاق سراح المختطفين جرّاء اشتباكاتٍ حدثت.

ث- بعض ردود الأفعال الأوّليّة تجاه المجزرة

بعد وقوع المجزرة فورًا تشكّلت لجانٌ أهليّةٌ للحراسة في جميع مدن وقرى المحافظة؛ حيث انتشرت تلك اللجان على مفارق الطرق والساحات والمناطق الحدوديّة، تحمل الأسلحة الخفيفة والعصي وبنادق الصيد والبلطات والأدوات الحادّة كالسكاكين والسواطير وما شابه. وبدأ الأهالي اجتماعاتٍ مكثّفةً لجمع التبرّعات لقرى الريف الشرقيّ المنكوبة، وتحصين تلك المناطق بكاميراتٍ حراريّةٍ ونواظيرَ ليليّةٍ وأسلحةٍ ثقيلةٍ ومتوسطةٍ وخفيفةٍ. وما ميّز هذه المعركة والفترة التي تلتها مباشرةً هو تضامن كلّ أبناء المحافظة مع بعضهم، بغضّ النظر عن انتماءاتهم السياسيّة أو الاجتماعيّة؛ حيث كان المعارض والموالي لسلطة الأسد جنبًا إلى جنبٍ أثناء المعركة يوحّدهم الخطر الوجوديّ على أمنهم وحياتهم الذي مثّله "داعش"، فتوحّدوا بشكلٍ غريزيٍّ تجاه الخطر القادم من الشرق. كما شهدت محافظة السويداء حالةً من الترقّب الحذر بعد المجزرة؛ حيث شهدت المدينة إغلاقًا للأسواق، وبدت شوارعها خاليةً إلّا من سيّارات الإسعاف

43 - للاطّلاع على التوثيقات انظر فصل "نماذج من التوثيقات والشهادات"؛ حيث وثّقنا جميع الضحايا بالاسم والمكان الذي قضوا فيه والقرية أو المدينة التي يقطنون فيها أيضًا.

والعناصر والأهالي المسلّحين على مفارق الطرق والساحات، وسط تخوّفٍ شديدٍ من تكرار هجوم "داعش" على قرى جديدةٍ في المحافظة ومن محاورَ جديدةٍ. وكانت هناك تحذيراتٌ لقرى ملح والهويا والحريسة وعرمان، وغيرها من قرى الريف الجنوبيّ الشرقيّ من اقتحاماتٍ مماثلةٍ لما حدث في قرى الشمال الشرقيّ.

وعلى عكس ما أرادته سلطة الأسد من أبناء المحافظة قبل وقوع المجزرة، وهو ما استعرضناه في موطنٍ سابقٍ من الدراسة من خلال مطالبتها بتسليمٍ لسلاح الجبل والتحاق المتخلّفين والفارّين من الجنديّة، فلقد شهدت محافظة السويداء بعد المجزرة فورًا تعزيزًا للقدرات العسكريّة، ولاسيّما الفصائل التي لا تأتمر بأوامر السلطة، على الرغم من أنّ بعضها لم يقطع حبل التواصل مع السلطة نهائيًّا، إن كان على صعيد أفرادٍ أو مجموعاتٍ. كما ازدهر سوق السلاح في المحافظة، وارتفعت أسعاره، فمثلًا البارودة الروسيّة (أم الصاروخ) التي كان سعرها قبل المعركة 75 ألف ل.س وصل سعرها إلى 300 ألف ل.س. كما رصدنا على مستوى ملفّ المتخلّفين والفارّين من الجنديّة ازديادًا في أعداد الفارّين والممتنعين عن الجنديّة في صفوف جيش الأسد، إضافةً إلى تعالي الأصوات الرافضة لخروجهم خارج حدود المحافظة والتركيز على بقائهم فيها لحمايتها.

بينما استنكرت عشائر بدو السويداء في بيانٍ لها44، أحداث مجزرة 25 تموز/ يوليو؛ حيث جاء فيه "إنّنا ندين ونستنكر بشدّةٍ المجزرة التي ارتكبتها المجموعات التكفيريّة بما يسمّى "داعش" وهذه التنظيمات الإرهابيّة التي صنعتها أميركا وهي عبارةٌ عن ألوف مرتزقة التي عبثت بجميع المحافظات السوريّة وقتلت وشرّدت الآلاف من الأطفال والنساء". وأشار البيان إلى صفحات الفتنة، وحذّر من سعيها لبثّ الفتنة بين البدو والدروز، وذكّر البيان بأنّ آلاف أبناء العشائر في سورية قضوا بهجمات "داعش"، حيث شدّد البيان على ضرورة الوقوف "ضدّ هذه الفتنة والحذر منها، ونذكّركم بأنّ داعش قتلت آلاف المدنيّين من أطفالٍ ونساءٍ وشيوخٍ من أبناء العشائر، وكانت المجزرة الكبرى بأحد عشائرنا عشيرة الشعيطات التي راح ضحيّتها أكثر من ألف شخصٍ من نفس هذه العشيرة"45.

وعلى مستوى ردود الأفعال الدرزيّة خارج سورية، قال رئيس اللقاء الديمقراطيّ في لبنان، النائب السابق، وليد جنبلاط، في سلسلة "تغريدات" متتاليةٍ على موقع "تويتر" بعد ساعاتٍ من وقوع المجزرة: "السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف وصلت وبهذه السرعة تلك المجموعات الداعشيّة إلى السويداء ومحيطها وقامت بجرائمها قبل أن ينتفض أهل الكرامة للدفاع عن الأرض والعرض أليس النظام الباسل الذي ادّعى بعد معركة الغوطة أنّه لم يعد هناك من خطر داعشي إلا إذا كان المطلوب الانتقام من مشايخ الكرامة".

44 - المصدر صفحة "شبكة أخبار عشائر بدو السويداء" على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك".
https://www.facebook.com/%D8%B4%D8%A8%D9%83%D8%A9-%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1-%D8%B9%D8%B4%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A8%D8%AF%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D8%A1-/1676937619200833

45 - للاطلاع على البيان كاملًا راجع الوثيقة رقم (6).

تغريدة وليد جنبلاط على "تويتر" في 25 تموز/ يوليو 2018. (المصدر: معرّفات تويتر)

وتساءل رئيس الحزب التقدميّ في "تغريدةٍ" أخرى قائلًا: "وما هي جريمة مشايخ الكرامة سوى رفض التطوّع بالجيش لمقاتلة أهلهم أبناء الشعب السوري"، واستغرب جنبلاط حماسًا للرئيس الروحيّ للطائفة الدرزيّة في إسرائيل، الشيخ موفق طريف، للدفاع عن دروز سورية و "تجاهله المطلق بقانون التهويد الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي بالأمس القريب"، وأردف قائلا: "على أية حال لا فرق بين البعث الأسدي وصهيونية نتانياهو".

تغريدة وليد جنبلاط على "تويتر" في 25 تموز/ يوليو 2018. (المصدر: معرّفات تويتر)

ج- اتّجاهات الرأي التي رصدناها حول المجزرة داخل المحافظة

رصدنا ميدانيًّا، بعد غزوة 25 تموز/ يوليو 2018، اتّجاهات رأي بوسط سكّان محافظة السويداء تجاه المجزرة، من خلال اللقاءات والاجتماعات والمقابلات والاختلاط اليوميّ بالناس للتعرّف على آرائهم وردود فعلهم وتطوّر آرائهم. ولم يُتِحْ الواقع الأمنيّ إجراء استبيانات رأي. وتوزّعت اتّجاهات الرأي بين:

- **الهجوم سلوكٌ طبيعيٌّ للتنظيم الإرهابيّ، ولكن...**

هذا الاتّجاه كان سائدًا بين أوساط الموالاة لسلطة الأسد في محافظة السويداء؛ حيث يذهب أصحابه إلى أنّ تنظيم "داعش" كان موجودًا في البادية منذ عام 2014، وحصلت تعدّياتٌ كثيرةٌ على محافظة السويداء منذ ذلك الحين، وما جرى في 25 تموز/ يوليو 2018 يأتي في هذا السياق. لكن تساءل أصحاب هذا الاتّجاه عن سبب نقل عناصر من "التنظيم" من جنوب دمشق إلى محافظة السويداء وهي منطقةٌ مستقرّةٌ، وكانت "الدولة" (بحسب تعبيرهم) قد أعلنت محافظة السويداء محرّرةً من الإرهاب في وقتٍ سبق الهجوم الأخير. كما تساءل أصحاب هذا الاتّجاه

عن سبب قطع الكهرباء عن بعض القرى الشرقيّة قبل تنفيذ الهجوم خارج ساعات التقنين. ولم نرصد عند أصحاب هذا الاتّجاه اتّهامًا واضحًا للسلطة بالتنسيق مع تنظيم "داعش" أو توظيف وجوده في محافظة السويداء، مكتفين بردّ ما حدث إلى وجود فاسدين في "الدولة" وهم ما يطلقون عليهم عادةً "دواعش الداخل"، مع تبرئتهم الدائمة لرأس السلطة والجيش. إضافةً إلى أنّ التنظيم قد يحدث اختراقًا داخل "الدولة" عبر هؤلاء الفاسدين، مبرّرين ذلك بأنّ "الدولة" في حالة حربٍ منذ سبع سنواتٍ وهي مستهدفةٌ من دولٍ كثيرةٍ لإسقاطها.

- **ما جرى كان رسالةً وعقابًا للمحافظة في آن**

يرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّ هجوم "داعش" الأخير كان رسالةً من النظام وحلفائه لسكّان محافظة السويداء، مفادها: لن يتحقّق الأمن والأمان لكم ولن تنعموا بهما إلّا بتسليم سلاح الفصائل الأهليّة، وتسليم الجند الممتنعين عن الخدمة في جيش الأسد. وينطلق أصحاب هذه الرؤية من علاقة النظام بتنظيم "داعش" المتمركز في بادية السويداء، من حيث التنسيق وصفقات التهريب بينهما، ومن أنّ سلطة الأسد كانت قد نقلت عناصر التنظيم من جنوبيّ دمشق إلى بادية السويداء بهدف جعلهم مشكلةً للمحافظة وعقابها على عدم استجابتها لمطالب الأسد، ولاسيّما تلك المتعلّقة بملفّ الجنديّة، لتعود وتنسّق معهم المعركة ابتداءً من سحب جنودها وترك القرى القريبة من مراكز وجود "التنظيم" مكشوفةً، ثمّ سحب السلاح من الفصائل المحلّيّة التابعة لها من أبناء القرى الشرقيّة، وصولًا إلى قطع الكهرباء عن القرى الشرقيّة المستهدفة بهجوم "داعش"، إضافةً إلى عدم مشاركتها في المعركة، حيث تركت المقاتلين الدروز لمصيرهم. ويسود اعتقادٌ لدى هذا الاتّجاه أنّ ما يعجز النظام عن حصده بالبراميل التي أسقطها على معظم المحافظات السوريّة ودمّر البشر والحجر فيها، يحصده في محافظة السويداء من خلال "دواعشه" المتنقّلين، ويعود هذا لاعتباراتٍ تتعلّق بـ"حماية الأقليّات"، ولأخرى دوليّةٍ وإقليميّةٍ. ويأتي ذلك تمهيدًا لترويض السويداء وإعادتها إلى بيت الطاعة الأسديّ، من خلال إعادة نشر الحواجز الأمنيّة وترميم هيبة السلطة، وإدخال قطعات الجيش بحجّة حماية المحافظة ومكافحة الإرهاب الذي يهدّد أمنها. ومن ثَمَّ تقوم سلطة الأسد بتحقيق هدفها الأساسيّ بضرب المعارضة و"حركة رجال الكرامة" وسحب المطلوبين للخدمة في جيش الأسد.

- **القصد من الهجوم استنزاف الفصائل الأهليّة**

هذا الرأي يذهب إلى أنّ هجوم "داعش" الأخير على محافظة السويداء تمّ بالتنسيق مع القوى الأمنيّة في المحافظة، ويهدف إلى استنزاف الفصائل المسلّحة الأهليّة لإنهاكها، ومن ثمّة إجبارها على أن تدخل في مصالحاتٍ معها لتستثمرها لاحقًا في حربها على الشعب السوريّ، كما حدث في محافظة درعا؛ حيث أصبحت بعض قوّات المعارضة المسلّحة قوّاتٍ رديفةً لجيش الأسد، وعلى رأسها قوّات أحمد العودة في مدينة "بصرى الشام" التي انضمّت إلى الفيلق الخامس. فهجومٌ مثل هذا يضع الفصائل الأهليّة في محافظة السويداء في مواجهة "التنظيم" مباشرةً؛ كونها تحمل شعار الدفاع عن الأرض والعرض والدين، وهو ما يستنزف قوّتها ويشيح بنظرها عن ممارسات سلطة الأسد في المحافظة، بل يجعلها تطلب من تلك السلطة المساعدة في صدّ معارك "التنظيم"، فتكون الفرصة الذهبيّة لسلطة الأسد بطلب شباب المحافظة للتجنيد، والسيطرة على تلك الفصائل لتعمل لاحقًا تحت لوائها وبأمرتها. وانطلق هذا الاتّجاه من محاولات القوى الأمنيّة المتكرّرة توريط الفصائل الأهليّة، وعلى رأسها حركة "مشايخ الكرامة" بمعارك مع قوى الإرهاب (جبهة النصرة وداعش).

- **الهجوم جزءٌ من ترتيباتٍ دوليّةٍ وإقليميّةٍ للجنوب**

يذهب أصحاب هذا الاتّجاه إلى أنّ هجوم "التنظيم" الأخير على محافظة السويداء جرى بالتنسيق بين روسيا وإسرائيل والمخابرات السوريّة؛ لأنّ عرّاب ملفّ الجنوب السوريّ هو إسرائيل ولا يمكن تجاوزها في ترتيبات ملفّ الجنوب. ويرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّ ما يجري على الأراضي السوريّة عامّةً هو عهد وصاياتٍ جديدٌ؛ فالشمال السوريّ تحت الوصاية التركيّة، والساحل تحت الوصاية الروسيّة، والشمال الشرقيّ تحت الوصاية الأميركيّة؛ بينما بقي ملفّ الجنوب معلّقًا. ويسود اعتقادٌ عند أصحاب هذا الاتّجاه أنّ "داعش" لو تمكّن من اقتحام السويداء واحتلال أجزاءٍ منها، لكانت إسرائيل قد دخلت معلنةً حماية الدروز الذين هم على حدودها، ولاسيّما أنّ الطائفة الدرزيّة منتشرةٌ في فلسطين والجولان السوريّ المحتلّ، وبعض أبنائها يخدمون في الجيش الإسرائيليّ، ومنهم من يخدم برتبةٍ قياديّةٍ عاليةٍ.

- **الهجوم بقصد خلط أوراق الجنوب السوريّ**

ذهب أصحاب هذا الاتّجاه إلى أنّ ما جرى في 25 تموز/ يوليو 2018، كان بتخطيطٍ إيرانيٍّ، لخلط الأوراق في الجنوب السوريّ، ولاسيّما بعد أن استثنت إيران من اتّفاق "منطقة خفض التصعيد في الجنوب السوريّ" التي توصّلت إليه كلٌّ من روسيا وأميركا والأردن في أيار/ مايو 2017، وبعد أن أقرّ الاتّفاق إبعاد إيران عن الحدود الأردنيّة والإسرائيليّة. فأرادت إيران توجيه صفعةٍ إلى اتّفاق خفض التصعيد هذا، وإعادة خلط الأوراق في الجنوب الذي من خلاله فحسب يمكن لها العودة إلى الملفّ السوريّ كلاعبٍ أساسيٍّ بعد أن أصبحت لاعبًا ثانويًّا؛ ففي الشمال توافقاتٌ روسيّةٌ تركيّةٌ، وفي الشرق والشمال الشرقيّ سيطرةٌ أميركيّةٌ بريطانيّةٌ، وفي الساحل سيطرةٌ روسيّةٌ. كما تضاءل حلمها بتنفيذ هلالها الشيعيّ الذي يربط إيران ببغداد بدمشق بلبنان، عبر قطع الطريق عليها من الأميركيّين بـ"قاعدة التنف". وقد حاول أصحاب هذا الاتّجاه إثبات وجهة نظرهم من خلال استعراض تعاون الميليشيات التي موّلتها إيران في محافظة السويداء مع تنظيم "داعش"، ولاسيّما في ملفّات تهريب المحروقات والسلاح والمخدّرات. كما أنّ نقل عناصر "التنظيم" إلى بادية السويداء دفعت إليه إيران بصورةٍ أساسيّةٍ، تبعًا لأصحاب هذا الاتّجاه، ليكونوا مشكلةً لأميركا في المقام الأوّل، ولاسيّما أنّ بادية السويداء تتّصل بقاعدة "التنف" الأميركيّة البريطانيّة. وهو أيضًا ما يحرج أميركا التي كانت قد أعلنت عن قضائها على "التنظيم"، فإذ به على مقربةٍ من قاعدتها. إضافةً إلى مؤشّراتٍ عديدةٍ تؤكّد أنّ علاقةً ما قد نشأت بين التنظيم وإيران. فأحد شهودنا روى لنا ما يلي: "بعد ما انتهت المعركة (يقصد معركة 25 تموز) في شباب فتّشوا جعب قتلى الدواعش، لاقوا فيها أدوية صناعة إيرانية، فاتحينها ومفضينها بقناني عصير صغيرة (سلس)، وعرفها أحد الموجودين معنا وهو ممرض بيخدم بالجناح العسكري، وقال هاي صناعة إيرانية. ووجدنا بالمزودة تبع القتلى ذخيرة إيرانية. وكان معهم أجهزة اتصالات بقلولها الأعمى وهاي متطورة كثير، وكان معنا عناصر دروز من الدفاع الوطني قال هاي الأجهزة إيرانية ووقت عملنا دورات بإيران علمونا عليها واستخدمناها. ولاحظنا كمان أنو السلاح الفردي يلي كان مع الدواعش هو من نوع 56 والغدران وهذي الأنواع من الأسلحة كان يستخدمها الحرس الثوري الإيراني. والشباب يلي راحوا يدوروا على المخاطيف بالبادية لاقوا بأحد مقرات داعش معلبات ومعدات طبية وحقيبة إسعافات أولية كلها صناعة إيرانية".

خامسًا: في آليّة العلاقة بين "التنظيم" وسلطة الأسد

وممّا تقدّم من الدراسة تبيّن توظيف سلطة الأسد لوجود "التنظيم" في محافظة السويداء، وكيف تقاطعت المصالح في كثيرٍ من الأحيان بينهما. نورد في هذا الفصل أبرز جوانب عمليّة التوظيف التي قامت بها سلطة الأسد لـ"داعش". ونميّز هنا بين توظيف وجود "داعش" المثبت بكلّ الحالات، وبين التوظيف بالتنسيق، وهي حالاتٌ مثبتةٌ بالأدلّة. ولمّا كان التفكير المنطقيّ يعمّم خاصيّة التنسيق في حال ثبوتها تكرارًا على عموم العلاقة، في حال تكرّرت شروط تحقّقها نفسها، إلّا أنّ القانون يطلب بداية التمييز بين ما هو مثبتٌ بأدلّةٍ وما يمكن إثباته بالمنطق القانونيّ لاحقًا، الأمر المفيد بحثيًّا على كلّ حالٍ، كون التصنيف يساعد في معرفةٍ دقيقةٍ ضروريّةٍ للتحليل. ولهذا الهدف نورد التوظيف بعمومه، ثمّ نورد التوظيف المثبت إجراء التنسيق به بين الطرفين:

أ- بثّ الرعب لإيقاف حركة الاحتجاج المطلبيّ في المحافظة:

عمدت ماكينة النظام الإعلاميّة في المحافظة والتي تشرف عليها الأجهزة الأمنيّة إلى محاولة ثبيت مقولة أنّ البديل من النظام هو الفوضى، وأنّ الاحتجاجات هي التي تقود إليها، وأنّ هناك خلايا إرهابيّةً نائمةً تنشط في هذا المناخ وتستغلّه. فمع ظهور أيّ حراكٍ مجتمعيٍّ في محافظة السويداء تعيد تلك الماكينة الأمنيّة مقولتها، وتقوم بافتعال الأزمات والمشكلات لتوحي باقتراب الخطر وانفجار الفوضى؛ ففي شهر أيار/ مايو 2016 وبالتزامن مع حملة "حطّمتونا" منع النظام آلاف النازحين من المناطق الشرقيّة في سورية من عبور السويداء إلى دمشق، وكانوا قد دخلوا السويداء عبر منطقة "الشعاب" في ريف السويداء الشرقيّ المتّصلة بالبادية. وافترش النازحون الطرقات والساحات العامّة في مشهدٍ يوحي بأزمةٍ حقيقيّةٍ، بالتساوق مع بثِّ الماكينة الإعلاميّة الأمنيّة للشائعات التي تركّز على أنّ هؤلاء النازحين جاؤوا من مناطق سيطرة "داعش"، وبينهم خلايا إرهابيّةٌ تريد تنفيذ عمليّاتٍ إرهابيّةٍ في المحافظة. الأمر الذي خلق حالةً من الرعب في المجتمع المهيّأ أصلًا لذلك، تبعًا لإحساسه بأنّه مستهدفٌ من قوى الإرهاب كون أغلبيّته تنتمي إلى أقلّيّةٍ دينيّةٍ تهجس بمظلوميّةٍ تاريخيّةٍ تعرّضت لها. في الوقت الذي افتعلت فيه ميليشيات سلطة الأسد معارك مع "داعش" في الريف الشرقيّ من محافظة السويداء، وصفها ناشطون حينها بأنّها "معارك خلّبيّة". وبحسب شهودنا، فإنّ أيّ حراكٍ مجتمعيٍّ في محافظة السويداء يتزامن مع إطلاق الماكينة الإعلاميّة الأمنيّة إشاعاتٍ عن نيّة "التنظيم" المتمركز في بادية محافظة السويداء مهاجمة المحافظة أو تنفيذ عمليّاتٍ إرهابيّةٍ فيها. كما سُجّل في هذه الفترة كثيرٌ من الحالات التي خرق فيها طيران النظام جدار الصوت فوق مدينة السويداء من دون مبرّرٍ لذلك غير تهديد المحتجّين والإيحاء باقتراب الخطر، وإخافة المجتمع من المشاركة في الاحتجاجات.

وعن هذه المنهجيّة حدّثنا أحد شهودنا، فقال: "كان التنظيم ينفّذ هجماتٍ أو يقوم عناصره بعمليّات تفخيخٍ للطرقات أو قصفٍ بمدافع الهاون تزامنًا مع أيّ حراكٍ شعبيٍّ يخرج في المحافظة، وفي الفترة التي تنامى فيها الرفض الشعبيّ في السويداء للخدمة الإلزاميّة عام 2015 نفّذ التنظيم عدّة هجماتٍ استهدف خلالها قرية الحقف ونقاطًا للفصائل المحليّة في قرى شقا والجنينة وبارك. وفي اليوم الذي اغتيل فيه مؤسّس حركة رجال الكرامة الشيخ وحيد البلعوس وعدد من مرافقيه في تاريخ 2015/9/4، وحصلت اشتباكاتٌ في المدينة بين أنصار البلعوس من طرفٍ وعناصر الأفرع الأمنيّة من طرفٍ آخر كون النظام هو المتهمّ الأوّل بتنفيذ عمليّة الاغتيال، لكنّ المفاجأة كانت أنّ عناصر تنظيم داعش الذين كانوا يتمركزون في تل صعد شمال شرق السويداء، فتحوا

نيران رشاشاتهم المتوسطة في تلك الليلة على نقاط الفصائل المحليّة في تل عليا وتل معاز، واستهدفوا أيضًا نقطتين لقوّات النظام في تلول البثينة وحقل الرمي بقذائف الهاون والرشاشات".

وما إن تجدّدت الاحتجاجات المطلبيّة في السويداء في كانون الثاني/ يناير 2020، تحت عنوان "بدنا نعيش"، حتّى بدأت ماكينة النظام الأمنيّة الترويج لعودة "داعش" إلى بادية السويداء؛ حيث بدأت الميليشيات تفتعل اشتباكاتٍ "خلّبيّةً" على حدود البادية، وتعلن عن رصدها لتحرّكاتٍ مشبوهةٍ بالقرب من الريف الشرقيّ للمحافظة في البادية. إضافةً إلى افتعال أحداثٍ تبثّ الرعب في المجتمع؛ ففي منتصف شهر كانون الثاني/ يناير المنصرم قُتِل شخصان هما: وجيه نصر الدين من قرية "الجنينة"، وفضل الله مخيبر من قرية "دوما"، على طريقٍ زراعيٍّ شرقيّ قرية دوما في ريف السويداء الشماليّ الشرقيّ، جرّاء انفجار لغمٍ أرضيٍّ أثناء مرورهما عليه وهما على دراجةٍ ناريّة. وبحسب أحد أهالي البلدة، فإنّ اللغم قد زُرع حديثًا لأنّ هذا الطريق يمرّ عليه الكثير من فلّاحي القرية يوميًّا قاصدين أراضيهم التي يعملون فيها، ما يرجّح أنّ اللغم ليس من مخلّفات تنظيم "داعش" الذي دخل القرية في 25 تموز/ يوليو 2018، بل هو حدثٌ أمنيٌّ يقصد تخويف المجتمع المتململ والمحتجّين فيه.

وهو ما يتقاطع مع ما نشرته صحيفة "البرافدا" الروسيّة، عن افتعال سلطة الأسد لمعارك مع تنظيم "داعش" لا وجود لها، حيث جاء في الصحيفة: "النظام في سورية يحاول الترويج لهذه المعارك للتغطية على فساد مسؤوليه". وقد نشرت الصحيفة الخبر عن المراسل الحربيّ الروسيّ الذي يرافق القوّات الروسيّة في سورية، أوليغ بلوخين، حيث قال: "أخبار النظام حول وجود معارك قرب آبار حيان والشاعر في السخنة، هي أخبارٌ زائفةٌ[46]". وهو ما يدلّل على اتّباع سلطة الأسد لمنهجيّة افتعال معارك، قد لا يكون لها وجودٌ أصلًا، مع "التنظيم" لتوظيفها بما يخدم مصالحها السياسيّة.

ب- الاستفادة من هجمات "التنظيم" في ابتزاز المحافظة

غالبًا ما تزامن عرض مطالب سلطة الأسد في محافظة السويداء الخاصّة بملفّي الجنديّة ونزع سلاح الفصائل الأهليّة مع تنفيذ تنظيم "داعش" هجومًا فيها، أو تفاوضُ على تلك الملفّات بعد الهجوم مباشرةً لتحصيل مكاسبها وتوظيف الأحداث لمصلحتها. فقد لاحظنا هذا منذ معركتي "الحقف" و"شقا" اللتين استعرضناهما سابقًا بالتفصيل، حيث وظّفت سلطة الأسد معركة "الحقف" في تحشيد أبناء السويداء لخوض معركة "مطار الثعلة" إلى جانبها ضدّ فصائل المعارضة المسلّحة التي انطلقت بهجومها من محافظة درعا. كما وظّفت المعركتين لتحصيل مكاسبها في ما يتعلّق بملفّ الجنديّة المتمثّل باستعصاء شباب السويداء على الخدمة في جيش الأسد، وهو الملفّ الذي قضّ مضاجعها، وما فتئت تناور في كلّ السبل لحلّه. وهو ما ركّز عليه رئيس مكتب "الأمن الوطنيّ"، علي مملوك، أثناء زيارته إلى السويداء في حزيران/ يونيو 2015، والتي جاءت بعد معركة "شقا" التي قرأها المجتمع الأهليّ حينها كرسالةٍ مبطّنةٍ موجّهةٍ إليه، مفادها: "الأمن والأمان والحماية من إرهاب داعش مقابل عودة الشباب إلى الخدمة العسكريّة".

وكانت أكثر تلك المساومات فظاظةً في توقيتها تلك التي افتتحتها سلطة الأسد مع المجتمع الأهليّ بعد مجزرة 25 تموز/ يوليو 2018، ولاسيّما أثناء فترة اختطاف "تنظيم الدولة الإسلاميّة" ثلاثين امرأةً وطفلًا من قرية "الشبكي" في ريف المحافظة الشرقيّ. ففي تشرين

46 - تلفزيون سوريا، روسيا تتهم النظام بالكذب وفبركة معارك البادية مع التنظيم، تاريخ الرفع 19 نيسان/ أبريل 2020.
https://www.facebook.com/syrtelevision/videos/1993109967488866/?t=49

الأول/ أكتوبر 2018، وفي ظلّ انشغال محافظة السويداء بقضيّة المختطفات لدى "داعش"، تقدّم ماهر الأسد، شقيق الرئيس السوريّ بشار الأسد، بـ"مكرمة"، بحسب تعبير العميد بسام العربيد (ضابط من أبناء محافظة السويداء) الذي نقل العرض إلى أهالي المحافظة، من أجل اجتذاب شباب السويداء الذين يرفض أغلبيّتهم الانخراط في جيش الأسد. ونصّ العرض: "في مكرمةٍ من معلّمنا في الفرقة الرابعة ماهر يخصّ فيها أبناء الجبل.. بناءً على رغبة أبناء السويداء الضبّاط الموجودين في الفرقة الرابعة دبابات". ليتابع بعدها: "إنّ هذه المكرمة تنصّ على أنّ كلّ مكلّفٍ لخدمة الاحتياط في الجيش العربيّ السوريّ من أبناء محافظة السويداء فقط يلتحق بقيادة الفيلق الأوّل الموجود على طريق السويداء"، تبعًا لما أظهره فيديو يتحدّث فيه العميد بسام العربيد، رئيس وفد ماهر الأسد[47].

وعن استثمار سلطة الأسد بملفّ المختطفات يقول أحد شهودنا: "المفتاح الحقيقيّ لهذا الملفّ كان في يد النظام حيث كان يستطيع تحرير المختطفين منذ الأيام الأولى. لكنّها كانت ورقةً للضغط على أهالي السويداء فاستمرّ بالمماطلة بها. وللعلم أنّ المقطع الأوّل الذي بثّه التنظيم للمختطفين في تاريخ 27 تموز 2018 كان مصوّرًا في إحدى المغارات ببادية السويداء، وبقي المختطفون فيها حتّى مطلع شهر آب 2018. وبعد إعدام مهند أبو عمار انسحب مقاتلو التنظيم مع المختطفين من هذه المغارة، التي كانت تقع شرقيّ قرية عراجة شمال شرق السويداء بنحو 7 كم، وكان إرسال رتلٍ عسكريٍّ من النظام كفيلًا بتحريرهم وقتها لو أراد فعلًا. الفصائل المحليّة منتصف شهر آب 2018 قامت بتمشيط هذه المنطقة والمغارة ذاتها وقد كنت شاهدًا على عمليّة التمشيط هذه، كانت ملابس نسائيّة وبقايا طعام موجودة فيها وهي ذات المغارة التي ظهرت بالفيديو".

ولقد بدا الاستثمار بملفّ المختطفات لدى تنظيم "داعش" صارخًا، عندما استقبل الرئيس السوريّ، بشار الأسد، المختطفات وذويهم في القصر الجمهوريّ بعد خروجهم (الزيارة التي أُجبر عليها بعض ذوي المختطفات بالتهديد الأمنيّ لهم، بحسب أحدهم الذي روى لنا الحكاية). فقد استقبلهم بشار الأسد من دون حضور زوجته، وبدا، وهو يخطب بهم، متوتّرًا وعصبيًّا، حيث ضرب على ركبتيه بكفّ يده عدّة مرّاتٍ وهو يكلّمهم، في مشهدٍ أقرب إلى التهديد[48]. وقال الأسد، وفق ما جاء في الفيديو، إنّ "من يستحقّ الشكر هي القوّات المسلّحة والجيش (...) والذين لولاهم لما عاد المخطوفون". وفي اعترافٍ منه بسحب قوّاته من الريف الشرقيّ في محافظة السويداء، معلّلًا هذا بأنّ الجيش انسحب ليغطّي منطقةً أخرى، قال: "حين حصل الهجوم، تساءل البعض أين الجيش في المنطقة الشرقيّة؟ لو كان كلّ الناس ملتحقين، كان الجيش تواجد في كلّ المناطق. لذلك أنا أقول وبكلّ صراحة (...) كلّ واحدٍ تهرّب من خدمة الجيش، هو تهرّب من خدمة الوطن، وكلّ واحد تهرّب من خدمة الوطن يتحمّل ذنبًا في كلّ مخطوف وشهيد". وتابع الرئيس السوريّ قائلًا: "لا أحد منّا يُدافع عن قريته ومحافظته. ندافع عن سورية أو لا ندافع"، مضيفًا: "لنرجع ونعلّم الدرس للكثير من الشباب الذين لم يتعلّموا هذا الدرس وتركوا الوطن في وقتٍ كان يحتاجهم".

47 - فيديو يظهر العميد، بسام العربيد، وهو ينقل "مكرمة" ماهر الأسد لأبناء محافظة السويداء المتخلفين عن الخدمة في جيش الأسد.
https://youtu.be/2Yk_vBHwxnQ?t=9

48 - خطاب الرئيس السوري، بشار الأسد، أمام من كانوا مخطوفين لدى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وذويهم في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
https://youtu.be/heeWqhVPnGM?t=270

ت- إنهاك واستنزاف حركة "رجال الكرامة":

استثمرت سلطة الأسد وجود تنظيم "داعش" ووظّفته لإنهاك محاولات تشكّل حمايةٍ ذاتيّةٍ أهليّةٍ في محافظة السويداء، وعلى رأس تلك المحاولات حركة "رجال الكرامة". ومنه حادثة الخطف التي جرت في 20 تموز/ يوليو 2016، بعدما اقتحم تنظيم "داعش" منزلين في قرية "غيظة حمايل" في الريف الشرقيّ من محافظة السويداء، وخطف على إثرها سمير حمايل وزوجته وأبناءهما الأربعة، وأرملة شافع حمايل واثنين من أبنائها. وبحسب شهودنا، فإنّ الخاطفين تواصلوا مع أهالي القرية، وعرّفوا عن أنفسهم بأنّهم من تنظيم "الدولة الإسلاميّة"، وطالبوا بإطلاق سراح أربع نسوةٍ محتجزاتٍ لدى القوى الأمنيّة في السويداء؛ وهنّ ثلاث نسوةٍ ينتمين إلى البدو المبايعين لـ"داعش"، والرابعة ليبيّة الجنسيّة كانت من مرافقة العقيد معمّر القذّافي، وهي برتبة ضابطٍ، وكانت مقيمةً في محافظة السويداء، ويوجد بينها وبين رئيس فرع "الأمن العسكريّ" وفيق ناصر، تنسيقٌ أمنيٌّ. ووردت معلوماتٌ لم يتسنَّ لنا التأكّد من صحتها حينها، بأنّ الليبيّة كانت موجودةً في فرع "الأمن العسكريّ" في السويداء ولم تكن مختطفةً.

ويحدّثنا أحد شهودنا، قائلًا: "هذه الحادثة مفتعلةٌ، وهي منسوجةٌ أمنيًّا هدفها توريط حركة رجال الكرامة بمواجهةٍ مع داعش خارج أراضي السويداء واستجرارهم إلى معركةٍ في عمق البادية حتمًا ليست في مصلحتهم". كما وصف ناشطون في محافظة السويداء حينها هذه الحادثة بأنّها عمليّةٌ أمنيّةٌ، وذلك بناءً على معرفتهم بالعلاقة القائمة بين سلطة الأسد وميليشياتها من جهةٍ وبين تنظيم "الدولة" من جهةٍ أخرى؛ إذ يُمكن ملاحظة التعاون والتنسيق بين الطرفين في الكثير من الملفّات. علاوةً على سعي سلطة الأسد الحثيث لافتعال فتنةٍ بين البدو والدروز وفقًا لإستراتيجيّتها في تفتيت وتشظية الشعب السوريّ.

وكانت الميليشيات التابعة لسلطة الأسد قد توحّدت قبل هذه العمليّة في جسمٍ عسكريٍّ يضمّ أكثر من 20 فصيلًا، بينما رفض "رجال الكرامة" الدخول في هذا الجسم العسكريّ؛ فأصبحوا بذلك أمام خيارين بعد هذه الحادثة؛ إمّا الانضمام إلى هذا الجسم العسكريّ ومن ثمّة الذوبان فيه من خلال التبعيّة المباشرة للقوى الأمنيّة وعلى رأسها "الأمن العسكريّ"، وإمّا خوض المعركة لتحرير المختطفين لدى تنظيم "داعش" بشكلٍ منفردٍ كونهم أخذوا على عاتقهم "حماية الأرض والعرض والدين". وبحسب شهودنا فإنّ هذا سيؤدّي إلى خسارة "رجال الكرامة" الحتميّة؛ لأنّ المنطقة التي يسيطر عليها "التنظيم"، تمتدّ بعمق 50 كيلومترًا في بادية السويداء. فالمعركة هناك ستكون في حاجةٍ إلى خطوط إمدادٍ خلفيّةٍ ومشافٍ ميدانيّةٍ، وغيرها من الأمور العسكريّة واللوجستيّة التي لن تتوفّر لـ"رجال الكرامة" في حال قرّروا دخول المعركة منفردين، ولاسيّما في ظلّ تجربتهم السابقة في معركتي "داما" و"شقا"؛ حيث أطلقت العناصر الأمنيّة والميليشيات التابعة لها النارَ عليهم من الخلف. إلّا أنّ بعض الناشطين حينها ذهبوا إلى أنّ سلطة الأسد ليست كلّيّة القدرة لتفتعل كلّ هذه الأحداث، ولكنّ المؤكّد أنّها تستثمر فيها وتنوي الزجّ بـ"رجال الكرامة" في أتون معركةٍ خاسرةٍ، ولاسيّما بعدما أحرجها "رجال الكرامة" في أكثر من موقفٍ قبل وقوع هذه الأحداث؛ فمن حصارهم للسجن المركزيّ في حزيران/ يونيو من العام نفسه، وإطلاق سراح المعتقل يزن أبو فخر، وصولًا إلى المشاركة في اختطاف عناصر حاجز "المخابرات الجوّيّة" على طريق السويداء–الثعلة، مساندين بذلك أصدقاء وأهل المعتقل رامي قطيش، الذي اعتُقِل على أحد الحواجز الأمنيّة في دمشق، للضغط على القوى الأمنيّة وإجبارها على إطلاق سراح "قطيش". وأيضًا الاشتباك الذي وقع على حاجز الكوم في مدخل مدينة السويداء الجنوبيّ، من دون تسجيل إصاباتٍ، وإرغام عناصر الحاجز على الاعتذار من الشابّ صيّاح العربيد الذي وقعت معه المشكلة.

وكثيرةٌ هي محاولات سلطة الأسد للزجّ بحركة "رجال الكرامة" في معاركَ مع تنظيمي "داعش" و"جبهة النصرة"، لاستنزاف قوّتهم وإنهاكهم.

ويستذكر أحد شهودنا بعض هذه المحاولات، فيقول: "ببداية الأحداث بسورية دعا شيخ العقل، يوسف جربوع لاجتماع عاجل بمقام عين الزمان، وقال أنو جبهة النصرة عم تحشد لدخول السويدا. وطلع ما في شي من هالشي والمعلومات مش صحيحة. لكن عرفنا بعدين أنو هاي الدعاية كان مصدرها الأمن الجوي، والعقيد جمال غانم يلي كان قائد الدفاع الوطني بالسويدا، والهدف من هالشي هو كشف سلاح المشايخ يلي كان بعدو سري". ويضيف شاهدنا: "مرة ثانية دعا يوسف جربوع لاجتماع ببيت أبو صالح أكرم شرف الدين، وطرح أنو لازم نجمع 1500 شيخ لتحرير مقام السيد عبدالله بمنطقة جبل الشيخ من جبهة النصرة. فقام سأله أحد المشايخ الحاضرين: أنت منسق مع أهل عرنة وحضر. قال: أي نعم. وواحد ثاني قلو إذا الجيش بطياراته ودباباته ما قدر يحرر السيد عبدالله نحنا بدنا نقدر. بعدين استدركنا أنو هذه خطة أمنية منشان يبعثوا المشايخ خارج السويدا ويضربوهم خارج المحافظة، ويرتاحوا منهم".

ث- إنهاك فصائل المعارضة المسلّحة:

لطالما تزامن هجوم "تنظيم الدولة الإسلاميّة" على فصائل المعارضة المسلّحة مع العمليّات العسكريّة بين تلك الفصائل وقوّات سلطة الأسد أو بالعكس؛ ابتداءً من ظهور "داعش" في بادية السويداء والمعارك التي جرت مع فصائل المعارضة المسلّحة في الغوطة الشرقيّة، وصولًا إلى المعارك في محافظة درعا. ولطالما جعلت سلطة الأسد من "التنظيم" مشكلةً لخصومها وماكينةً لإنهاكهم وتشتيت قوّتهم؛ فغضّت الطرف عنه وفتحت له المنافذ ليكون في مواجهة فصائل المعارضة المسلّحة. ولم تكتفِ عند هذا الحدّ بل تعدّته أحيانًا إلى مساندة "التنظيم" في معاركه مع فصائل المعارضة المسلّحة، وهو ما أكّده قائد جيش الإسلام، زهران علوش، بتغريدةٍ له على تويتر أثناء المعارك بين "جيش الإسلام" وتنظيم "داعش" في منطقة "بئر القصب"، حيث قال: إنّ "النظام يؤازر داعش في بئر القصب بخمسين غارةً جويّةً بعد أن كاد جيش الإسلام يستأصلهم. داعش وجهٌ آخر للنظام"[49].

ولقد ظهر هذا أيضًا في شباط/ فبراير 2017، أثناء معركة "الموت ولا المذلة" التي أطلقتها غرفة عمليّات "البنيان المرصوص" ضدّ قوّات سلطة الأسد المتمركزة في حيّ "المنشيّة" في مدينة درعا؛ حيث قامت خلايا "التنظيم" في قرى "سحم الجولان" و"تسيل" و"عدوان" و"تل الجموع"، في حوض اليرموك من ريف درعا الغربيّ، بهجومٍ خلفيٍّ على مواقع المعارضة، ما أدّى لإرباكها وانسحابها خشية الوقوع في كمائن لـ"التنظيم" الذي انتشر عناصره على طرق الإمداد. فكانت الهجمة التي شنّها "داعش" مثل طعنةٍ من الخلف، في ظهر المعارضة. وأعلن "التنظيم" حينها عن سيطرته على "تل الجموع"، ومن ثَمّ بثّ الشائعات عن سيطرته على قرى ومواقع أخرى، لنشر الفوضى والتخبّط والخوف بين الأهالي وأبنائهم المقاتلين. بعدها استقدمت قوّات المعارضة تعزيزاتٍ عسكريّةً، قبل شنّ هجومٍ معاكسٍ لاستعادة السيطرة على المناطق التي تقدّم إليها "التنظيم". فشنّ الطيران الحربيّ التابع لسلطة الأسد، ثلاث غاراتٍ جوّيّةٍ في محيط "تل الجابية" في ريف درعا الغربيّ، مستهدفًا قوّات المعارضة في محاولةٍ منه لعرقلة مساعيها نحو استعادة ما سيطر عليه "التنظيم"[50]. وعن هذه الهجمة صرّح مبارك أبو أويس

49 - الداهوك، فادي، تنظيم الدولة الإسلامية في بئر قصب.. حاجز يحمي العاصمة، المدن، 9 كانون الأول/ ديسمبر 2014.
https://www.almodon.com/arabworld/ac9d79b1-aaba-4d74-8ec2-f51b5178249e
50 - الحوراني، مهند، درعا: "داعش" يباغت المعارضة في معركتها ضد النظام، المدن، شباط/ فبراير 2017.

القياديّ العسكريّ في غرفة عمليّات "ألوية الفرقان" التابعة لفصائل "الجبهة الجنوبيّة" في حديثٍ لـ "صحيفة القدس العربيّ": "نعمل على استيعاب الهجمة التي باغتتنا بالتزامن مع انشغال عدّة فصائل للمعارضة في معارك المنشية بدرعا كما أنّ الخلايا النائمة للتنظيم ساعدت في الهجوم والسيطرة عبر التسلّل لمواقعَ تابعةٍ للفصائل المرابطة وتصفية مقاتلين مرابطين في نقاطهم كما حدث في تلّ الجموع العسكريّ وقرية جلين في حين اندلعت اشتباكاتٌ عنيفةٌ في بلدة حيط أثناء محاولة التنظيم إحكام السيطرة على القرية أسفرت عن سقوط 20 قتيلًا واغتنام دبابةٍ منهم". وأضاف: "أنّ الهجوم الذي تعرّضت له المنطقة كشف التنسيق العالي بين تنظيم الدولة ونظام الأسد، حيث جاء تحرّك جيش خالد بن الوليد المبايع للتنظيم للتخفيف عن جيش الأسد بعد هزائمه في درعا وحي المنشية، بالمقابل شنّت مقاتلاتٌ حربيّةٌ سوريّةٌ غاراتٍ جويّةً استهدفت مواقعَ متقدّمة لمقاتلي المعارضة السوريّة المسلّحة في حين تغضّ طائرات النظام طرفها عن مواقع التنظيم في حوض اليرموك الذي لم يشهد أيّ استهدافٍ لهم من قبل النظام منذ انخراط فصائل المعارضة السوريّة في القتال ضدّهم"[51].

وفي أيار/ مايو 2018، وبعد أن نُقل عناصر "التنظيم" مع أسلحتهم الخفيفة من جنوبيّ دمشق إلى بادية السويداء، ألقت فصائل المعارضة القبض على عنصرين، قالت إنّهما من عناصر "التنظيم". ونشرت الجبهة الجنوبيّة حينها مقطعًا مصوّرًا قالت فيه "بعد عمليّةٍ أمنيّةٍ تمكّن كلٌّ من فرقة شهداء الحرية وحركة أحرار الشام الإسلاميّة ولواء المهاجرين والأنصار من إلقاء القبض على عنصرين يتبعان لتنظيم داعش في مدينة الحراك ممّن خرجوا من حيّ الحجر الأسود إلى المناطق المحرّرة في ريف درعا الشرقيّ".

وفي تاريخ 28 أيّار/ مايو 2018، نشر "تجمّع ألوية العمري" مقطعًا مصوّرًا يوثّق إلقاءهم القبض على 19 عنصرًا من تنظيم "داعش" تسلّلوا من ريف محافظة السويداء إلى مناطق سيطرة الفصائل في درعا[52]. وقالت "ألوية العمري" في بيانٍ لها "أنّه وبعد عمليّات المتابعة التي قام بها عناصر الفصيل الموجود على مناطق التماس مع قوّات الأسد تمكّنت من رصد محاولةٍ لتسلّل 19 عنصرًا تابعين لتنظيم الدولة ممّن خرجوا من الحجر الأسود ومخيّم اليرموك إلى البادية السوريّة بموجب اتّفاق تسويةٍ مع قوّات الأسد، حيث قامت قوّةٌ من اللواء 102 التابع لتجمّع ألوية العمري والمتمركز في محيط قرية جبيب المتاخمة لريف السويداء الغربيّ بإلقاء

---

https://www.almodon.com/arabworld/2017/2/20/%D8%AF%D8%B1%D8%B9%D8%A7-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%8A%D8%A8%D8%A7%D8%BA%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D8%B6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85

51 - القدس العربي، «جيش خالد بن الوليد» المبايع لتنظيم «الدولة» يسيطر على أربع قرى وتل إستراتيجي في ريف درعا، شباط/ فبراير 2017.
https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AF-%D8%A8%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%A7%D9%8A%D8%B9-/%D9%84%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85

52 - مقطع مصوّر يظهر إلقاء القبض على مجموعة "دواعش" أثناء محاولتهم التسلّل إلى ريف درعا، تاريخ الرفع (28/ 5/ 2018)، (آخر مشاهدة في 2/ 4/ 2020).
https://youtu.be/99bShRzcFIE?t=4

القبض على المجموعة في محاولةٍ منهم للوصول إلى مناطق سيطرة التنظيم في ريف درعا الغربيّ".

ووجّهت "ألوية العمري" نداءاتٍ إلى فصائل الجيش الحرّ كافّةً "بالاستنفار وضرورة رفع الجاهزيّة لمواجهة أيّ تحرّكاتٍ قادمةٍ أو محاولة تسلّل من قبل عناصر التنظيم من البادية السوريّة باتّجاه مناطق الثوّار في ريف درعا ومنها إلى حوض اليرموك".

واتّهم ناشطو محافظة السويداء، سلطة الأسد والميليشيات الموالية لها، ولاسيّما "ميليشيا الدفاع الوطنيّ"، والحواجز الأمنيّة التابعة لها في محافظة السويداء، بتسهيل مرور عناصر "التنظيم" من بادية السويداء إلى ريف درعا من أجل إعادة استثمارهم في حربها هناك، وإنهاك فصائل المعارضة المسلّحة، ورفد "جيش خالد بن الوليد" المبايع لـ"تنظيم الدولة الإسلاميّة" بعناصرَ جديدةٍ. حيث قامت الميليشيات التابعة لسلطة الأسد عبر شبكة مهرّبيها المرتبطة فيها بنقل عناصر "التنظيم" من قرى "طربا" و"الكسيب" و"المشنّف"، في ريف السويداء الشرقيّ المحاذية لمنطقة وجود "التنظيم" في بادية السويداء، إلى منطقة "ظهر الجبل" شرقيّ مدينة السويداء. لينقل بعدها عناصر "التنظيم" من مدينة السويداء عبر بلدة "ولغا" ثمّ بلدة "المزرعة" ثمّ قرية "صمّا الهنيدات" وصولًا إلى بلدة "المليحة الشرقيّة" في ريف محافظة درعا الشرقيّ، وقد يسلك المهرّبون طريقًا آخر عبر بلدة "كناكر" ثمّ إلى بلدة "الأصلحة" وصولًا إلى بلدة "أم ولد" في ريف محافظة درعا الشرقيّ. وبهذا يكون قد مرّ عناصر "التنظيم" على أكثر من ثلاثة حواجزَ أمنيّةٍ، منها حاجزان يتبعان إلى الأمن الجويّ.

- **التوظيف بالتنسيق**

وكما أشرنا في بداية الفصل الخامس في "آليّة العلاقة بين التنظيم وسلطة الأسد"، نورد تاليًا التوظيف الذي ثبت التنسيق فيه، مع علمنا أنّ الزمن كفيلٌ بأن يوفّر الأدلّة على كلّ الحالات، سواء كان من خلال اعترافات قادة الطرفين في محاكماتٍ قادمةٍ لا محالة، أو عبر انكشاف الوثائق، أو بظهور مزيدٍ من الشهود الذين كانوا على صلةٍ بالتنسيق بين الطرفين.

أ- سلطة الأسد تمدّ شريان حياةٍ لـ"داعش"

منذ انطلاق الاحتجاجات في سورية في آذار/ مارس 2011، شكّلت سلطة الأسد طبقة "الشبيحة" من البلطجيّة وذوي السوابق الجرميّة والعاطلين عن العمل والمهمّشين اجتماعيًّا، وسلّطتهم على الحراك النخبويّ في محافظة السويداء. وما لبث أن نظّمتهم لاحقًا، بمشورة ودعم إيران، ضمن ميليشيات على غرار تجربة الحرس الثوريّ الإيرانيّ كقوى رديفةٍ للجيش، لكن خارج هيكليّته. إضافةً إلى المدنيّين الذين تعاقدت معهم المخابرات الجويّة والمخابرات العسكريّة كمتعاقدين مدنيّين يخدمون لصالح تلك الأفرع الأمنيّة. هذه الميليشيات ارتبطت عضويًّا بالقوى الأمنيّة وأفرعها المنتشرة في محافظة السويداء، وكانت أدواتها في تمرير مخطّطاتها السياسيّة والأمنيّة، والتي منحتها الصلاحيّات شبه الكاملة للتنمّر على المجتمع الأهليّ والمدنيّ في محافظة السويداء. ولتضمن هذه القوى الأمنيّة ولاء تلك الميليشيات، ولتبقي على استفادتها الجمّة من اقتصاد الحرب، ولاسيّما بعد شحّ الدعم الإيرانيّ، أطلقت يدها في ملفّات الفساد والتهريب والخطف والإجرام؛ فباتت تتقاسم الغنائم مع تلك الميليشيات بعد أن كان ملفّ الفساد في سورية عمومًا، ولعقودٍ، حكرًا على المتنفّذين الأمنيّين والسياسيّين. فقد أصبحت هذه الميليشيات تموّل نفسها ذاتيًّا من خلال الخطف والتهريب وارتكاب الموبقات والجرائم، وتحوّلت إلى مافيات تديرها الأجهزة الأمنيّة ولو أنّه في بعض الأحيان يحصل مشاحناتٌ وتنمّرٌ من قبل

المافيات على تلك القوى الأمنيّة بسبب اقتسام الحصص والغنائم. إلّا أنّ القوى الأمنيّة إلى الآن تعود وتحتوي تلك المجموعات، وتعيدها إلى بيت الطاعة عبر التسويات أو زيادة حصصها وصلاحيّاتها تبعًا للظرف الأمنيّ والسياسيّ في المحافظة، لتعيد توظيفها واستثمارها من جديد. ولأنّها مصدر ارتزاقٍ لضبّاط وعناصر الأمن التي تراوح رواتبهم الآن بين 40 و100 دولارٍ أميركيٍّ في أحسن الأحوال.

ومن هذا الوسط تشكّلت شبكةُ تهريبٍ منظّمةٌ ومدعومةٌ من القوى الأمنيّة، تنسّق معها وتتقاسم معها الغنائم والأموال التي تجنيها من هذه الأعمال. وقوام تلك الشبكة دروزٌ وبدوٌ وأفرادٌ من درعا، وجميعهم من المرتبطين بالأجهزة الأمنيّة والميليشيات. وأخذ عناصر البدو من أبناء محافظة السويداء، واللجاة في محافظة درعا دور المركز في هذه الشبكات؛ لقدرتهم على التنقّل بين المحافظتين والتعاطي مع كلّ الأطراف ("داعش"، "جبهة النصرة"، النظام وقواه الأمنيّة، الميليشيات، الأهالي في المحافظتين، فصائل المعارضة المسلّحة). فكانت هذه الشبكات بمنزلة شريان حياةٍ يرفد "التنظيم" بسبل البقاء والتمدّد عبر:

- **التبادل الاقتصاديّ:**

اعتمد "التنظيم" لتأمين تمويله اعتمادًا كبيرًا على تصريف النفط الذي كان يستخرجه من شمال شرق سورية ومن الأنبار في العراق، ومع تراجع قوّته في الشمال الشرقيّ السوريّ بسبب عمليّات "قسد" العسكريّة المدعومة أميركيًّا وانحسار سيطرته في العراق، أصبحت محافظتا درعا والسويداء رئتيه اللتين يتنفّس من خلالهما في فترات ضيقه. في بداية عام 2015، اعتمد المسؤولون في محافظة السويداء نظام القسائم لتوزيع الحصص من مادّة المازوت على المواطنين، وأشرف على هذه العمليّة المحافظ عاطف الندّاف، ومدير مكتبه وسيم جنبلاط، والموظّفة في مكتب المحافظ أمواج شلغين. وقد طال هذه العمليّة الكثير من الفساد حتّى أصبحت حديث الساعة لدى سكّان السويداء، حيث بلغ عدد دفاتر القسائم المزوّرة 15 ألف دفترٍ، واشترك في عمليّة الفساد المحامي العامّ في المحافظة أسعد السيّاف، عن طريق محطّة "السيّاف" التي تعود ملكيّتها له؛ حيث قامت المحطّة بتسهيل صرف القسائم وبيع المحروقات وتصريفها لصالح تلك الشبكة. وعندما اتّسع التداول في تلك القضيّة بين أوساط الأهالي، قام المسؤولون بتقديم وسيم جنبلاط، ككبش فداءٍ واتّهموه بالفساد، وسُجِن على إثر ذلك إلّا أنّهم أخرجوه من السجن بعد أيّامٍ لعدم رغبتهم في جعل الملّف قضيّة رأيٍ عامٍّ فتتكشّف من خلالها عوراتهم.

وفي عامي 2016- 2017 أصبح "مازوت داعش" (ما يسمّى بالمازوت الأنباريّ) في محافظتي درعا والسويداء هو الأكثر انتشارًا، حتّى بات يوزّع في محافظة السويداء بالصهاريج التي كان يشرف عليها أمناء فرق الحزب ومخاتير الأحياء المرتبطون أمنيًّا. تلك الصهاريج التي كانت تسمّى "صهاريج الدولة" في إشارةٍ إلى أنّها توزّع "المازوت النظاميّ" الذي كانت تخصّصه الدولة للمواطنين على "دفتر العائلة" ولاحقًا على البطاقات التي استحدثتها. وعلى الرغم من وجود "المازوت النظاميّ" بكثرةٍ في السوق السوداء إلّا أنّ المؤسّسات المعنيّة كانت توزّع من مئةٍ إلى مئةٍ وخمسين لترًا في منطقةٍ، مناخها شديد البرودة، وقد يستهلك المواطن فيها لتأمين التدفئة لأسرته أكثر من 600 لترٍ من المازوت في أقلّ تقدير. فانتشرت بسطات بيع المازوت في الساحات، وعلى جوانب الطرق الرئيسة في المدينة، وعلى طريق دمشق - السويداء، كما انتشرت أمام المحلّات التجاريّة في القرى، وأحيانًا كان يُباع "المازوت الداعشي" في بيوت المواطنين. ولم يتوقّف انتشار "المازوت الداعشي" داخل محافظة السويداء فحسب، بل تعدّاها إلى محافظتي درعا ودمشق، وكانت الصهاريج تمرّ عبر حواجز النظام الكثيرة

المنتشرة داخل محافظة السويداء وعلى طريق دمشق ـ السويداء، ما يوحي بأنّ تهريب هذا النوع من المحروقات بات مسموحًا ومرحّبًا به كقرارٍ متّخذٍ من أعلى السلطات الأمنيّة، وليس حوادثَ فرديّةً تحسب على ملفّ الفساد المنتشر في سورية. أمّا بالنسبة إلى المعابر التي كان يسلكها المهرّبون لنقل "المازوت الداعشي" إلى محافظة درعا، فهي خمسة معابرَ رئيسةٍ، تسيطر عليها الفروع الأمنيّة، محاصصةً في ما بينها؛ وهي: معبر القريّا– بصرى، والمسؤولون عنه هما وفيق ناصر وجامل البلعاس، ومعبر كناكر– الأصلحة، والمسؤول عنه نبيل الشعشاع التابع لـ"الأمن السياسيّ"، ومعبر صما- المزرعة تحت سيطرة رشيد سلوم ومعتز أبو سعد؛ أي "ميليشيا الدفاع الوطنيّ" و"الأمن العسكريّ" و"أمن الدولة"، ومعبر طربا- نمرة- شهبا- مجادل- عريقة- داما- جدل، تحت سيطرة العميد محمد معروف، رئيس فرع "أمن الدولة" بواسطة عصابة وسام الطويل في مدينة شهبا. كما حدّثنا أحد ناشطي المحافظة ومتابعي ملفّ التهريب، عن أنّ هناك تعاونًا وتنسيقًا كبيرًا ما بين تنظيم "الدولة الإسلاميّة" وعناصر ميليشيات النظام. كما أكّد لنا وجود مفرزةٍ تابعةٍ لـ"الأمن العسكريّ" في البادية، تشرف على جباية الأموال من المهرّبين، وكان يشرف عليها عماد إسماعيل وبدر سليمان (أبو حبيب) الذي قُتِل لاحقًا في حيّ "القلعة" في مدينة السويداء. ونقل لنا المصدر ذاته روايةً عن لسان أحد المهرّبين من معارفه تفيد بأنّه تفاجأ بوجود ضابطٍ، كان قد خدم تحت إمرته في المخابرات الجوّيّة في وقتٍ سابقٍ، بين "الدواعش" الذين كانوا يوزّعون مادّة المازوت على المهرّبين. ولم يتسنّ لنا التأكّد من تلك المعلومات من مصدرٍ آخرَ.

إحدى البسطات في ضواحي العاصمة السوريّة دمشق (مصدر الصورة: الإنترنت)

ورغم سوء "المازوت الداعشيّ" كونه غير مخصّصٍ للتدفئة بسبب شوائبه الكثيرة والغازات السامّة التي يطلقها عند اشتعاله، والأمراض الجلديّة والتنفسيّة التي أدّى لها عند مستخدميه، إلّا أنّ سكّان محافظتي السويداء ودرعا أقبلوا عليه كمصدرٍ للتدفئة؛ فبينما كان يُباع المازوت النظاميّ في السوق السوداء 350 ل.س، كان "مازوت داعش" يباع بنصف الثمن.

صورة تظهر طريقة تكرير النفط البدائيّة التي كان يعتمدها عناصر من التنظيم (مصدر الصورة: الإنترنت)

- **الإمداد العسكريّ:**

بالتدريج خسر تنظيم "داعش" طرق إمداده إلى أن بات طريق الإمداد الرئيس لديه بادية السويداء عبر محافظتي درعا والسويداء. وعلى الرغم من إدراك سلطة الأسد التي تدّعي محاربة الإرهاب في سورية، بإدارةٍ روسيّةٍ إيرانيّةٍ، لهذا، إلّا أنّها أبقت على هذا الشريان ولم تقطعه، مع قدرتها على قطعه بسهولةٍ. وليس هذا فحسب، بل ساهمت في تفعيل هذا الشريان عبر ميليشياتها وقواها الأمنيّة في محافظة السويداء؛ إذ إنّ السلاح كان يأتي بمعظمه من محافظة درعا عبر شبكة المهرّبين سالفة الذكر، ولاسيّما من الألوية والقطعات التابعة لسلطة الأسد التي سقطت بأيدي الفصائل العسكريّة، والتي قبل أن تسقط عقد قادتها صفقات بيع سلاحها مع الفصائل المعارضة، بحسب شهاداتٍ حصلنا عليها من أبناء المنطقة.

وبحسب أحد شهودنا، فإنّ عشرات السيّارات كانت تعبر يوميًّا من محافظة درعا إلى السويداء وبالعكس؛ فالخارجة من درعا تحمل السلاح والذخائر والمعدّات العسكريّة والمتفجّرات والألغام، والداخلة إليها تحمل المحروقات والأدوية والغذاء. ولعلّ أشهر طرق التهريب التي كانت تمرّ عبرها تلك الشحنات من قرى "اللجاة" في محافظة درعا (ولاسيّما قرى "جدل" و"الشياح" والشومرة") إلى أماكن وجود "التنظيم" في بادية السويداء هي الطريق التي تنطلق من قريتي "جدل" و"الشياح" في "اللجاة" إلى القرى غرب محافظة السويداء "داما" و"حرّان" و"لبّين", ثمّ تنتقل إلى بلدة "عريقة" لتمرَّ بقرية "مجادل" ثمّ "أمّ الزيتون" حتّى تدخل مدينة "شهبا" لتتوجّه بعدها باتّجاه الشرق عن طريق بلدة "نمرة" مرورًا بقرية "أم ضبيب" وصولًا إلى قرية "طربا" المحاذية لبادية السويداء، وتكون قد مرّت عندها بعدّة حواجز للقوى الأمنيّة والفصائل الرديفة المتعاونة معها, لتتوجّه عقب ذلك إلى مناطق سيطرة "التنظيم" في البادية.

الدلائل والأحداث التي جرت في محافظة السويداء في ما يتعلّق بملفّ تهريب السلاح كثيرةٌ، وهي تؤكّد تورّط سلطة الأسد في قيادة وإدارة أعمال هذه الشبكات، ولعلّ أهمّها حادثة انقلاب سيّارة البندورة في "ساحة تشرين" وسط مدينة السويداء؛ والتي كانت تحمل تحت صناديق البندورة صناديق أسلحة وذخائر محمّلة من ريف درعا، ومتّجهة باتّجاه أماكن تمركز "داعش" في البادية. وبالتفاصيل: في تاريخ 22 تموز/ يوليو 2015 انقلبت سيّارةٌ كانت محمّلةً بصناديق البندورة؛ حيث طاردتها عناصرُ تنتمي إلى فصائلَ محلّيّةٍ في محافظة السويداء، بعد أن أثار شكوكهم عدم تفتيشها من الحواجز التابعة للأفرع الأمنيّة في المحافظة، وعندما وصلت السيّارة إلى "ساحة تشرين" وسط مدينة السويداء أطلق العناصر الملاحقون للسيّارة النار عليها، ففقد سائقها السيطرة عليها وانقلبت وسط الساحة، ليكتشفوا أنّها محمّلةٌ بـ 120 صاروخًا من طراز "كونكورس" (مضادّ دروع)، و50 بندقيّةً آليّةً روسيّةً، و50 قذيفة "هاون"، وعشرات صناديق الذخيرة، إضافةً إلى المسدّسات والقنابل اليدويّة.

صورة لـ "سيّارة البندورة" التي انقلبت في "ساحة تشرين" وسط مدينة السويداء. (المصدر: الإنترنت)

لكنّ المستغرب حينها أنّ سلطة الأسد أصدرت حكم إعدامٍ غيابيًّا بحقّ عشرة مواطنين من فصائلَ محلّيّةٍ في السويداء على خلفيّة حادثة "سيّارة البندورة"، وزجّت بأسماءٍ لم تكن على الحادثة أصلًا بغية التخلّص منها، عبر المحكمة العسكريّة الأولى في دمشق، بتهمٍ مختلفةٍ، هي: حيازة سلاحٍ وذخيرةٍ عسكريّةٍ بقصد الإتجار, والشروع التامّ بالقتل العمد, ومقاومة موظّفٍ بالعنف. شملَ هذا الحكم مقاتلين ضمن فصائلَ محليّةٍ في السويداء، بينهم رجال دين، وزجّت بأسماء لم يكن أصحابها موجودين على الحادثة بغية توريطهم تمهيدًا للتخلّص منهم.

وفي تاريخ 27 أيّار/ مايو 2016 تمكّن أهالي قرية "العفينة"، بالتعاون مع عناصرَ من الفصائل المحليّة، من إلقاء القبض على رأفت السلامة ضابط أمن القطاع الجنوبيّ في ميليشيا "الدفاع الوطنيّ"، وعناصر آخرين ينتمون إلى الميليشيا نفسها، وبحوزتهم شحنةُ أسلحةٍ ومتفجّراتٍ فيها كميّةٌ من مادّة TNT تزن نحو 800 كغ، وذخيرة رشاش 14،5 وعددٌ من القذائف. وهذه الشحنة كانت قد نُقلت من محافظة درعا عبر قرية "عرى" الحدوديّة مرورًا بقرية "العفينة" متّجهةً إلى أماكن وجود "التنظيم" في بادية السويداء. بعدها قام أهالي قرية "العفينة" بتسليم المهرّبين وحمولتهم إلى الأجهزة الأمنيّة التي حوّلتهم إلى مركز ميليشيا "الدفاع الوطنيّ" في مدينة السويداء بقيادة رشيد سلوم الذي أفرج عنهم بعد ساعاتٍ قليلةٍ، من دون حسابٍ أو عقابٍ، على الرغم من ضبطهم بالجرم المشهود. ما أثار استنكارًا واستياءً واسعًا ضمن أوساطٍ أهليّةٍ وسياسيّةٍ في المحافظة، لكن سرعان ما سارعت الماكينة الأمنيّة بنسب هذا العمل إلى عناصرَ شاذّين، واصفةً إيّاهم بأنّهم تجّار حربٍ وسيعاقبون على أفعالهم، وأنّ هذه الحادثة تندرج ضمن المخالفات الفرديّة، ولا تطال الميليشيا، رغم أنّ من بين المقبوض عليهم قياديًّا في تلك الميليشيا.

"رأفت السلامة" ضابط أمن المنطقة الجنوبيّة في "ميليشيا الدفاع الوطنيّ"

وفي نيسان/ أبريل 2016 ألقت فصائلُ محلّيّةٌ في بلدة "شقا" في ريف السويداء الشماليّ الشرقيّ القبض على عناصرَ تابعين للمخابرات الجوّيّة من مدينة "شهبا"، وبحوزتهم أسلحةٌ فرديّةٌ وذخائرُ وصواريخُ وقذائفُ، كانوا يحاولون نقلها إلى "التنظيم" عبر طريق نمرة – طربا إلى البادية. بعدها سلّموا المهرّبين مع حمولتهم إلى فرع المخابرات العسكريّة الذين أُطلِق سراحهم بعد فترةٍ قصيرةٍ.

صورة للأسلحة التي صودرت في قرية "شقا" (الصورة مأخوذة من شبكة السويداء 24 الإخباريّة)

هذه الحادثة لم تنتهِ هنا، بل استطالت إلى أبعد من ذلك حتّى وصلت إلى أعمالٍ انتقاميّةٍ قامت بها المجموعة التابعة للأمن الجوّيّ، بقيادة فراس العريضي ودانيال الطويل من مدينة شهبا، ضدّ أشخاصٍ ممّن قبضوا عليهم. ففي حزيران/ يونيو من العام نفسه حاول "فراس العريضي" ومجموعةٌ من رفاقه التابعين للمخابرات الجوّيّة، القبض على الشيخ "حسن محاسن" من بلدة "شقا"، حيث كان الشيخ "حسن" موجودًا في مكتب "الهرم" لاستلام حوالةٍ ماليّةٍ، وقام عناصر "المخابرات الجوّيّة" بمحاصرة المكتب وإطلاق النار في الهواء، والاعتداء على شيخٍ آخرَ من بلدة "شقا" كان برفقة الشيخ "حسن"؛ حيث قاموا بسلبه سيّارة الشيخ "حسن" أثناء محاولته الهروب فيها، وتدخّل على الفور رجلٌ من "آل الصحناوي" من مدينة شهبا وقام بحماية الشيخ "حسن" داخل منزله، وطالب المدعوّ "فراس العريضي" بمبلغ قدره 22 مليون ليرةٍ مقابل إرجاع السيّارة والسماح للشيخ "حسن" الخروج من مدينة شهبا. والشيخ "محاسن" هو ممّن أوقفوا المدعوّ "فراس العريضي" على حاجز في بلدة "شقا" وصادروا حمولة السلاح والذخيرة التي كانت بحوزته. وقال ناشطون آنذاك إنّ الشيخ "محاسن" متورّطٌ أيضًا في أعمال تهريب سلاحٍ من دون أن يتسنّى لنا التحقّق من ذلك.

وفي تشرين الأوّل/ أكتوبر 2016، ألقي القبض على شاحنةٍ قرب مدينة "شهبا" تنقل صواريخ غراد من ريف السويداء الغربيّ إلى أماكن وجود "داعش" في بادية محافظة السويداء، ليتبيّن

لاحقًا أنّ السيّارة تعود لأحد عناصر المخابرات الجوّية من مدينة شهبا وهو "شادي الخطيب"، أحد أبرز مهرّبي السلاح إلى تنظيم "داعش"، بحسب ما نقلته شبكاتُ أخبارٍ محلّيّةٌ آنذاك.

بعض الأسلحة المصادرة (المصدر: شبكة السويداء 24 الإخباريّة)

وعن ملفّ تهريب السلاح يقول أحد شهودنا: "بعد سيطرة تنظيم داعش على المنطقة أواخر 2014، منع التنظيم عمليّات تهريب الدخان بشكلٍ كاملٍ، واحتكر شراء السلاح والذخيرة من مهرّبي البدو بعدما فرض عليهم شروطًا للتهريب وللأرباح، ومنحهم أذونات للتوجّه إلى مناطق التماس مع قوّات النظام التي كانت تبيعهم بشكلٍ يوميٍّ كمّيّاتٍ ضخمةً من الذخيرة والأسلحة، عبر منافذَ عديدةٍ في ريف السويداء الشرقيّ والشماليّ الشرقيّ من أبرزها طريق شقا - تل صعد، والطرق المؤدّية من قرى بارك وعراجة ودوما وطربا إلى بادية السويداء، كما اعتمد التنظيم أيضًا على مهرّبي البدو لتهريب المحروقات المستخرجة بشكلٍ بدائيٍّ من مناطق سيطرته شرق سورية باتّجاه محافظة السويداء، حيث غزا المازوت الداعشي المحافظة في تلك الفترة وتشكّلت شبكات تهريبٍ معظمها مرتبطة بميليشيات النظام في ريف السويداء الجنوبيّ الشرقيّ، وكانت أبرز المنافذ لتهريب المحروقات عبر منطقة القسطل في بادية السويداء المتاخمة لقريتي الحريسة وملح".

ب- غضّ النظر عن تمدّد "داعش" في بادية السويداء

منذ ظهور "التنظيم" في بادية السويداء أواخر عام 2014 وحتّى بداية عام 2017، نعم بأجواءٍ ملائمةٍ تساعده على التمدّد وتنظيم صفوفه. وبحسب ناشطين من المنطقة، وما صدر عن قادةٍ في الفصائل العسكريّة المعارضة من تصريحاتٍ آنذاك، ولاسيّما تلك العاملة في الغوطة الشرقيّة، فإنّ "التنظيم" لم يتلقَّ ضرباتٍ جويّةً موجعةً من سلطة الأسد، ومن حليفها الروسيّ الذي دخل الحرب السوريّة في أواخر عام 2015، بل تركّزت عمليّاتها العسكريّة وضرباتها الجوّيّة على فصائل المعارضة التي تقاتل "داعش" في بادية السويداء. مع العلم أنّه كان بإمكان سلطة الأسد القضاء على مجموعات "التنظيم" في تلك المنطقة آنذاك، ولاسيّما أنّ أعداد عناصرها كانت قليلةً وإمكاناتهم متواضعة من حيث التنظيم والتسليح والامتداد. لتبدأ مجموعات "داعش" في تلك المنطقة، في ظلّ هذا المناخ المواتي، بتنظيم صفوفها واختيار قادتها واتّخاذ مقرّاتٍ وتحصيناتٍ لها في المنطقة.

وبحسب أحد شهودنا، فإنّ "النظام كان لديه القدرة للسيطرة على مناطق وجود التنظيم شمال شرق السويداء في الفترة الممتدّة بين 2014 و2017، لكنّ ماكينته الإعلاميّة كانت تروّج أنّ المنطقة معقّدةٌ جغرافيًّا وأعداد الدواعش فيها ضخمةٌ، رغم أنّ عددهم لم يتجاوز 500 داعشيّ

على أكثر تقدير، كما أنّ مقرّاتٍ مهمّةً للتنظيم كانت لا تبعد سوى بضعة كيلو مترات عن مطار خلخلة العسكريّ، ومنها مدرسة تل أشهيب التي كان التنظيم يتّخذ منها مقرًّا لمحكمته الشرعيّة وترفرف فوقها رايته، لكنّ النظام كان يكتفي باستهدافٍ محدودٍ للمنطقة عبر المدفعيّة والطيران الحربيّ. أمّا عندما انسحب التنظيم في شهر آذار عام 2017 من المنطقة، وحلّت مكانه فصائل المعارضة المسلّحة جيش أسود الشرقيّة وجيش أحرار العشائر وقوّات أحمد العبدو، لم تمكث أكثر من ثلاثة أشهرٍ في بئر قصب وقرى منطقة تل أصفر شمال شرقيّ السويداء، حيث شنّت قوّات الأسد هجماتٍ واسعةً على فصائل المعارضة في المنطقة، وتمكّنت من انتزاعها من المعارضة مع حلول شهر تمّوز/ يوليو 2017، بينما لم تحاول تنفيذ أيّ عمليّة اقتحامٍ على داعش بين 2014 و2017".

وكما ذكرنا في موضعٍ سابقٍ من الدراسة أنّ القيادات والشخصيّات المهمّة في "التنظيم" كانت تتمركز في "بلوكوسات" يسهل على قوّات الأسد تدميرها لو كان لديها النيّة في ذلك، لأنّ إحداثيّات تلك المقرّات معلومةٌ لديها كونها كانت مقرّات لقوّاتها سابقًا، إلّا أنّها غضّت النظر عنهم حتّى أصبحوا مشكلّةً لخصومها في تلك المنطقة.

سادسًا: نماذج من التوثيق والشهادات

1- نماذج من التوثيق

أ- توثيق الضحايا المدنيّين:

صور ضحايا المجزرة التي نفّذها "التنظيم" في محافظة السويداء في 25 تمّوز/ يوليو 2018.

- **الضحايا المدنيّون جرّاء العمليّات العسكريّة التي نفّذها " التنظيم":**

الرقم	اسم الضحيّة	المكان	التاريخ	ملاحظات
1	ثامر زياد السلمان	الحقف	7/ 4/ 2015	
2	ربيع سلمان السمان	الحقف	7/4/ 2015	
3	مريانا إحسان السمان	الحقف	7/ 4/ 2015	فتاة لم تبلغ 18 سنة من العمر
4	فريز عامر	البثينة	7/4/ 2015	رجل دين
5	فرزان أبو حسون	شقا	3/ 7/ 2015	قتل جراء قصف بقذائف الهاون
6	أنور محمد ناصيف	دوما	25/ 7/ 2018	
7	أنيس زعل النجم	دوما	25/ 7/ 2018	
8	جاد الكريم معذى ناصيف	دوما	25/ 7/ 2018	
9	جلال علي الحسين	دوما	25/ 7/ 2018	
10	خضر منعم حرب	دوما	25/ 7/ 2018	
11	راجح فرحان ناصيف	دوما	25/ 7/ 2018	
12	رسلان واثق جمول	دوما	25/ 7/ 2018	
13	ريان صايل مخيبر	دوما	25/ 7/ 2018	
14	زياد يوسف الحسين	دوما	25/ 7/ 2018	
15	زيد سالم ذيب	دوما	25/ 7/ 2018	
16	زيد زياد ناصيف	دوما	25/ 7/ 2018	
17	سامر يوسف حرب	دوما	25/ 7/ 2018	
18	شادي نجم النجم	دوما	25/ 7/ 2018	

19	صايل جايد مخيبر	دوما	25/ 7/ 2018	
20	كمال محمد النجم	دوما	25/ 7/ 2018	
21	مدحت سلامة ناصيف	دوما	25/ 7/ 2018	
22	معذى سليم حمزة	دوما	25/ 7/ 2018	
23	منور أنور ناصيف	دوما	25/ 7/ 2018	
24	ناصيف حمادة ناصيف	دوما	25/ 7/ 2018	
25	واثق شبلي جمول	دوما	25/ 7/ 2018	
26	وهيب نزيه مخيبر	دوما	25/ 7/ 2018	
27	أسامة نزيه مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
28	افرنجية سعدو مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
29	أكرم سعدو مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
30	دانيال ناصر مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
31	راشد شاكر مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
32	رأفت شفيق مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
33	راما شاكر مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
34	رواد صابر مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
35	سجيع فضل الله مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
36	طارق يوسف مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
37	طليع يوسف مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
38	فارس مرسل مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
39	فداء جادالله مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
40	فرحان رشراش مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
41	فندي شفيق مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
42	معين عبد الكريم مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
43	نورس فؤاد مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
44	هاشم محمد مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
45	هاشم منصور مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
46	أيمن مقلد	رامي	25/ 7/ 2018	
47	جابر قاسم حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
48	صابر قاسم حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
49	علاء مفيد حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
50	محسن فواز حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
51	معين فوزي حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
52	أقبال حمد نوفل	المتونة	25/ 7/ 2018	
53	حامد سالم الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
54	عدي طربيه	المتونة	25/ 7/ 2018	
55	فريال راغب الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
56	هبة عفاش الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
57	هناء عفاش الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
58	حلوة نمر عطعوط	السويمرة	25/ 7/ 2018	
59	محمد علي دندل	السويمرة	25/ 7/ 2018	
60	نضال ممدوح عامر	السويمرة	25/ 7/ 2018	
61	جابر قاسم حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
62	صابر قاسم حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
63	علاء مفيد حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	

64	محسن فواز حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
65	معين فوزي حمايل	الغيظة	25/ 7/ 2018	
66	أقبال حمد نوفل	المتونة	25/ 7/ 2018	
67	حامد سالم الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
68	عدي طربيه	المتونة	25/ 7/ 2018	
69	فريال راغب الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
70	هبة عفاش الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
71	هناء عفاش الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
72	بنت فريال الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
73	بنت فريال الحلبي	المتونة	25/ 7/ 2018	
74	حلوة نمر عطعوط	السويمرة	25/ 7/ 2018	نازحة من قرية دير سلمان إلى محافظة السويداء
75	محمد علي دندل	السويمرة	25/ 7/ 2018	نازح من قرية دير سلمان في ريف دمشق إلى محافظة السويداء
76	نضال ممدوح عامر	السويمرة	25/ 7/ 2018	
77	سميح حسين أبو زيدان	الدياثة	25/ 7/ 2018	
78	رامز سليم أبو زيدان	الدياثة	25/ 7/ 2018	
79	مازن صياح المتني	الدياثة	25/ 7/ 2018	
80	مكرم شبيب سلام	الدياثة	25/ 7/ 2018	
81	أكرم شحادة الخطيب	الدياثة	25/ 7/ 2018	
82	عاهد رجا الغوطاني	طربا	25/ 7/ 2018	
83	كامل ذيب سلام	طربا	25/ 7/ 2018	
84	بسام ماجد الغوطاني	طربا	25/ 7/ 2018	
85	سهيل سليم سلام	طربا	25/ 7/ 2018	
86	مبارك شبلي الخطيب	طربا	25/ 7/ 2018	
87	ابتسام فوزات مقلد	الشبكي	25/ 7/ 2018	
88	أدهم مهنا أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
89	أسامة زيدان الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
90	ألماسة ثليج الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
91	أمين عطا الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
92	آية ثامر أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
93	أيمن سلمان أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
94	برزان سعيد أبوعمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
95	نبيه سامي أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
96	توفيق جديع الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
97	ثائر جاد المولى أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
98	جاد المولى ثائر أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
99	جهاد علي أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
100	حسن علي الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
101	خالد ثليج الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
102	خالد حسن الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
103	رايا سعيد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	

104	ربا ثائر أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
105	روان سعيد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
106	ريدان سالم الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
107	ريدان منصور الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
108	زهية فواز الجباعي	الشبكي	9/ 8/ 2018	العمر 60 عامًا. توفيت أثناء فترة اختطافها لدى تنظيم "داعش" في تاريخ 9 آب/ أغسطس 2018.
109	سمية حسن الشاعر	الشبكي	25/ 7/ 2018	
110	سناء عزالدين أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
111	شوقي جاد المولى الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
112	صالحة هاني الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
113	ضحى هنيدي الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
114	عادل فيصل أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
115	علي هاني أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
116	غصن حسن أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
117	فاضل عطا الله أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
118	فايز بهاء الدين الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
119	فايز عطا الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
120	فرحان أسد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
121	كمال أسعد أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
122	لطفي فهد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
123	مأمون علي أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
124	مشرف توفيق الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
125	معن جاد الكريم الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
126	منتهى فهيد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
127	منصور مهاوش الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
128	منهال صالح أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
129	مهند نوفل أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
130	ناظم عزالدين الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
131	نسيب فواز الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
132	نصر الدين محمد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
133	نوال متعب الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
134	هلال ناصيف أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
135	هنا فيصل أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
136	هندي فهيد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
137	ورد الشام هندي مقلد	الشبكي	25/ 7/ 2018	
138	ياسر مهنا أبو عمار	الشبكي	25/ 7/ 2018	
139	قصي جودت أبو عمار		8/ 11/ 2018	العمر 10 سنوات أصيب بعيارات نارية أثناء الإفراج عن المخطوفين في

				تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، ما أدى إلى وفاته.
140	رأفت نشأت أبو عمار	الشبكي	8/ 11/ 2018	العمر 7 سنوات أصيب بعيارات نارية أثناء الإفراج عن المخطوفين في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، ما أدى إلى وفاته.
141	مهند ذوقان أبو عمار		2/ 8/ 2018	طالب جامعي يبلغ من العمر 22 عامًا. أعدمه تنظيم "داعش" في تاريخ 2 آب/ أغسطس 2018 بعد اختطافه.
142	ثروت فاضل أبو عمار	الشبكي	3/ 10/ 2018	العمر 25 عامًا. أعدمها التنظيم أثناء فترة اختطافها في تاريخ 3 تشرين الأول/ أكتوبر 2018.
143	مروة عصام الأباظة	الشبكي	تاريخ أعدامها غير معروف	العمر 30 عامًا. أعدمت أثناء فترة اختطافها.
144	يوسف زيدان الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
145	يحيى قاسم الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	
146	أقبال نواف صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
147	أيمن سلامة سلام	الشريحي	25/ 7/ 2018	
148	أيسر أيمن صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
149	بسام فوزي صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
150	بشار منعم صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
151	مهران راضي صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
152	مهيب نضال صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
153	زاهي جاد الله صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
154	بشير فندي سلام	الشريحي	25/ 7/ 2018	
155	بهجت عطا الله صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
156	تميمة حمود صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
157	جمال لطفي صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
158	حسام ماجد سلام	الشريحي	25/ 7/ 2018	

159	حلا وليد صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
160	ربيع رسلان صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
161	معين مزيد صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
162	مقبولة عبد الحميد حمايل	الشريحي	25/ 7/ 2018	
163	منصور أحمد صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
164	مها فوزي صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
165	رعد بسام صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
166	زاد الخير جابر سلام	الشريحي	25/ 7/ 2018	
167	صالح هاني صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
168	صياح هاني صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
169	عتاب منصور علبة	الشريحي	25/ 7/ 2018	
170	عدنان قاسم سرحان	الشريحي	25/ 7/ 2018	
171	ناجي متروك سلام	الشريحي	25/ 7/ 2018	
172 173	هيلة وليد صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
174	نور أجود صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
175	هشام منصور صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
176	واصف صالح صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
177	وجدي شاكر سلام	الشريحي	25/ 7/ 2018	
178	وليد أنيس صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
179	مقبولة حسيب صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
180	عاصم زاهي صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
181	فرح أحمد صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
182	لطفي أحمد صعب	الشريحي	25/ 7/ 2018	
183	محمد قاسم سرحان	الشريحي	25/ 7/ 2018	

- ضحايا الألغام التي زرعها "التنظيم"، وقذائف "الهاون" التي أطلقها على أراضي محافظة السويداء:

الرقم	اسم الضحية	المكان	التاريخ	ملاحظات
1	وجيه نصر الدين	دوما	15/ 1/ 2020	من قرية الجنينة أثناء مروره على طريق ترابي على دراجة نارية
2	فضل الله مخيبر	دوما	15/ 1/ 2020	من قرية دوما أثناء مروره على طريق ترابي على دراجة نارية
3	عادل أبو حسون	شقا	3/ 7/ 2015	أثناء حصاد محصول القمح في أرضه في قرية شقا
4	عمار رفعت سلام	طربا	2018 /8/19	أثناء تمشيطه لمنطقة

				"الحصن" شرق قرية طربا
5	حاتم فؤاد سلام	طربا	2018 /8/19	أثناء تمشيطه لمنطقة "الحصن" شرق قرية طربا
6	عمار جايد سلام	طربا	2018 /8/19	أثناء تمشيطه لمنطقة "الحصن" شرق قرية طربا
7	معتز سلام	طربا	2018 /8/19	أثناء تمشيطه لمنطقة "الحصن" شرق قرية طربا
8	أنس نور الدين المتني	طربا	2018 /8/19	أثناء تمشيطه لمنطقة "الحصن" شرق قرية طربا، وهو من قرية "الكسيب"
9	سمير حسن دليقان	البثينة	2017 /12 /11	أثناء رعيه الأغنام
10	رائف عبدالله الدمشقي	البثينة	2017 /12 /11	أثناء رعيه الأغنام

- **الضحايا نتيجة التفجيرات واعتداءات الانغماسيّين من تنظيم "داعش" داخل مدينة السويداء في 25/ 7/ 2018:**

الرقم	اسم الضحية	المكان	التاريخ	ملاحظات
1	يامن أبو عاصي	السويداء	25/ 7/ 2018	أمسك بالانتحاري ففجر نفسه به
2	وائل يحيى بدران	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية المشقوق
3	مجيد سعيد بشنق	السويدء	25/ 7/ 2018	من قرية الرافقة
4	ماهر غرز الدين	السويداء	25/ 7/ 2018	
5	ماهر زين الدين	السويداء	25/ 7/ 2018	
6	عماد السلمان	السويداء	25/ 7/ 2018	
7	خالد أبو شقرا	السويداء	25/ 7/ 2018	
8	شاهر حسين عبيد	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية المشقوق
9	نورس الحجلي	السويداء	25/ 7/	من قرية

			2018	المشقوق
10	إياد الشعار	السويداء	25/ 7/ 2018	
11	هندي يوسف أبو سعيد	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية امتان
12	مهنا النمط	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية العفينة
13	يوسف أيوب	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية قنوات
14	فيصل شلهوب	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية قنوات
15	محمد البدعيش	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية رساس
16	يوسف العقباني	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية المزرعة
17	إياد العقباني	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية المزرعة
18	إبراهيم جادالله المنصور	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية المزرعة
19	جمال حسن زيتون	السويداء	25/ 7/ 2018	عسكري قضى في التفجيرات
20	عماد صالح	السويداء	25/ 7/ 2018	من قرية حرفا
21	محمود طالب إبراهيم	السويداء	25/ 7/ 2018	عسكري قضى في التفجيرات
22	قصي رستم	السويداء	25/ 7/ 2018	عسكري قضى في التفجيرات

ب- شهداء "الفزعات" من مقاتلي الحماية الذاتيّة الأهليّة خلال المعارك مع تنظيم "داعش" منذ دخوله إلى بادية السويداء:

الرقم	الاسم	المكان	التاريخ	ملاحظات
1	كريم أحمد سلوم	الحقف	19/ 5/ 2015	من مدينة شهبا
2	أبو جواد فريز عامر	الحقف	19/ 5/ 2015	رجل دين من قرية البثينة
3	فرزان أبو حسون	شقة	3/ 7/ 2015	قتل نتيجة قصف داعش لقذائف الهاون أثناء الاشتباك
4	كامل عفاش حيدر	المتونة	25/ 7/ 2018	من قرية أم الزيتون
5	وليد إسماعيل زين	المتونة	25/ 7/ 2018	من قرية عرى
6	ماهر فوزات عزيز	رامي	25/ 7/ 2018	من قرية المشقوق
7	لؤي مسعود	رامي	25/ 7/ 2018	من قرية الدور
8	ناظم سالم فخر الدين الشعراني	رامي	25/ 7/ 2018	من قرية الدور
9	إهاب ريدان الصحناوي	رامي	25/ 7/ 2018	من مدينة شهبا
10	سعيد مزيد خداج	رامي	25/ 7/ 2018	من مدينة شهبا
11	بسام جاد الله الأباظة	رامي	25/ 7/ 2018	من قرية نمرة شهبا
12	صالح نور الدين أبو زيدان	رامي	25/ 7/ 2018	من قرية العجيلات
13	عباس حمد الشاعر	رامي	25/ 7/ 2018	من قرية بوسان
14	إبراهيم الغضبان	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية الرحى
15	خالد مسعود	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية الرحى
16	وائل الجغامي	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية الرحى
17	حمد الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية المجيمر
18	بشار طلال حيدر	الشبكي	25/ 7/ 2018	السويداء
19	هزاع الجباعي	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية المجيمر
20	يحيى الأعوج	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية الرحى
21	بهاء الشعار	الشبكي	25/ 7/ 2018	من بلدة الكفر
22	سلمان شرف الدين	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية المزرعة
23	حمد أبو فخر	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية ريمة اللحف
24	يعرب أبو فخر	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية ريمة اللحف
25	خلدون العربيد	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية عتيل
26	طلال النصار	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية عتيل
27	رائد القنطار	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية كناكر
28	سامر منصور عرز الدين	الشبكي	25/ 7/ 2018	من مدينة صلخد
29	نبيل صيموعة	الشبكي	25/ 7/ 2018	من بلدة عرمان
30	فواز الأطرش	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية عنز

31	جمال عيد	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية ملح
32	شادي أبو مغضب	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية طليلين
33	جولين الحسين	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية تعارة
34	كنان الحسين	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية تعارة
35	عامر علبة	الشبكي	25/ 7/ 2018	السويداء
36	نجا أبو شاهين السويداء	الشبكي	25/ 7/ 2018	السويداء
37	وليد صعب	الشبكي	25/ 7/ 2018	السويداء
38	يامن خضير	الشبكي	25/ 7/ 2018	من مدينة السويداء
39	رأفت الراشد	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية قلعة جندل في جبل الشيخ
40	راكان حديفة	الشبكي	25/ 7/ 2018	من بلدة القريا سكان مدينة جرمانا في ريف دمشق
41	سامر الأباظة	الشبكي	25/ 7/ 2018	من بلدة تمرة سكان مدينة جرمانا
42	عدنان عبد الحي أبو فخر	الشبكي	25/ 7/ 2018	مدينة جرمانا في ريف دمشق
43	كنان نضال كيوان	الشبكي	25/ 7/ 2018	عسكري من قرية ميماس
44	مأمون الزاعور	الشبكي	25/ 7/ 2018	من مدينة جرمانا في ريف دمشق
45	صقر الخطيب	الشبكي	25/ 7/ 2018	من مدينة شهبا
46	مزيد دلال	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية نمرة شهبا
47	وليد محمد علي	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية سعنا
48	عطا الله شجاع	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية الرشيدة
49	خالد المتني	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية الكسيب
50	رماح كمال	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية سالة
51	سامر نصار	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية سالة
52	عدنان غزلان	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية سالة
53	عدنان الحامد	الشبكي	25/ 7/ 2018	من قرية الجنينة
54	أدهم أسعد الخطيب	الشريحي	25/ 7/ 2018	من مدينة السويداء
55	ربيع مرسل الظاهر عزام	الشريحي	25/ 7/ 2018	من قرية عريقة
56	أسامة شافع أبو عمار	الشريحي	25/ 7/ 2018	من قرية الشبكي

ت- توثيق جرائم الخطف

الرقم	الاسم	مكان الاختطاف	التاريخ	الملاحظات
1	رسمية أديب أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/	العمر 50

			2018	عامًا، أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
2	سعاد أديب أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 45 عامًا، أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
3	فاديا بادي أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 40 عامًا أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
4	رائدة صابر أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 50 عامًا أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
5	نجوى صياح أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 35 عامًا أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
6	ثروت فاضل أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 25 عامًا. أعدمها التنظيم أثناء فترة اختطافها في تاريخ 3 تشرين الأول/ أكتوبر 2018.
7	فريال عزالدين أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 50 عامًا أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.

8	عبير مشعل شلغين	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 33 عامًا، كانت حامل بالشهر السادس أثناء اختطافها. ومات جنينها أثناء فترة الاختطاف لدى "داعش". أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
9	مروة عصام الأباظة	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 30 عامًا. أعدمت أثناء فترة اختطافها.
10	مهند ذوقان أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طالب جامعي يبلغ من العمر 22 عامًا. أعدمه تنظيم "داعش" في تاريخ 2 آب/ أغسطس 2018 بعد اختطافه.
11	زهية فواز الجباعي	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 60 عامًا. توفيت أثناء فترة اختطافها لدى تنظيم "داعش" في تاريخ 9 آب/ أغسطس 2018
12	لميس حكمت أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 4 سنوات، أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
13	ميرنا حكمت أبو	قرية الشبكي	25/ 7/	طفلة تبلغ من

	عمار		2018	العمر 10 سنوات. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
14	أكثم حكمت أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفل يبلغ من العمر 8 سنوات. أفرج عنه في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
15	شهد جودت أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 8 سنوات. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
16	رجوان سعيد أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفل يبلغ من العمر 11 سنة. أفرج عنه في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
17	مشاعل سعيد أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 15 سنة. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
18	مانيا سعيد أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 13 سنة. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
19	مريم سعيد أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 12

				سنة. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
20	ماري سعيد أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 10 سنوات. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
21	يعرب نشأت أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفل يبلغ من العمر 10 سنوات. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
22	لانا نشأت أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 12 سنة. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
23	أسماء نبيل أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة تبلغ من العمر 8 سنوات. أفرج عنها في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.
24	أمواج محمود الجباعي	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة عمرها سنتان خطفت مع والدتها وأخوتها. وأفرج عنها بالدفعة الأولى في تاريخ 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2018.

25	غيداء محمود الجباعي	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفلة عمرها 10 سنوات خطفت مع والدتها وأخوتها. وأفرج عنها بالدفعة الأولى في تاريخ 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2018.
26	يعرب محمود الجباعي	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفل عمره 8 سنوات خطف مع والدته وأخوته. وأفرج عنه بالدفعة الأولى في تاريخ 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2018.
27	ملهم محمود الجباعي	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفل عمره 9 سنوات خطف مع والدته وأخوته. وأفرج عنه بالدفعة الأولى في تاريخ 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2018.
28	رأفت نشأت أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	طفل يبلغ من العمر 7 سنوات أصيب بعيارات نارية أثناء الإفراج عن المخطوفين في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، ما أدى إلى وفاته.

29	قصي جودت أبو عمار	قرية الشبكي	25/ 7/ 2018	العمر 10 سنوات أصيب بعيارات نارية أثناء الإفراج عن المخطوفين في تاريخ 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، ما أدى إلى وفاته.
30	سمير متعب حمايل	قرية "الغيظة"	2016/7/20	
31	زوجة سمير متعب حمايل (لم نتمكن من الحصول على الاسم)	قرية "الغيظة"	2016/7/20	خرجت بعد أيام
32	ابنة سمير متعب حمايل (لم نتمكن من الحصول على الاسم)	قرية "الغيظة"	2016/7/20	خرجت بعد أيام
33	ابنة سمير حمايل (لم نتمكن من الحصول على الاسم)	قرية "الغيظة"	2016/7/20	خرجت بعد أيام
34	أرملة شافع ماضي حمايل (لم نتمكن من الحصول على الاسم)	قرية "الغيظة"	2016/7/20	خرجت بعد أيام
35	ابن شافع حمايل (لم نتمكن من الحصول على الاسم)	قرية "الغيظة"	2016/7/20	لا معلومات
36	ابن شافع حمايل (لم نتمكن من الحصول على الاسم)	قرية "الغيظة"	2016/7/20	لا معلومات
37	معن سراي الدين	قرية "أم رواق"	2018/3/1	أطلق سراحه في تاريخ 2018 /6/9
38	بسام ماجد الغوطاني	قرية "طربا"	2018/3/1	مجهول المصير
39	وسهيل سليم سلام	قرية "طربا"	2018/3/1	مجهول المصير

2- توثيق قتلى داعش في غزوة 25 تمّوز/ يوليو 2018

1- حبيب سعيد عقل - دمشق الميدان
2- أحمد حكمت عيسى
3- خالد يحيى عقلة
4- أحمد محمد عدنان الحجي
5- مصطفى محمد العبسي - مخيم اليرموك
6- أحمد رعد خابوري
7- ضياء ابو رفاعي
8- اياد رياض الجدة
9- بهاء السلفي
10- أبو أحمد حلاوة
11-أبو عمر حليوه
12-أبو فراس التركماني
13- أبو وليد التركماني
14-ابو زيد الحوراني
15- أبو جندل
16- أبو محمد الفلسطيني
17-أبو هود الأمني
18-أبو عمر منصور
19-ابو محمد جده
20- أبو اسيد حسبة
21-أبو عمر عمليات
22- أبو زبير قراعين
23- أبو علي حجيرة
24- أبو قاعود
25- أبو راضي
26- أبو جنة
27- أبو بكر قراعين
28-أبو الليث غاندي
29-أبو محمد الليبي
30- أبو قاسم قشي
31-أبو العباس حجيرة
32-أبو عبد الرحمن ديابية
33-أبو عمر شاهين
34-أبو نافع
35- أبو عمر علي
36- أبو حفص الأمني
37- أبو علاء المقدسي
38- أبو قتيبة الغوراني
39- أبو حسن الشيعي
40-أبو حسن حامد
41- أبو هيثم السلفي
42- أبو حلب السلفي
43- أبو جهاد الفلسطيني
44- أبو أسامة المغربي
45- أبو الأنصار
46-أبو ماريا قنص
47-أبو سامي
48- أبو حسام حسبة

49- الجولاني
50-أبو مصعب يلا
51-أبو خليل تركماني
52- أبو عماد تضامن
53- أبو اسيد طه
54- أبو فادي كوجاك
55-أبو دجانة حموي
56-أبو مصعب كريم
57-أبو أنور الباش
58- أبو جواد الإعلامي
59-أبو قتيبة ننشاكو
60- أبو محمد صبحي
61- أبو نورس
62-أبو نادر يلدا
63-أبو حسين صبرية
64- أبو دجانة صبرية
65-أبو صهيب السبع
66-أبو بكر الشيخ سمعو
67-أبو علي الميداني طيبة
68-أبو قاعود حدو
69- أبو حسن صفدي
70- أبو ريان
71- أبو ثائر الأستاذ
72- أبو علي الادلبي
73- أبو عدي الفلسطيني
74- أبو عبيدة لورانس
75- أبو عبيدة السهلي
76- أبو الصفصافي
77-أبو معاوية التركماني
78- أبو يزن بويضة محكمة
79- أبو محمد عتابا
80- أبو حسام سبينة
81- أبو كامل
82-أبو بلال القناص
83-أبو هريرة الروسي
84-أبو مصعب قراعين
85-أبو محمد الحمصي
86-أبو عبادة تضامن

3- نماذج من الشهادات

(نورد الشهادات دون تحريرها وتدقيقها لغويًّا)

الشهادة (أ)

مقابلة مع الصحفيّ السوريّ ريّان معروف، وهو من سكّان محافظة السويداء، ومتابعٌ وشاهدٌ على مجريات الأحداث في محافظة السويداء، ومعدّ التقرير الذي استند إليه فيلم "ملحمة المقرن الشرقيّ" الذي يعالج أحداث غزوة 25/ 7/ 2018. والصحفيّ "معروف" هو مدير تحرير شبكة السويداء 24 في محافظة السويداء. يبقى الإشارة إلى أنّ هذه المقابلة أجريت عبر طريقة الأسئلة المكتوبة، والإجابة عنها ورقيًّا، لصعوبة اللقاء الفيزيائيّ مع الشاهد، بسبب الظروف الأمنيّة في المحافظة وحرصًا على سلامته.

الأسئلة الموجّهة للشاهد وأجوبته:

س1- أواخر عام 2014، ظهر "داعش" في بادية السويداء. فمن أين أتى، وأين انتشر، ومن بايعه فيها، ومن هم قادته آنذاك؟

ج1- في عام 2013 بعدما أطبقت قوات النظام الحصار على الغوطة الشرقية المتاخمة لمنطقة بئر قصب من الجهة الجنوبية، خرجت عدة فصائل معارضة من الغوطة إلى بئر قصب واستقرت في هذه المنطقة الصحراوية، وكان من أبرزها "لواء الشباب الصادقين" و"لواء ثوار الشام" ومجموعات تابعة لجيش الإسلام، مع تواجد محدود جداً لعناصر جبهة النصرة، وكان خروج هذه المجموعات إلى منطقة بئر قصب الصحراوية بهدف العمل على فتح طريق منها إلى الغوطة الشرقية، وكسر الحصار عنها، وقد خضعت بعض هذه الفصائل ومنها "لواء الشباب الصادقين" الذي بايع داعش لاحقاً، لدورات تدريبية في قواعد أمريكية بالأردن، وحصلوا على سلاح ومعدات من الأمريكان، وفي شهر نيسان من عام 2014 أطلقت الفصائل المذكورة عملية عسكرية ضد قوات النظام اسمتها "عواصف الصحراء" بهدف كسر الحصار عن الغوطة الشرقية والقلمون الشرقي، لكن المعارك توقفت بشكل مفاجئ منتصف أيار 2014 دون تحقيق النتائج المطلوبة، وبدأت الخلافات تظهر بين جيش الإسلام ولواء الشباب الصادقين، واتهامات متبادلة بين الطرفين بالتخاذل في المعركة، ظاهرياً كان الخلاف الرئيسي على تقسيم الغنائم في إحدى المعارك قرب مطار ضمير العسكري، ولكن بالحقيقة كان جيش الإسلام يسعى لبسط سيطرته على هذه المنطقة وكبح جماح أي فصيل أخر، كما فعل في الغوطة الشرقية، ما دفع "لواء لشباب الصادقين" للبحث عن حلفاء ضد جيش الإسلام، وقد كان يتزعم "الشباب الصادقين" مقدم منشق يدعى وليد أبو الخير ويلقب بأبو المعتصم، بالإضافة إلى أحمد المكحل وهما سوريان ينحدران من ريف دمشق، وقد تقرب هذان القياديان من تنظيم جبهة النصرة في مدينة البوكمال شرق سوريا بعد الخلافات مع جيش الإسلام، وفي شهر حزيران ذهبا عدة مرات إلى البوكمال وكانت تربطهما علاقات مع قيادي في النصرة يلقب بأبو الليث لكنه بايع تنظيم الدولة الإسلامية بعدما انتزع التنظيم البوكمال من النصرة وفصائل المعارضة في شهر تموز 2014، وبقيت علاقاتهما قائمة مع أبو الليث حتى ارسل لهما مؤازرات في مطلع شهر كانون الأول 2014، مؤلفة من 300 مقاتل داعشي بقيادة ابو رجاء التونسي وهو تونسي الجنسية، وعندها أعلن ابو المعتصم والمكحل والعناصر التابعين لهما من لواء لشباب الصادقين، البيعة رسمياً لأبو بكر البغدادي ورفعوا رايات التنظيم ونصبوا ابو رجاء التونسي اميراً على قاطع بئر قصب بينما تولى أبو المعتصم والمكحل الأمور العسكرية، ثم أعلنوا الحرب على جيش الإسلام وبقية فصائل المعارضة الموجودة في المنطقة، حيث انسحبت

فصائل إلى درعا بينما بايع قسم من عناصرها وقياداتها التنظيم، وقد اندلعت عدة مواجهات بين التنظيم وجيش الإسلام في بئر قصب وتل دكوة انتهت في الشهر الخامس من عام 2015 ببسط التنظيم سيطرته بشكل كامل على المنطقة والقضاء على أي وجود لجيش الإسلام أو أي فصائل أخرى، وشملت المناطق التي سيطر التنظيم عليها مع بئر قصب وتل دكوة، عدة قرى في ريف السزيداء الشمالي الشرقي المعروفة بقرى منطقة الأصفر، وهي "الأصفر، أشيهب، المفطرة، رجم الدولة، القصر، الساقية، شنوان، خربة صعد، الأشرفية" وجمعها تقطنها عشائر البدو.

أما العشائر في هذه المنطقة، فلم تبايع التنظيم بشكل كامل، لكن المئات من أفرادها والعديد من الوجهاء بايعوا التنظيم وكان يطلق عليهم "الأنصار"، كما انخرط العشرات من أبناء العشائر كمقاتلين في صفوف التنظيم وأصبح بعضهم قادة مجموعات ومنهم "حاتم السحيمان" و"صابر الدكاك" و"أحمد المطلق" و"محمد البصير" و"نايل البصير"، ولكن بعد التضييق الذي بدأ التنظيم بممارسته على العشائر وإعلان التنظيم التجنيد الإجباري عليهم، وتعرض قراهم لقصف من قوات النظام، نزحت معظم العشائر وحتى من بايعوا التنظيم كأنصار، إلى محافظة درعا، كما انشق العديد من المقاتلين وهربوا إلى درعا، وذلك منتصف عام 2015

س2- عام 2015 بدأ التهريب من وإلى البادية عبر ميليشيات النظام، وازدهرت في الأعوام التي تلتها، فما هي معلوماتكم عن هذا الملفّ، ومن هو المسؤول المباشر عن عمليّات التهريب تلك، وما هي الطرق التي سلكها المهرّبون، وما علاقة ميليشيات النظام بها؟

ج2- منطقة بئر قصب وقرى منطقة الأصفر شمال شرقي السويداء نشط التهريب فيها منذ عام 2012 كونها منطقة استراتيجية تربط بين محافظات درعا والسويداء وريف دمشق وباديتي حمص ودير الزور، وكانت عمليات التهريب في تلك الفترة تقتصر على الدخان الذي يصل من الأراضي العراقية، وقد احتكر فرع المخابرات العسكرية في السويداء عبر مفرزة مدينة شهبا تهريب الدخان في هذه المنطقة، ثم بدأت تنشط عمليات تهريب السلاح والذخيرة في عامي 2013 و2014 من محافظة السويداء عبر مليشيات محلية تابعة للمخابرات العسكرية، كانت تنقل السلاح والذخيرة من ثكنات عسكرية وتبيعها لمهربين من البدو الذين كانوا يبيعونها بدورهم إلى فصائل المعارضة، ولكن بعد سيطرة تنظيم داعش على المنطقة أواخر 2014، منع التنظيم عمليات تهريب الدخان بشكل كامل، واحتكر شراء السلاح والذخيرة من مهربي البدو بعدما فرض عليهم شروطاً للتهريب وللأرباح، ومنحهم أذونات للتوجه إلى مناطق التماس مع قوات النظام التي كانت تبيعهم بشكل يومي كميات ضخمة من الذخيرة والأسلحة، عبر منافذ عديدة في ريف السويداء الشرقي والشمالي الشرقي من أبرزها طريق شقا - تل صعد، والطرق المؤدية من قرى بارك وعراجة ودوما وطربا إلى بادية السويداء، كما اعتمد التنظيم أيضاً على مهربي البدو لتهريب المحروقات المستخرجة بشكل بدائي من مناطق سيطرته شرق سوريا باتجاه محافظة السويداء، حيث غزا "المازوت الداعشي" المحافظة في تلك الفترة وتشكلت شبكات تهريب معظمها مرتبطة بمليشيات النظام في ريف السويداء الجنوبي الشرقي، وكانت أبرز المنافذ لتهريب المحروقات عبر منطقة القسطل في بادية السويداء المتاخمة لقريتي الحريسة وملح، ولكن لم يقتصر التهريب على المليشيات الموالية، حيث اعتمدت فصائل محلية في السويداء بداية تشكيلها على التهريب كمصدر تمويل لها لشراء الأسلحة، وفضلاً عن ذلك منذ عام 2015 بدأت فضائل معارضة في درعا ببيع السلاح والذخيرة للمهربين في ريف السويداء الغربي، الذين كانوا ينقلونه إلى مهربي البدو في ريف السويداء الشرقي، وبالتالي يصل إلى تنظيم داعش، لذا من الضروري التأكيد على أن جميع أطراف الصراع جنوب سوريا

استفادت من التهريب ولكن كان له قطبين رئيسيين، تنظيم داعش من جهة والنظام من جهة أخرى.

س3- رصدنا التزامن بين أيّ حراكٍ مجتمعيّ في المحافظة مع التلويح بخطر "داعش" من قبل النظام وماكينته الإعلاميّة، وهذا ما لاحظناه منذ معركة "الحقف" مرورًا بمعركة "شقا" وليس انتهاءً بمعركة الريف الشرقيّ، إضافةً إلى تزامن معارك درعا مع تحرّكات "داعش" في السويداء، وفقًا لمعلوماتك، هل تعتقد بوجود تنسيقٍ أمنيّ بين النظام و"داعش"، وما هي ملامحه إن وجد، وما الإثباتات على ذلك إن وجدت؟

ج3- لا أجزم أن تنظيم داعش في بادية السويداء كان يتلقى أوامره بشكل مباشر من النظام السوري أو يوجد تنسيق مباشر بينهما، ولكن المؤشرات التي اطلعت عليها تؤكد أن النظام اخترق التنظيم في هذه المنطقة على مستويات عالية أي أنه زرع عملاء بين قيادات التنظيم كانوا على الأرجح يتلقون تعليمات من النظام عندما تقضي الحاجة لشن هجمات ضد قرى ونقاط للفصائل المحلية شمال شرقي السويداء، وبالفعل كان التنظيم ينفذ هجمات أو يقوم عناصره بعمليات تفخيخ للطرقات أو قصف بمدافع الهاون تزامناً مع أي حراك شعبي يخرج في المحافظة، وفي الفترة التي تنامى فيها الرفض الشعبي في السويداء للخدمة الإلزامية عام 2015 نفذ التنظيم عدة هجمات استهدف خلالها قرية الحقف ونقاط للفصائل المحلية في قرى شقا والجنينة وبارك. حتى أنه في اليوم الذي اغتيل فيه مؤسس حركة رجال الكرامة الشيخ وحيد البلعوس وعدد من مرافقيه بتاريخ 2015/9/4، حصلت اشتباكات في المدينة بين أنصار البلعوس من طرف وعناصر الأفرع الأمنية من طرف أخر كون النظام هو المتهم الأول بتنفيذ عملية الاغتيال، لكن المفاجأة كانت أن عناصر تنظيم داعش الذين كانوا يتمركزون في تل صعد شمال شرق السويداء، فتحوا نيران رشاشاتهم المتوسطة في تلك الليلة على نقاط الفصائل المحلية في تل عليا وتل معاز، واستهدفوا أيضاً نقطتين لقوات النظام في تلول البثينة وحقل الرمي بقذائف الهاون والرشاشات. أما بالنسبة لاختراق النظام للتنظيم، كانت أبرز شخصية زرعها بين القيادات، هو أمير الحسبة في قاطع بئر قصب كما يسميه التنظيم، يلقب بأبو بكر الشامي، والذي شغل منصب أمير الحسبة منذ عام 2016 وحتى شهر أذار 2017، إذ انسحب في تلك الفترة جميع عناصر تنظيم داعش من منطقة بئر قصب وريف السويداء الشمالي الشرقي باتجاه الرقة ودير الزور نتيجة اشتداد المعارك هناك، أما ابو بكر فقد خرج عبر قرية الشقراوية باتجاه طريق دمشق السويداء بعد انتهاء مهمته، وكانت تنتظره دورية للمخابرات الجوية، حيث تبين أنه ضابط في الفرع المذكور وينحدر من عشيرة النعيم في محافظة القنيطرة. ولم يكن الشخصية الوحيدة، فقد نجح فرع المخابرات الجوية بزراعة العديد من العملاء، كان من بينهم أيضاً شخص يعرف باسم أبو عمر وهو من عشيرة السحيمان، حيث كان من أبرز المسؤولين عن شبكات التهريب لصالح داعش في بئر قصب في عامي 2015 و2015، ليظهر بشكل مفاجئ مع المخابرات الجوية في عام 2017.

س4- هل كانت مقرّات "التنظيم" في أعوام: 2015،2014، 2016، 2017، معلومةً وظاهرةً للنظام لو أراد قصفها؟

ج4- لم تكن كل المقرات ظاهرة، القسم الأكبر منها كان "بلوكوسات" تحت الأرض خصوصاً في منطقة بئر قصب، وهذه البلوكوسات كانت عبارة عن نقاط لكتائب إشارة لقوات النظام قبل 2011، القيادات الهامة والشخصيات البارزة كانت ضمن هذه المقرات، وكانا هناك بعض المقرات البادية التي تحنبت قوات النظام استهدافها بالفعل مثل المحكمة الشرعية في قرية

أشهيب، ونقاط رصد التنظيم في تل صعد وقرية القصر، تل صعد وقرية القصر يبعدان عن نقاط رصد النظام حينها حوالي 3 كم لا أكثر، وكانت رايات التنظيم ترتفع في المنطقتين وعناصره يتواجدون بشكل يومي ونقاط رصدهم واضحة.

ولكن من المهم الإشارة إلى أن البلوكوسات المذكورة وبما أنها كانت سابقا نقاط تعود لقوات النظام فمن الطبيعي أن يكون لديه احداثياتها، وحتى لو كانت تحت الأرض بمسافات كما تعلم الطيران الروسي كان لديه القدرة على تدمير اي نوع من هذه المقرات.

كان النظام لديه القدرة للسيطرة على مناطق تواجد التنظيم شمال شرقي السويداء في الفترة الممتدة بين 2014 و2017، لكن ماكينته الإعلامية كانت تروج أن المنطقة معقدة جغرافياً وأعداد الدواعش فيها ضخمة، رغم أن عددهم لم يتجاوز 500 داعشي في أحسن حالاته، كما ان مقرات هامة للتنظيم كانت لا تبعد سوى بضعة كيلو مترات عن مطار خلخلة العسكري، ومنها مدرسة تل أشهيب التي كان التنظيم يتخذ منها مقراً لمحكمته الشرعية، لكن النظام كان يكتفي باستهداف محدود للمنطقة عبر المدفعية والطيران الحربي، أما عندما انسحب التنظيم في شهر أذار عام 2017 من المنطقة، وحلت مكانه فصائل المعارضة المسلحة "جيش أسود الشرقية" و"جيش أحرار العشائر" و"قوات أحمد العبدو"، لم تمكث أكثر من 3 أشهر في بئر قصب وقرى منطقة تل أصفر شمال شرقي السويداء، حيث شنت قوات النظام هجمات واسعة على فصائل المعارضة في المنطقة وتمكنت من انتزاعها من المعارضة مع حلول شهر تموز 2017، بينما لم يحاول النظام تنفيذ أي عملية اقتحام على تنظيم داعش بين 2014 و2017. وبعدما تمكن النظام من طرد فصائل المعارضة المسلحة من بادية السويداء وريفها الشمالي الشرقي، تجدد ظهور نشاط لخلايا تنظيم داعش في أواخر عام 2017 ضمن تلول الصفا والمناطق الوعرة من بادية السويداء، وهي نفس الفترة التي أعلن فيها النظام رسمياً عبر وسائل إعلامه أن محافظة السويداء باتت أولى المحافظات "المحررة" بشكل كامل. وما هي إلا شهور معدودة حتى نقل النظام السوري مئات الدواعش من مخيم اليرموك جنوب دمشق، ليلتحقوا بالخلايا المتواجدة في بادية السويداء خلال شهر أيار 2018.

س5- كيف تعامل "داعش" عند دخوله إلى البادية مع أبناء المنطقة، وما مسؤوليّته بخصوص تهجير سكّانها من أبناء العشائر؟

ج5- بالنسبة لعشائر المنطقة، اتبع التنظيم معهم سياسة الترغيب والترهيب، حيث استغل حالة التهميش التي يعاني منها البدو، وعدم اهتمام حكومة النظام بهم، وخلال الشهور الأولى لعهد داعش فرضت الزكاة على الأغنياء ووزعت مبالغ مالية وصلت إلى 50 ألف ليرة سورية على كل عائلة فقيرة، ليكسب التنظيم من خلال هذه السياسة رضا الكثير من سكان المنطقة، وقد بايع المئات منهم التنظيم في مسجد قرية المفطرة على مقربة من تل أصفر، ولكن لم يكن إعلان الولاء للتنظيم من عشائر بكاملها فكان هناك انقسام بين الزعماء والوجهاء بين مؤيد للبيعة ومعارض لها، إلا أن معظم المبايعين كانوا من عائلات الدكاك والبصير والسبتي، وانخرط العشرات منهم كمقاتلين في صفوف التنظيم نتيجة الامتيازات المادية والمعنوية التي عرضت عليهم. وبالمقابل اتبع التنظيم سياسة الترهيب والبطش لتخويف العشائر، ففي أواخر شهر كانون الأول 2014 اقتحم مقاتلو داعش قرية القصر التي ازدهرت في تلك الفترة كونها معبراً للتهريب في المنطقة، وقام الدواعش بتكسير وإغلاق أي محلات تجارية تبيع الدخان و"النرجيلة" واعتقلوا عدد من أبناء القرية، وأحرقوا كميات كبيرة من الدخان في ساحة القرية، كما نسفوا مقاماً دينياً مهجوراً للطائفة الدرزية داخل القصر، ووزعوا منشورات على السكان

تحذرهم بالقصاص من مخالفي الشريعة. وتزايدت ممارسات التنظيم في عام 2015 وبعد الهجوم على قرية الحقف تحديداً، حيث فرض التنظيم التجنيد الإجباري على كل من يقدر على حمل السلاح، مما أثار مخاوف البدو المعروفين بعدم سلوكهم أي مناهج دينية متطرفة، حيث بدأ نزوح أبناء المنطقة باتجاه محافظة درعا ومناطق بعيدة عن نفوذ التنظيم قرب الحدود السورية الأردنية منذ مطلع عام 2015، وفي شهر حزيران من العام ذاته كانت قرى البدو في المنطقة خالية بنسبة 90 بالمئة من سكانها حيث تزايدت موجات النزوح بعد هجوم داعش على قرية الحقف شمال شرقي السويداء في أيار 2015، نتيجة تعرض قرى البدو على إثر ذلك الهجوم إلى قصف مكثف من قوات الجيش السوري، والتضييق الذي مارسه التنظيم على سكان المنطقة.

س6- برأيكم هل حصل توظيفٌ لـ"داعش" من قبل سلطة الأسد، وإن كان قد حصل هذا التوظيف، فإين تجدونه وما هي ملامحه؟

ج6- التوظيف حصل من خلال الاختراقات، أي العملاء الذين زرعتهم مخابرات النظام بين قيادات التنظيم، ليكون توظيف النظام للتنظيم من خلال هؤلاء القادة، فكما أشرت سابقاً أن التنظيم كان ينشط على أطراف المحافظة تزامناً مع أي حراك شعبي أو توتر بين أهالي السويداء والنظام، لينجح الأخير من خلال هذا التوظيف بإثارة هاجس دائم لدى أهالي الجبل، يتمثل في أن أي توتر بينهم وبين النظام، يترتب عليه تحركات ومناوشات مع تنظيم داعش.

س7- في 25 تموز/ يوليو من عام 2018، قامت سلطة الأسد بسحب السلاح من مجموعاتٍ عسكريّةٍ. ما هي معلوماتك عن ذلك؟

ج7- بالحقيقة وبالنسبة لقضية سحب السلاح قبل معركة ٢٥ تموز، كان الأمر يقتصر على فصيلي كتائب البعث وحماة الديار وتحديداً في قريتي الشبكي والشريحي اللتان كان الهجوم عليهما أعتى من الهجوم على بقية القرى، طبعاً سحب هذان الفصيلان للسلاح حينها كان بأوامر من دمشق من قيادتهما المركزية بذريعة أن الأوضاع الأمنية تحسنت.

س8- وردتنا معلوماتٌ من شهودٍ تفيد بقطع الكهرباء من "خليّة نمرة" خارج ساعات التقنين، ومعلوماتٌ أخرى بأنّ الانتحاريّين خرجوا من أحد الأفرع صباحًا. فما هي معلوماتك؟

ج8- حصل انقطاع في التيار الكهربائي في ليلة 25 تموز في بعض القرى التي تعرضت لهجوم خارج أوقات التقنين بالفعل، لكنه لم يكن قطعاً عاماً على المحافظة او على جميع القرى التي تمت مهاجمتها، وفي بداية الهجوم على قريتي الشبكي والشريحي استهدف مقاتلو التنظيم احدى محاولات الكهرباء في المنطقة مما سبب انقطاعاً للتيار عن القريتين والقرى المجاورة، لا أجزم أن النظام كان على تنسيق مباشر مع التنظيم لإدارة أو تنفيذ الهجوم، لكن خطوات النظام كانت تحاول تسهيل مهمة التنظيم للسيطرة على اكبر قدر ممكن من القرى.

س9- في ملفّ المختطفات ظهر التنسيق لبعض الشهود من خلال الصفقة، فما هي معلوماتكم في هذا الصدد؟

ج9- ملف المختطفين كان بمثابة "بازار" اشتركت به أطراف عديدة لتحاول من خلاله كسب الصفقة كونها كانت مثار اهتمام لجميع الدروز وحتى للمجتمع الدولي، حيث دخل على خط التفاوض أطراف عديدة منها أقليمية من دروز المنطقة، وحتى الحرس الثوري الإيراني والروس ومجموعات التسوية في درعا، لكن المفتاح الحقيقي لهذا الملف كان بيد النظام الذي كان يستطيع تحرير المختطفين منذ الأيام الأولى. لكنها كانت ورقة للضغط على أهالي السويداء

فاستمر بالمماطلة بها. وللعلم أن المقطع الأول الذي بثه التنظيم للمختطفين بتاريخ 27 تموز كان مصوراً في إحدى المغر ببادية السويداء، وبقي المختطفين فيها حتى مطلع شهر آب وبعد إعدام مهند أبو عمار انسحب مقاتلو التنظيم مع المختطفين من هذه المغارة، التي كانت تقع شرقي قرية عراجة شمال شرق السويداء بحدود 7 كم، وكان إرسال رتل عسكري من النظام كفيلاً بتحريرهم وقتها لو أراد فعلا.

الفصائل المحلية منتصف شهر أب قامت بتمشيط هذه المنطقة والمغارة ذاتها وقد كنت شاهداً على عملية التمشيط هذه، كانت ملابس نسائية وبقايا طعام موجودة فيها وهي ذات المغارة التي ظهرت بالفيديو.

س10- في شهادة أحد الشهود من قرية "دوما" ورد: وجدنا معلّباتٍ فارغةً ومياه "بقين" مستهلكةً بالقرب من البيوت، ما يعني أنّ العناصر بقوا بين البيوت ساعاتٍ طويلةً. فما رأيكم؟

ج10- نعم هذا الأمر صحيح، في يوم المعركة وإلى الشرق من الطريق الواصل قريتي رامي وغيضة حمايل، شاهدت وقتها معلبات وأكياس "اندومي" وعلب تمر وقارورات مياه معدنية، وحسب شهادات من عناصر لقوات النظام في منطقة الزلف وعناصر من المليشيات الموالية في أبار الدياثة، تم رصد أضواء سيارات الساعة 8 مساء بتاريخ 24 تموز، وصلت هذه السيارات إلى أماكن متفرقة في بادية السويداء ثم انسحبت، ومن الواضح أنها وضعت مقاتلي التنظيم على مسافات تتراوح بين 5 إلى 7 كم في عدة مواقع شرقي القرى التي تعرضت لهجمات، وبدأ تسلل المقاتلين تقريباً بحدود الساعة التاسعة باتجاه قرى السويداء سيراً على الأقدام، وقد توقفوا في عدة نقاط على أطراف القرى قبل بدأ ساعة الهجوم، وهذا ما يدل على بقايا الطعام التي وجدت على أطراف القرى

س11- في الكتاب سندرج الشهادة كما وردت منك في قسم الشهادات، وسأستخدم في الصلب بعضًا منها كاقتباسٍ. فهل تقبل بذلك؟

ج11- مفوّض يا غالي

الشهادة (ب): هذه الشهادة قدّمها أحد القادة الميدانيّين في معركة "25 تمّوز"

إنّ هجوم داعش على أكثر من محور إضافة إلى التفجيرات التي حدثت في مدينة السويداء في التوقيت نفسه والتي ترافقت مع إشاعات بأنّ التنظيم يمتلك خلايا ضمن المدينة وسيخرجها تباعًا وأنّ الجبل كله مستهدف وأنه سينفذ اعتداءات أخرى من محاور أخرى، كل هذا أربك المقاتلين، من حيث انتشارهم وتوزعهم في المناطق المستهدفة بالهجوم أو تلك التي من الممكن أن ينفّذ فيها التنظيم هجومًا جديدًا محتملًا.

وإنّ أكثر الأشياء إرباكًا لنا كانت مشاركة أشخاص في المعركة لا خبرة لديها في العلوم العسكرية أو التكتيك العسكري، ولا تلتزم بأي تعليمات، مدفوعة بفعل الحماسة والفزعة للقتال، ما جعل الفوضى تعم أرض المعركة. ونحن نتقدم كنّا نخاف من النيران الصديقة من الخلف أكثر من نيران العدو التي نعرف مصادرها ونتعامل معها. كان المقاتلون من أبناء الجبل ومجموعة من جرمانا، ومجموعة من حضر جاءتا بداعي الفزعة إلى المحافظة. بينما لم نشهد أي مشاركة أو تواجد لقوى الجيش أو الأمن في المحافظة، ما عدا عناصر قليلة من أبناء القرى المستهدفة فزعوا لنصرة أخوتهم من دون أية أوامر من قياداتهم. بعد انتهاء المعركة تقريبًا نفّذ الطيران الحربي السوري غارات لرفع العتب ولم تكن ذات تأثير في حسم المعركة، بل على العكس ساهمت في ردّنا عن ملاحقة فلول الدواعش في البادية لخوفنا من استهدافها لنا، لعدم

ثقتنا بقوات النظام التي خذلتنا أكثر من مرّة في أكثر من معركة. وكانت ضربات الطائرات قريبة منّا جدًّا وكأنها ضربات تحذيرية لنا لمنعنا من التقدم، وجاءت لمصلحة الدواعش الهاربين. مع العلم أنّه في هذه الحالة كان يمكن للجيش أن يستخدم رشاشات المروحيات ويتابع فلول الإرهابين ويتمكن من القضاء عليهم، إلّا أن طائرات الميغ بقصفها الذي نفذته أعطت عكس النتيجة التي ادعتها السلطة في حسم المعركة والقضاء على الإرهابين".

الشهادة (ت):

رواية أحد المقرّبين من شيخ عقل طائفة الموحّدين الدروز، يوسف جربوع، حول اجتماعه في قرية "أم رواق" مع قادةٍ من "داعش"، على خلفيّة إطلاق سراح معن سراي الدين من قرية "أم رواق" والذي أُطلِق سراحه ليلة 2018/6/9، وذلك بعد اختطافه بثلاثة شهورٍ حيث خطفه عناصر "التنظيم" من منطقة "الدياثة" في تاريخ 2018/3/1.

نصّ الرواية:

"الشيخ اجتمع فيهن على خلفية فك المخطوف بدون اي سابق معرفة باي لقاء معهن وعددهن

قبل حوالي شهرين من الهجوم صار الاجتماع طلبوا اعلان الاسلام، وثيقة متاركة مع النظام، منع الجيش السوري من استخدام أراضي المحافظة لأي عملية عسكرية في بادية السويداء وشروط أخرى الخ..

بعدين صار سجال بينهم وبين سماحة الشيخ وعصب عليهم وترك الاجتماع وفل

الشيخ ما كان بيعرف انو بدو يجتمع معهن او عددهن وعاساس طالبين يلتقو معه وبأمان بطلب من ال سراي الدين بام رواق على خلفية فك اسر ابنهم ووعود بأنهم يفكوا اسر شبين من قرية طربا انخطفوا بنفس يوم خطف معن

بالضبط ..وكان مش مسلح وما معه غير ابنه وابن خيو

ماكان بين الدواعش سوريين كانوا عراقيين وتوانسة

الشيخ على اساس هاللقاء خبر السلطة والدفاع الوطني ان داعش عبتجهز لشي كونو كان في تهديدات مبطنة منهم خلال الاجتماع

اعتذر الجيش عن تغطية المكان لان مشغول بحملات عسكرية وقتها وطلبو من الدفاع الوطني والقوات الرديفة تولي الامر

وعلى اثره الدفاع الوطني تشر تعزيزات بالريف الشرقي وللشيخ دعمها ماديا ولوجستيا"

الشهادة (ث): رواية مصدر من عائلة "سراي الدين" حول الحادثة نفسها التي تناولتها الرواية السابقة.

نصّ الرواية:

"لما افرجوا عن معن بدون مقابل طلبوا من عيلتنا انن يجتمعوا مع حدا من مشايخ العقل الدروز ما حددولنا مين

تواصلوا مشايخ عيلتنا مع الشيخ يوسف وقلولوا انو طلع ابنا والجماعة لي تركوا حابين يلتقوا فيك عنا بمظافتنا وعندن مواضيع بدن يحكو فيها معك

فاتت سيارتين دبل كبين تيوتا عالبلد من مشرق في منن كانو ملثمين واحزمة ناسفي ضلو برا المظافي وقسم فات عالمظافة بعديهن وصل لشيخ يوسف كان سيارة وحدة ومعو بالسيارة واحد او ثنين بس ما فاتو ضلن بسيارة

صار الاجتماع بالمظافة والمسلحين برا وجوا كانوا شي ١٢ او ١٤ صارو يطلبوا من الشيخ يوسف اعلان اسلام وصلاة ومابعرف شو وهوي يحكي انو نحنا من طوائف الاسلام وهيك وهني علي صوتن جوا لمسلحين اني ما كنت جوا المظافة كنت برا بعدين فل الشيخ وهني فلو بعدي دغري مشرق".

سابعًا: الخاتمة

من الواضح أنّ الوصول إلى الحقيقة كاملةً عن علاقة سلطة الأسد وتنظيم "داعش" في حاجةٍ إلى زمنٍ طويلٍ، وخروج اعترافاتٍ من أفرادٍ من الطرفين، وانكشاف الوثائق التي بينهما. وأنّ الجهد الممكن حاليًّا الأولى أن ينصبَّ على تتبّع توظيف سلطة الأسد لـ"التنظيم"، سواء أكان عبر توظيف وجوده، أو عبر توظيفه بالتنسيق معه؛ وهو المنهج الذي اعتمدناه في الدراسة لنخرج باستخلاص صحّة فرضيّتنا. فمن تتبّعنا للتطبيق العمليّ لمنهج سلطة الأسد بهذا الخصوص، ومن دراسة أسلوب تنظيم "داعش" في التمدّد، نستنتج أنّ هجوم "التنظيم" على محافظة السويداء، ذات الأغلبيّة الدرزيّة التي تصرّ على الحياد العسكريّ، ويرفض أغلب شبابها الخدمة العسكريّة في جيش الأسد، وتحديدًا بعد دخول "التنظيم" مرحلة ضعفه وانحداره، وانعدام أيّ فرصةٍ له للنجاح في اجتياحها، ولا في البقاء فيها إن أتيح له بعض التمدّد، يخدم إستراتيجيّة سلطة الأسد في الاستثمار في الإرهاب، ولا يتواءم مع منطق تنظيم "داعش" العسكريّ الذي يركّز على احتلال المناطق التي يعدّها ذات أغلبيّةٍ "سنّيّةٍ"، وعلى مهاجمة القوّات العسكريّة الأميركيّة والتابعة لها، ولا يعبأ بالأقلّيّات الدينيّة إلّا إن كانوا عقبةً في طريقه إلى هذين الهدفين، وإن كان قد أعمد القتل والسبي باليزيديّين حين اجتاح مناطقهم في طريقه إلى كردستان العراق.

وعبر تحليل الشهادات، والتوثيق، والرصد، نتبيّن جوانبَ من توظيف سلطة الأسد لوجود "تنظيم الدولة الإسلاميّة" في بادية السويداء، حيث ظهر "تنظيم الدولة الإسلاميّة" فيها أواخر عام 2014، ووصفت الدراسة مقرّاته وأماكن تمركزه وظروف نشأته والأحداث التي سبقت، وتزامنت، مع ظهوره في بادية محافظة السويداء، وكيف كان بإمكان سلطة الأسد حينها القضاء على مجموعات "داعش" في مهدها قبل أن تتمدّد وتقوى شوكتها في تلك المنطقة، ولاسيّما أنّ عناصر "التنظيم" في تلك المنطقة كانت أعدادهم قليلةً، وإمكاناتهم متواضعةً آنذاك، من حيث التنظيم والتسليح. علاوةً على ما قدّمته الدراسة من الأدلّة الملموسة والموثّقة، لإثبات التنسيق الذي حصل بين سلطة الأسد و"تنظيم الدولة الإسلاميّة"؛ حيث رصدت ووثّقت كيف غدت محافظتا درعا والسويداء سوقًا لتصريف النفط الذي كان يستخرجه "التنظيم" ويكرّره بطريقةٍ بدائيّةٍ، وكيف كانت الميليشيات التابعة لسلطة الأسد تهرّبه عبر الحواجز الأمنيّة وبالتنسيق معها، فشكّلت بذلك شريان تمويلٍ لـ"التنظيم". ولم يقتصر التنسيق على ملفّ المحروقات، بل تجاوز ذلك إلى تهريب السلاح إلى "داعش" عبر تلك الميليشيات نفسها ومشغّليها الأمنيّين، وهو ما وثّقته الدراسة.

واجتهدت الدراسة في رسم لوحةٍ لمجريات الأحداث في محافظة السويداء منذ عام 2011، بغية تبيان إستراتيجيّة سلطة الأسد وأثرها في المجتمع، وعلى مجريات الأحداث في المحافظة. كما حاولت ربط الأحداث زمنيًّا، وقراءة وتحليل الوقائع ودور سلطة الأسد و"تنظيم الدولة" في صناعتها، وكيف وظّفت سلطة الأسد وجود "داعش" في بادية السويداء؛ فبيّنت الدراسة كيف شكّل "التنظيم" فزّاعةً للمجتمع في السويداء والحركات المحتجّة على سلطة الأسد فيه. فغالبًا ما تزامنت هجمات "داعش" وتحرّكاته مع الحراك المجتمعيّ في السويداء، وكيف استمرّت سلطة الأسد بتوجيه رسائل إلى سكّان المحافظة بأنّ "داعش" سيسحقهم إن رفعت يدها عنهم.

وبيّنت الدراسة مقاومة المجتمع المحلّيّ في السويداء إستراتيجيّة سلطة الأسد بمساعدةٍ من معارضةٍ مضعفةٍ عبر عقودٍ من القمع، فظهرت المقاومة بصيغٍ، بعضها مدنيٌّ ديمقراطيٌّ، وبعضها أهليٌّ دينيٌّ، حاولت المعارضة بكلّ جهدها التفاعل معه للحدّ من احتمالاته غير المرغوب فيها بمعيار فهمها الوطنيّ الديمقراطيّ. وممّا هدفت له هذه المقاومة: إفشال مساعي

بثّ الشقاق، فحتّى الانقسام داخل المجتمع بين مؤيّدٍ للحراك ومتخوّفٍ منه، لم يمنع توافقاتٍ بين الأغلبيّة، أبرزها التوافق على صون السلم الأهليّ داخل المحافظة، فانحصر الانقسام في إطار المواقف والأفكار، ورفض الاشتراك في قتل من يثور في عموم سورية. وهو ما لم يخرج عنه إلّا شريحة "الشبيحة" المكوّنة من رجالاتٍ في النظام (من حزبٍ ومؤسّسات مجتمعٍ مدنيٍّ، ومؤسّسات دولة)، وأغلبيّةٍ منبوذةٍ اجتماعيًّا وذات سوابقَ جرميّةٍ، والتي وظّفتها سلطة الأسد لقمع الحراك في المحافظة. كما توافقت شريحةٌ واسعةٌ، ووازنةٌ، من المعارضة السياسيّة في السويداء على عدم إقحام المحافظة في الأعمال العسكريّة؛ بعضهم انطلق من أنّه لا يوجد مناخٌ شعبيٌّ في السويداء لاحتضان ودعم أيّ تشكيلٍ عسكريٍّ معارضٍ، وبعضهم الآخر آثر أن تبقى محافظة السويداء ملجأً للسوريّين النازحين إليها، لعلّها بهذه الصفة والوظيفة تكون في خدمة الثورة، بينما رفضه سلميّون يعارضون حمل السلاح بكلّ الأحوال.

وعلى الرغم من سلميّة ومدنيّة الحراك في السويداء، إلّا أنّ الناشطين فيها تعرّضوا إلى الاعتقال والتعذيب في المعتقلات، فضعف مسار تطوّرها؛ حيث وصلت حالات الاعتقال التي وثّقناها إلى 510 حالات اعتقالٍ حتّى أواخر عام 2017 (اعتُقِلَ بعض الناشطين أكثر من مرّةٍ)، بينما بلغ عدد الضحايا الذين قضوا تعذيبًا في سجون وأقبية سلطة الأسد 30 ضحيّةً[53]. وعوقب الموظّفون المهتمّون بالشأن العامّ أو الممتنعون عن الالتحاق بصفوف جيش الأسد بالفصل التعسفيّ من وظائفهم.

ووضّحت الدراسة كيف سعت سلطة الأسد إلى استنزاف قوّة نويّات الحماية الذاتيّة المتشكّلة حديثًا في المجتمع كبديلٍ عن غياب الدولة وتخلّيها عن حماية مواطنيها، بمعاركَ مع "تنظيم الدولة الإسلاميّة"، ولطالما استدرجتها إلى مواجهة "التنظيم" منفردةً. وغالبًا قبل، أو أثناء، أو بعد كلّ هجومٍ لـ"تنظيم الدولة" على المحافظة تحاول سلطة الأسد ابتزاز المجتمع الأهليّ في المحافظة، ولاسيّما في ملفّي الجنديّة وسحب سلاح "حركة رجال الكرامة". كما بيّنت الدراسة كيف جعلت سلطة الأسد من "داعش" أزمةً للغير، واستثمرت في وجوده لضرب المعارضة المسلّحة في محافظة درعا، وخلط الأوراق في الجنوب السوريّ المتوافق على ترتيباته أميركيًّا وروسيًّا وأردنيًّا ضمن اتّفاق "خفض التصعيد في الجنوب السوريّ" بمعزل عنها وعن إيران. إضافةً إلى الاستثمار في وجوده في منطقةٍ تمتدّ إلى قاعدة "التنف" الأميركيّة البريطانيّة.

كما وثّقت الدراسة انتهاكات "تنظيم الدولة" داخل المحافظة؛ فأحصت الضحايا المدنيّين الذي سقطوا جرّاء غزوات "داعش" في معارك الريف الشرقيّ (الحقف، وشقا، ومعركة 25 تمّوز/ يوليو 2018). إضافةً إلى توثيقها ضحايا الألغام وقصف "الهاون" والإعدامات التي نفّذها "تنظيم الدولة الإسلاميّة"، مراعيةً بذلك شروط التوثيق والإحصاء؛ بذكر الاسم، والمكان، والتاريخ، وتسجيل الملاحظات المتعلّقة بالضحايا.

53 - همام الخطيب، غريب ميرزا، "السجون المتخمة: تفككات في منظومة سجون الأسد"، دار ميسلون، ط1، تشرين الأول/ أكتوبر 2017. الملحق رقم: 11.

ثامنًا: الملحقات

الوثيقة رقم (1): بيان فرع نقابة المحامين في السويداء في تاريخ 24/ 3/ 2011.

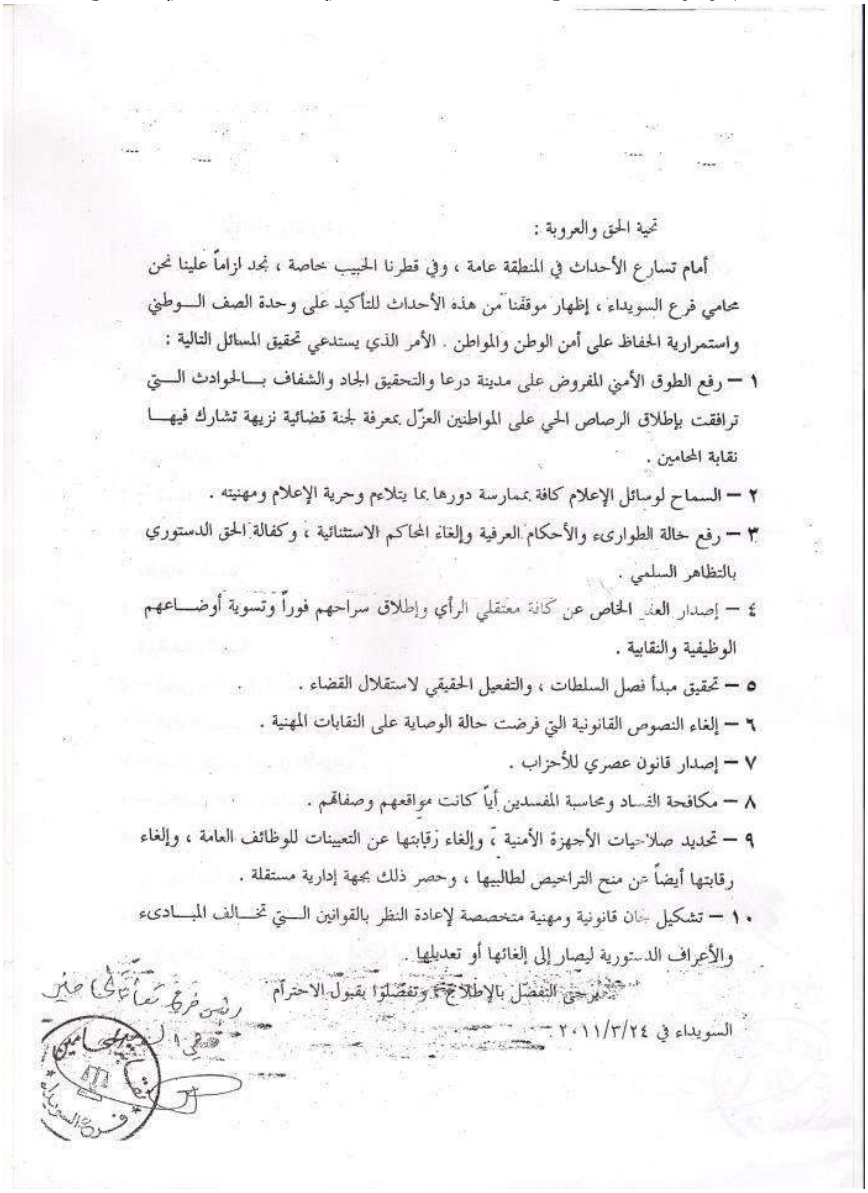

تحية الحق والعروبة :

أمام تسارع الأحداث في المنطقة عامة ، وفي قطرنا الحبيب خاصة ، نجد لزاماً علينا نحن محامي فرع السويداء ، إظهار موقفنا من هذه الأحداث للتأكيد على وحدة الصف الوطني واستمرارية الحفاظ على أمن الوطن والمواطن . الأمر الذي يستدعي تحقيق المسائل التالية :

١ – رفع الطوق الأمني المفروض على مدينة درعا والتحقيق الجاد والشفاف بالحوادث التي ترافقت بإطلاق الرصاص الحي على المواطنين العزّل بمعرفة لجنة قضائية نزيهة تشارك فيها نقابة المحامين .

٢ – السماح لوسائل الإعلام كافة بممارسة دورها بما يتلاءم وحرية الإعلام ومهنيته .

٣ – رفع حالة الطوارىء والأحكام العرفية وإلغاء المحاكم الاستثنائية ، وكفالة الحق الدستوري بالتظاهر السلمي .

٤ – إصدار العفو الخاص عن كافة معتقلي الرأي وإطلاق سراحهم فوراً وتسوية أوضاعهم الوظيفية والنقابية .

٥ – تحقيق مبدأ فصل السلطات ، والتفعيل الحقيقي لاستقلال القضاء .

٦ – إلغاء النصوص القانونية التي فرضت حالة الوصاية على النقابات المهنية .

٧ – إصدار قانون عصري للأحزاب .

٨ – مكافحة الفساد ومحاسبة المفسدين أياً كانت مواقعهم وصفاتهم .

٩ – تحديد صلاحيات الأجهزة الأمنية ، وإلغاء رقابتها عن التعيينات للوظائف العامة ، وإلغاء رقابتها أيضاً عن منح التراخيص لطالبيها ، وحصر ذلك بجهة إدارية مستقلة .

١٠ – تشكيل لجان قانونية ومهنية متخصصة لإعادة النظر بالقوانين التي تخالف المبادىء والأعراف الدستورية ليصار إلى إلغائها أو تعديلها .

نرجو التفضل بالإطلاع ، وتفضلوا بقبول الاحترام

السويداء في ٢٠١١/٣/٢٤

رئيس فرع نقابة المحامين في السويداء

الوثيقة رقم (2): بيان يدعو أهالي السويداء إلى إفشال محاولات النظام زجّ أبنائهم في مواجهة ثوّار درعا.

أصدر أكاديميون ومثقفون وإعلاميون من أبناء محافظة درعا بيانًا دعوا فيه جيرانهم من أبناء السويداء بذل جهود لمنع النظام من استخدام أبنائهم للقتال في درعا.

ويأتي البيان على خلفية معارك يخوضها الجيش الحر لتحرير مدينة بصرى الشام المتاخمة لمحافظة السويداء، حيث سقط خلال المعارك عدد من الشبيحة وعناصر الميليشيات التي تقودها إيران بينهم عدد من أبناء محافظة السويداء الذين انخرطوا في صفوف ما يسمى "قوات الدفاع الوطني."

ونبه البيان إلى عمليات التحريض "الأقلوي" التي يمارسها نظام الأسد، مع دخول ميليشيات طائفية تنفذ مشروع احتلال إيراني بغيض يرفضه أبناء سوريا.

وقال الموقعون إنه ومن منطلق "حرص أهالي سهل حوران على وحدة مصير كل السوريين في كل شبر من مساحة الوطن" فإنهم يؤكدون "بأن هناك رغبة لدى النظام والاحتلال الإيراني بأن يزجوا بأبناء السويداء في مواجهة شباب حوران الثائر الذي يقدم أجلَّ التضحيات لتحرير الأرض.

وتابع البيان: نؤكد أن الثوار إذ يقومون بعمل وطني هدفه طرد الميليشيات من مدينة بصرى والقرى التابعة لها فإن ذلك يأتي ضمن سياق الهدف العام للثورة التي تدافع عن حياة الناس وكرامتهم وحريتهم دون أجندة أو أيديولوجيا.

وقال الموقعون مخاطبين أهالي السويداء: آن الآوان لوقف هذا النزيف، ومن حق أبناء حوران الذين يرون كرامتهم في كرامة أبناء الجبل وأمنهم في أمنه أن توقفوا أي محاولة لزج أبناء السويداء في معركة خاسرة.

وأضافوا: نهيب بكم أن تنتبهوا "وأنتم النبهاء" إلى أن استخدم أبناء السويداء وقوداً لمشروع إيران هو محاولة بائسة للعب بمصير البلاد، ونحن وأنتم خارج هذا المضمار والتاريخ يشهد.

واستدرك البيان بالقول: لن يتوقف أبناء سهل حوران في درعا والقنيطرة عن تحرير قراهم ومدنهم من بقايا أيتام البعث والميليشيات الطائفية العابرة للحدود، ولولا حرصهم على أخوتهم في الجبل وكذلك حرص شرفاء الجبل لكان الموقف مختلفاً.

وختم مثقفو وإعلاميو درعا بيانهم: "نعلم حرصكم على أبنائكم وعلى تاريخكم الناصع، ونحن في حوران سهلا وجبلا لسنا سوى فلقتي قمر لا عداء ولا حدّاد يستطيع أن يشعل النار ويبث الفتنة بيننا."

ومن بين الموقعين

عبد الحكيم قطيفان - الدكتور إبراهيم الجباوي - علي عيد - الدكتور محمد أبازيد - فؤاد عبد العزيز - نابغ سرور - مشعل العدوي - محمد العويد - مؤيد أبازيد - أديب الحريري - محمد الحمادي

المصدر: زمان الوصل: https://www.zamanalwsl.net/news/59176.html

الوثيقة رقم (3): بيان رقم (3) الصادر عن الجبهة الجنوبية في درعا إلى أهالي السويداء في تاريخ 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014.

الجيش السوري الحر

الجبهة الجنوبية

بيـــــــــــــان

رقم ٣

إلى أهلنا، إلى أخوتنا بني معروف

نخاطب فيكم الوطن ونخاطب فيكم أصالتكم، نخاطب فيكم جبل العرب وجبل الشيخ. نخاطب فيكم الثورة السورية الكبرى ونخاطب فيكم سلطان باشا الأطرش.

حتى هذا اليوم ونحن ننتظر منكم الموقف الوطني النبيل كما عهدناكم، فاستمعوا إلى صوت العقل والحكمة الذي طالما كان صوتكم.

لم نقاتلكم يوماً ولا نبغي ذلك مستقبلاً، ولا زلنا ننتظر وقفة بني معروف مع أهلهم وأبناء وطنهم، فالظلم زائل والطغيان زائل، وستبقى سوريا وسينتصر الحق وستنتصر الثورة.

نثمّن عالياً مواقف الحكماء ورجال الدين والنشطاء والسياسيين منكم، ونريدكم معهم لتشدّوا على أيديهم، فهم أحرص من النظام عليكم. ونعتبر أن موقفكم الحاسم من حادث الخطف الذي استهدف مدنيين في قطنا منذ أيام، وعملكم الحثيث لردع هذه الظاهرة هو خطوة في الطريق الصحيح، وسنقابلها بخطى مماثلة في مقبل الأيام.

إن الأحداث الأخيرة التي جرت في جبل الشيخ هي دليل آخر على ما يريده النظام لأبناء سوريا من ضغينة واقتتال، وقبلها أحداث داما في جبل العرب. وقد دافعنا في جبل الشيخ عن أرضنا وكرامتنا، وكان واضحاً أمام الجميع ما جرى من دفع أبنائنا إلى معركة خاسرة مع أخوتهم، وتركهم في أرض المعركة بين قتيلٍ وجريح. وهذا ما أسفنا له، ولا نريده أن يتكرر مرة أخرى.

إننا أبناء سوريا، تاريخنا واحد وأرضنا واحدة، ونريد أن نكون أصحاب قرارٍ ومصيرٍ واحد كما كنا وكما سنبقى.

عاشت سوريا الحرة

السادس عشر من تشرين الثاني ٢٠١٤

الوثيقة رقم (4): بيان من علماء ومشايخ دين في محافظة درعا، ردًّا على كلام الشيخ عبد السلام الخليلي الذي شتم الدروز. حرّر في 24 نيسان/ أبريل 2011.

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من علماء الدين في حوران:

نحن علماء الدين ومشايخ وأئمة حوران نُعلن براءتنا من المدعو عبد السلام الخليلي الذي قام بالإساءة لأهلنا في السويداء وهو بذلك قد أساء لكل حوران فأعراض أهل السويداء هي أعراض أهل حوران ايضاً وقائد الثورة السورية الكبرى سلطان باشا الأطرش هو رمز حوران الأول.

نقول لجيراننا وأشقائنا وأهل النخوة في محافظة السويداء الأبية أن من تلفظ بكلمة سوء بحق اخواننا واخواتنا الاعزاء من أهالي السويداء الأبية: هو ليس منا وإنما هدفه إثارة الفتنة والفرقة بيننا، ولا يمثل إلا نفسه وأسياده من أبواق النظام. ونحن بريئون منه إلى يوم القيامة. ونتمنى ممن يستطيع جلبه أن يأتينا به لنقدمه لأهلنا في السويداء وهم يحكمون فيه بما يشاءون...

إننا على يقين تام أن مثل هذه الأمور لن تنطلي على أهلنا في السويداء لأنهم أهل الفكر والفطنة التي يشهد القاصي والداني لهم فيها. وسنقوم بالتوجه إلى أهل السويداء شخصياً لإعلان البراءة على العلن من كل (من) يسئ لهم.

إن لأهل السويداء من المكارم ما يعجز اللسان عن وصفه فهم قادة التحرير في ثورة سوريا الكبرى، وهم أهل النخوة والفزعة والشجاعة ولأهل حوران مع أهل السويداء من الروابط الاجتماعية وعلاقات الصداقة ما يفوق اي محافظة أخرى.

ونختم بقوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

والله ولي التوفيق

علماء ومشايخ الدين من حوران الجريحة

24 نيسان 2011

الوثيقة رقم (5): بيان من تجمّع القوى الوطنيّة والاجتماعيّة في السويداء إلى إخوانهم في سهل حوران

نحيي مواقفكم ومشاعركم النبيلة والتي تؤكد على الإرث الناصع لتاريخنا المشترك ووحدة الهدف والمصير ، هذا مع إدراكنا لأهمية النداءات المتبادلة بيننا خلال السنوات المأساوية التي مرت وتمر بها سورية الحبيبة وطناً وإنساناً وبنى تحتية ، وكل ما يفعله نظام الاستبداد بنا جميعاً ، مدعوماً من الميلشيات الطائفية البغيضة والتي تحولت تدريجياً إلى محتل مكشوف يتمثل في قوى الشر الإيرانية وما لف لفها ، بعد استباحة السيادة الوطنية خدمةً لأهدافها التوسعية وتحقيق الحلم القديم الجديد في بناء الإمبراطورية الفارسية، وهنا يتجدد قول سيدنا عمر بن الخطاب : "تمنيت أن يكون بيننا وبينهم جبلٌ من نار" . نؤكد اليوم ونحن في خضم كل ما يحصل دون أن نخفي الحقيقة المرة عن أحد، أن المحافظة محتلةٌ من الأجهزة الأمنية وقوى الشر الخارجية الدخيلة، مدعومةً بذلك من زمرةٍ نظّمتها وتنظِمها تلك الأجهزة، بهدف حماية وجودها والإيقاع بين الأهل وإثارة الفتنة الداخلية من جهة، وبيننا وبين الجوار من جهة ثانية، وهذه الفتنة لا تخدم إلا الاستبداد وقد عملَ عليها الاستعمار التركي والاستعمار الفرنسي والآن يعمل عليها الاستعمار الإيراني البغيض.

إن الأجهزة الأمنية تعمل كل ما بوسعها لتكريس الخوف والرعب وتمارس التهديد لاسيما في الوسط الرمادي الصامت وكما تمارس الابتزاز في معمعة الفقر والحاجة السائدة الآن وذلك لتطويع الناس وشراء الشباب بسبب الحالة المعاشية المزرية التي يعيشونها. على الرغم من كل ذلك فإن أبناء المحافظة وبالممكن يواجهون شراسة الاستبداد، فقد قدموا حتى تاريخه عشرات الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب في أقبية الأجهزة الأمنية المختلفة وفي ساحات القتال ضد الاستبداد في كل مكان، والوضع مفتوح على كل أشكال القهر والخداع، بالإضافة إلى أن أبناء المحافظة وبالآلاف امتنعوا عن الالتحاق بالخدمة في صفوف عصابة جيش النظام وعصابات المليشيات الطائفية القادمة من لبنان والعراق وغيرها. إن المحافظة هي ملاذ آمن لعشرات الألاف من الأسر النازحة والمهجرة لشعبنا العظيم، لهم مالنا وعليهم ما علينا ولا فرق بيننا وبينهم، وهذا أقل واجباتنا اتجاههم. فنحن جزء لا يتجزأ من نسيج الشعب السوري الثائر لنيل حريته مهما طال الزمن وبلغ الثمن.

إن القوى الوطنية والاجتماعية المنحازة لثورة الشعب السوري العظيم تعمل دون كلل على نشر الوعي الاجتماعي المرتبط بالثورة العظيمة، ومستقبل سوريا الموحدة الديمقراطية، التعددية والتي لا فرق فيها على أساس الدين أو العرق أو الطائفة. وهنا نشاطركم الرؤية دون أدنى شك وتجمعنا معكم الأهداف السامية، ولن نسمح للاستبداد والفساد والدخلاء أن يفسدوا علينا وعليكم هذا الحس الوطني المشترك والمتكون عبر التاريخ وسوف نجسده معكم وفاءاً لشهداء الثورة الأبرار وتحقيقاً لطموحات الشعب السوري العظيم

إن القوى الوطنية والاجتماعية في السويداء تؤكد على أن ما يذاع من مواقف معادية للثورة والمدافعة عن نظام الاستبداد مدانة من قبلنا وليس مصدرها الإرادة الحرة ولا تنسجم مع توجهات كل القوى المناضلة الشريفة على امتداد الوطن الجريح ، وإنما هي تصاغ وتنسج في أروقة الأجهزة الأمنية وتفرض على البعض قسرا، وهنا نهيب بإخوتنا في السهل أن يدركوا هذه الحقيقة الواضحة ، فالسويداء ليست بالمطلق لنظام الاستبداد بل هي رهينة لطغيانه مؤقتا وهي بنسيجها المتنوع وضيوفها الكرام في النهاية رهنٌ لإرادة الوطن، وإن غداً لناظره قريب.

المجد لشهداء الثورة الأبرار والحرية للمعتقلين عاشت وحدة الشعب السوري وثورته العظيمة. عاشت وحدة السهل والجبل وكل بقاع سورية الحبيبة. ونبارك لكم إنجازاتكم العظيمة ونشد على أيديكم

تجمع القوى الوطنية في السويداء في 2015/03/31

المصدر: صفحة تجمع القوى الوطنية في السويداء على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك".

http://goo.gl/y1xWWE

الوثيقة رقم (6): بيان باسم عشائر جنوب سوريا

|بسم الله الرحمن الرحيم|

"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"

صدق الله العظيم

أننا ندين ونستنكر بشدة المجزرة التي ارتكبتها المجموعات التكفيرية بما يسمى "داعش" وهذه التنظيمات الإرهابية التي صنعتها أميركا وهي عبارة عن ألوج مرتزقة التي عبثت بجميع المحافظات السورية وقتلت وشردت الآلاف من الأطفال والنساء، وهذه التنظيمات الإرهابية ظهرت اليوم لترتكب مجزرة جديدة بحق أهلنا الأمنين في السويداء والتي أدت إلى سقوط ما يقارب ٢٥٠ شهيد وأكثر من ٢٠٠ جريح وأكثرهم من الأطفال والنساء.

ونحن باسم عشائر الجنوب السوري نقف إلى جانب أخواننا بني معروف صفاً واحداً ونحن معكم في خندق واحد للتصدي لهذه التنظيمات الإرهابية.

وايضاً شاهدنا بعض الصفحات التحريضية وصفحات الفتنة التي لها غاية في تدمير محافظة السويداء وتدمير اللحمة الوطنية بين أبناء عشائر الجنوب وأبناء إخواننا بني معروف.

ونرجو من إخواننا بني معروف ان نقف معا ضد هذه الفتنة والحذر منها، ونذكّركم بأن داعش قتلت الاف المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ من أبناء العشائر، وكانت المجزرة الكبرى بأحد عشائرنا " عشيرة الشعيطات" التي راح ضحيتها اكثر من الف شخص من نفس هذه العشيرة.

وجميع من ينتمي إلى داعش أو يتعامل مع داعش ويثبت عليه فهو دمه مهدور لنا ولكم

كما أمرنا أبناء عشائرنا لكل من يستطيع حمل السلاح سيكون على أتم الإستعداد لخوض اي معركة مع أخواننا بني معروف ضد داعش لحماية هذا الجبل.

أسماء شيوخ العشائر التي أصدرت هذا البيان:

١ -عشيرة العمور (الشيخ جامل البلعاس)
٢ -عشيرة المساعيد (الشيخ سليمان المرشود)
٣ -عشيرة الجوابرة (الشيخ غالب الفهيد)
٤ -عشيرة الشنابلة (الشيخ سعود النمر)
٥ -عشيرة الحسن (الشيخ مطلق المطلق)
٦ -عشيرة العتايجة (الشيخ عبد الله الفضيلي)
٧ -عشيرة السلوط (الشيخ طلال أبو سليمان)
٨ -عشيرة الشرفات (الشيخ هلال الرحيل)
٩ -عشيرة الشرعة (الشيخ حسين الشرعي)
١٠- عشيرة العميرات (الشيخ محمد العميري)

الوثيقة رقم (7): بيان من قوى وطنيّة في محافظة السويداء.

بسم الله الرحمن الرحيم
"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا"
صدق الله العظيم
يا أبناء شعبنا الأبي
أبناء جبل العرب الأشم
عشـائر السـويداء الكـرام

شهدت محافظة السويداء في الأيام القليلة الماضية، جملة من الأحداث المؤلمة، تمثلت بسقوط عدد من قذائف الهاون على المدينة، وترويع سكانها الآمنين واستشهاد وجرح الأبرياء، فسارع عديد من الأوساط المشبوهة بإلقاء تهمة إطلاق الهاون وتحميلها لـ"البدو" سكان شرق وشمال مدينة السويداء بمنطقتي (المقوس والمشورب)، في مسعى لإثارة الذعر وإيقاظ الفتنة بين أهالي الجبل، خدمة لأهداف خبيثة بات من يقف وراءها بعلم الجميع. وإمعاناً بإضرام نار الفتنة، تم احتجاز وتعذيب ومن ثم تصفية ثلاثة شبان من بدو (المشورب) كانت قد احتجزتهم عناصر مليشيا محلية، تتلقى تعليماتها من الأجهزة الأمنية.
ثم قام الأمن العسكري بتسليم الجثامين التي تعرضت للتعذيب والتشويه والتمثيل الى ذوي المغدورين، ملقياً بالاتهام على عناصر تلك المليشيا المحلية، ومطالباً ذوي المغدورين بعدم فتح التوابيت، الأمر الذي رفع درجة الغضب وأيقظ الفتنة.
وأمام تقاعس الجهات الرسمية والاجتماعية عن معالجة الحدث، سارع أهالي المغدورين إلى الرحيل من منازلهم في حركة لا تخلو من مشاعر الخوف والرغبة بالانتقام والثأر.
فسادت البلبلة شارع المحافظة ومشاعر الحزن والقلق من تدهور مفاجئ أو تصعيد لا يرغب به الأهالي والشرفاء، وعليه فإن رجال الكرامة وأحرار جبل العرب والمثقفين من القوى السياسية والاجتماعية بمحافظة السويداء، الذين اجتمعوا لمعالجة المسألة وتداعياتها توصلوا إلى ما يلي:
•إدانة واستنكار تلك الجريمة البشعة المرتكبة بأشد عبارات الاستنكار، الجريمة التي تتنافى مع تقاليدنا وأعرافنا وتاريخنا.
•تحميل مسؤولية ما حصل من قصف الهاون ومصرع الضحايا للجنة الأمنية وأجهزتها وميليشياتها.
•الدعوة لوقف تجاوزات المليشيات المنفلتة من عقالها والعابثة باستقرار الأهالي وأمنهم.
•إن أهلنا البدو هم مواطنون أصليون وجزء أساسي من نسيج الجبل الاجتماعي، ولا نقبل برحيلهم أو المساس بأمنهم وحقوقهم وكرامتهم، لهم ما لنا وعليهم ما علينا.
•تكليف لجنة أهلية مفوضة من العقلاء ورجال قانون من الدروز والبدو، لفتح تحقيق شفاف ونزيه للكشف عن ملابسات الجريمة النكراء، وتقديم الجناة إلى قصاص عادل.
•إن "رجال الكرامة" وشرفاء جبل العرب يوجهون من خلال هذا البيان النداء العاجل لأهلنا البدو بوقف كل أشكال الترحيل ومغادرة أسرهم لمساكنهم والعودة إليها مطمئنين آمنين مكرمين.
•نتقدم من أهالي المغدورين بأحرّ التعازي ونشاركهم المصاب الجلل، كما وندعوهم إلى التعقل والتعاون والاحتكام إلى العدالة التي ستأخذ مجراها وفق القوانين والأعراف، أياً كان الجناة.
•إن الواجب الوطني في وأد الفتنة وحقن الدماء والصفح هي مهمة الجميع، وهي من شيم الكرام الصابرين الذين تقبلوا وسلموا بقضاء الله عندما تعرضوا للنوائب وقطع رؤوس أبنائهم كآل "ركاب" وآل "القنطار" وجميع ذوي الشهداء، والذين إن أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

الدين لله والوطن للجميع
السويداء 22-6-2015
الموقعون:
رجال الكرامة/ وحيد البلعوس

الوثيقة رقم (8) توثيق المعتقلين مجهولي المصير، والضحايا تحت التعذيب، والمخطوفين من قبل "جبهة النصرة" وبعض المفقودين

جدولٌ بأسماء الضحايا الذين قضوا تحت التعذيب في سجون سلطة الأسد من محافظة السويداء.

الاسم	تاريخ الاعتقال	الجهة المعتقلة	تاريخ الاستشهاد
علاء حرب	2012	المخابرات الجوّيّة	2012/7/15
لورانس رعد	2013/5/19	الأمن العسكريّ	2013/6/1
مأمون نوفل	2012/11/8	أمن الدولة	2013/6/6
أسامة بركة/ جرمانا	2012	أمن الدولة	استشهد بعد خروجه من المعتقل في 2012/9/30
نورس هندي أبو سعيد	2013/6/28	فرع فلسطين	2014/1/15
صفوان راوند	2013	الأمن العسكريّ	2014/1/1
حسين سالم شمس الدين عزام	2013	الأمن العسكريّ	2013/6/29
شادي ذياب أبو رسلان	2014/1/3	أمن الدولة	2014/1/25
هشام فاهمة/ جرمانا	2013/6/30	أمن الدولة	2014/1/26
مروان الحاصباني/ صحنايا	2014/2/17	الأمن العسكريّ	2014/3/12
حسام الناصر		الأمن العسكريّ	2014/6/17
عماد أبو صالح/ جرمانا	2013/6/27	فرع فلسطين	2014/12/18
أسعد العريضي/ جرمانا	2013/7/19	فرع فلسطين	2014/12/28
خالد فايز سليقة/ جرمانا	2013/8/7	الأمن الجوّيّ	2015/4/22
رامي الهنّاوي	5/ 8/ 2012	غير معروف	27/ 12/ 2017
وافد أبو ترابة	5/ 9/ 2015	غير معروف	4/ 8/ 2018
إيهاب أبو صعب	22/ 3/ 2013	غير معروف	تموز/ يوليو 2018
لؤي كرباج/ جرمانا	2012	الأمن العسكريّ	2013/4/1
كمال محمود مقلد	2013/2/27	الأمن العسكريّ	2013/4/2
نورس البني	2013		2013/10/20
إسماعيل مقلد	2013	الأمن العسكريّ	2013/11/5
نادر رامز بريك	2013	الأمن العسكريّ	2013/12/4
نايف حمزة/ جرمانا	2013	الأمن العسكريّ	2014/1/24
أسامة سعيد أبو لطيف			2014/11/11
طارق بيان نصر	2013	صيدنايا	2015

- **جدول يوثّق أسماء المعتقلين مجهولي المصير، والمعتقلين الذين ما يزالون قيد الاعتقال:**

الاسم	تاريخ الاعتقال	مكان الاعتقال
ياسر عواد	2012/7/15	مجهول المصير
يوسف عبد الله الخلف	2013/1/23	= =
حمود عقيل	2013/3/25	=
إيهاب أبو صعب	2013/4/20	=
فراس العريضي	2014/1/13	=
ناصر بندق	2014/2/17	=
صلاح محمود عماشة	2012	=
فهد معروف مراد	2013	=
سيطان الشلوح		=
أسامة حسين نديوي	2014/9/30	فرع المنطقة 227

(يوجد بعض المعتقلين لم تُنشر أسماؤهم، بناء على طلب ذويهم).

- **جدولٌ توثيقيٌّ بأسماء بعض المعتقلين من النازحين إلى محافظة السويداء، والذين اعتقلوا في محافظة السويداء. وليس لدينا معلوماتٌ عن مصيرهم إن كانوا قد خرجوا، أم ما يزالون رهن الاعتقال، باستثناء "محمود عيسى محمود" (40 سنة)، و"أبو محمد محمود كريم" (60 سنة)، وابنه "عمر محمود كريم" (40 سنة)، هؤلاء استشهدوا تحت التعذيب.**

الاسم	مدينته	مكان الاعتقال
محمد عيسى محمود	ريف دمشق- الذيابية	مشفى السويداء
محمد حبيب	داريا	السويداء- مطعم الشامي
عبد الباسط الخولاني	داريا	مدينة السويداء
ماهر علي أبو ثليث	درعا	= =
أدهم صياح المرزوقي	درعا	طريق دمشق- السويداء
محمود كريم	برزة	المنطقة الصناعيّة- شهبا
عمر محمود كريم	برزة	= =

- **أسماء بعض المفقودين المدنيّين من أبناء محافظة السويداء**

1- إيهاب سلمان مرشد، مدنيّ.
2- حازم شرار مرشد، مدنيّ، سائق سيارة أجرة، فُقد في درعا/ طريق السدّ.
3- خطّار فضل الله درويش، مدنيّ.
4- خلدون فهد بريك، مدنيّ، فُقد في تاريخ (2013/6/23)، في ريف دمشق/ العتيبة.
5- ذيب العمر، مدنيّ، فُقد على طريق الثعلة (قرية في محافظة السويداء).
6- رهيج غرز الدين، مدنيّ، فُقد على طريق الثعلة.
7- سلمان سليم مرشد، مدنيّ، فُقد في الشقراويّة/ طريق ولغا.
8- غالب فضل الله العلي، مدنيّ، سائق سيارة أجرة، فُقد في السويداء/ الأصلحة.
9- ماهر جادو فرج، مدنيّ، سائق سيارة أجرة.
10- موفق إسماعيل الصفا، مدنيّ، فُقد في المليحة/ ريف دمشق.
11- وليد جدعان بلّان، مدنيّ، فُقد في تاريخ (2013/2/12) على طريق الأصلحة/ كناكر.
12- كريم فضل الله عامر، مدنيّ، فُقد في تاريخ (2013/7/27) في السويداء.
13- أحمد سليمان جبر، مدنيّ، فُقد في خان الشيح.
14- ضياء شلغين، مدنيّ، فُقد في تاريخ (2012/10/14)، في ريف دمشق/ الحجيرة.
15- مرهج أحمد غرز الدين، مدنيّ، فُقد في خربة عواد/ السويداء.
16- سعيد فواز الشعار، مدنيّ، فُقد على طريق الأصلحة.
17- منصور نواف النجم، موظّف في الشركة العامّة للغزل والنسيج في عدرا العمّاليّة، خُطف من الشركة نفسها.

18- إسماعيل نايف الباروكي، فُقد في تاريخ (2013/1/19)، في منطقة القدم في ريف دمشق، وهو مدنيٌّ.
19- حسام مفيد القنطار من قرية كناكر في السويداء، فُقد في دمشق منذ عام (2012).
20- د. عدنان حديفة، عميد ومدير مشفى ابن النفيس، فُقد في تاريخ (٢٠١٢/١١/٨) على طريق جرمانا- السويداء.
21- وليد مزعل القنطار، مدنيّ، فُقد في معركة دير داما.
22- وسيم جهاد القنطار، مدنيّ، فُقد في معركة دير داما.
23- راجي ذياب فليحان، فُقد في حلب/ خان العسل.
24- رامي عادل إشتي، فُقد على طريق عدرا العمّاليّة.
25- عدنان محسن بكري، من قرية عرى، فُقد في جديدة عرطوز/ ريف دمشق، وهو مهندس حاسوب.

- **المخطوفون من قبل جبهة النصرة**

1- جمال عزالدين من قرية الثعلة
2- نشأت الحمد من قرية الثعلة
3- رفعت رحال من قرية الثعلة
4- نصوح الحمود من قرية الثعلة
5- خالد الحلبي من قرية الثعلة
6- لؤي منذر من قرية المزرعة
7- سامح دنون من مدينة شهبا
8- مرسل أبو غاوي من بلدة الرحى
9- عمر رضوان من مدينة السويداء
10- ريمون الوهبة
11- أنور أبو حسون من قرية جرين
12- عصام كيوان من قرية ميماس
13- ناصيف مهنا
14- هشام أبو خليل من مدينة السويداء
15- خلدون جمول من قرية صمّا البردان
16- زاهر عقاب أبو رشيد من ناحية الغارية

التوظيف في الصراعات الضديّة

(1)

"سلطة الأسد" و"تنظيم الدولة الإسلاميّة" في محافظة السويداء

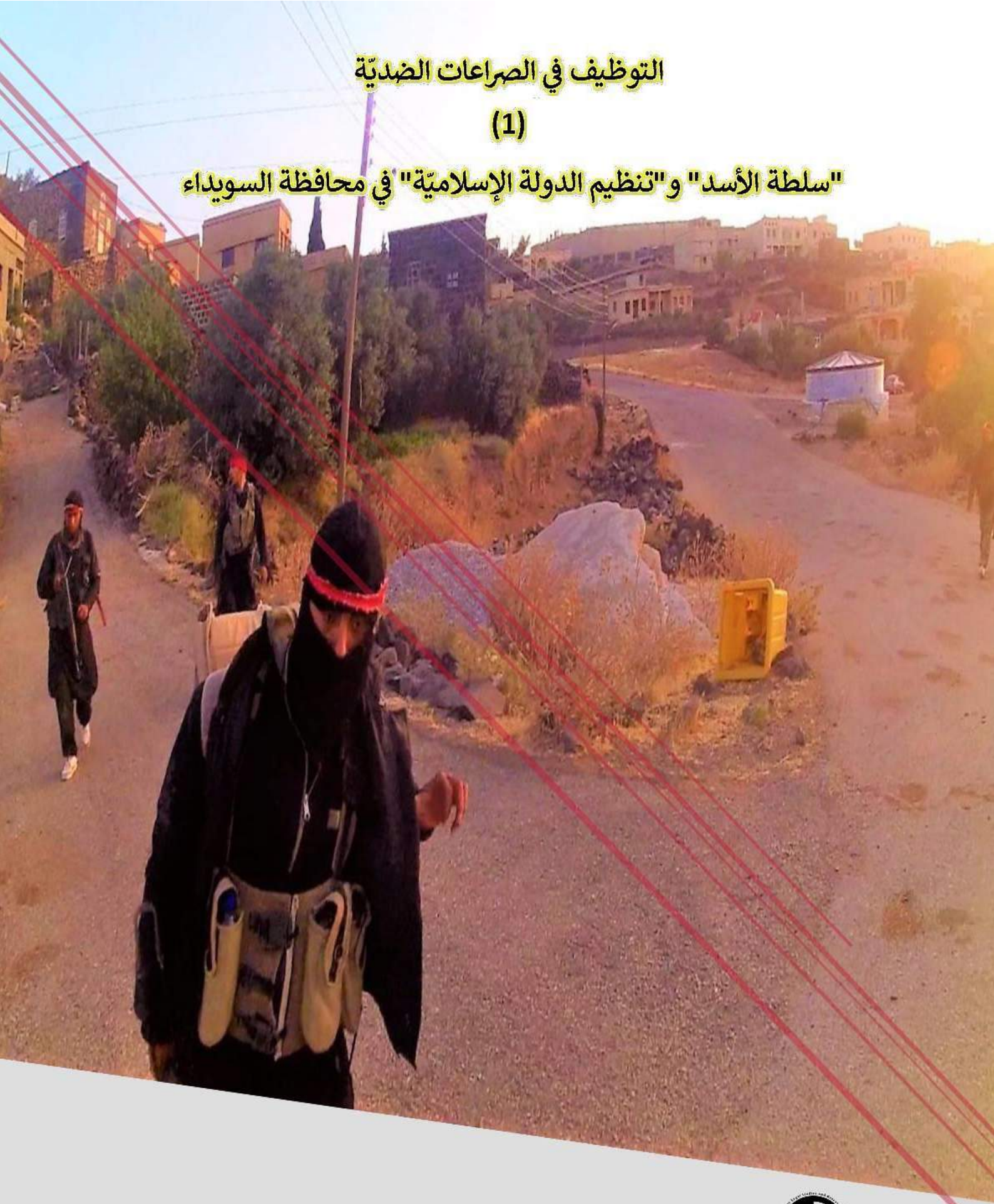

المركز السوريّ للدراسات والأبحاث القانونيّة www.sl-center.org

مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة www.drsc-sy.org